المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

د. ميشال زكريا

الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية

(النظرية الألسنية)

الألسنية
التوليدية والتحويلية
و قواعد اللغة العربية

مكتبة لسان العرب

الطبعة الثانية

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف : ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦
بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف : ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص . ب : ٦٣١١ / ١١٣ تلكس : LE ٢٠٦٦٥ - ٢٠٦٨٠ لبنان

د. ميشال زكريا

دكتور من الألسنية في جامعة باريس
استاذ الألسنية في كلية الآداب
الجامعة اللبنانية

الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية

(النظرية الألسنية)

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

نبذة عن المؤلف

■ ولد في طرابلس- لبنان

■ تخرّج من جامعة باريس ويحمل شهادة دكتوراه في الألسنية

■ باحث جامعي في قضايا الألسنية العربية

■ يُدرّس مادة الالسنية في كلية الآداب والعلوم الانسانية- الجامعة اللبنانية

■ صدر له: « الألسنية (علم اللغة الحديث) : مبادؤها واعلامها ».

■ قام بالابحاث التالية (للمركز التربوي للبحوث والانماء- بيروت) :

- تحليل مقارن بين اللغة الفرنسية واللغة العربية (مكتوب باللغة الفرنسية).

- دراسة حروف الجر في اللغة الانكليزية ومقارنتها بحروف الجر في اللغة العربية (مكتوب باللغة الانكليزية).

■ اشترك في تأليف مقرّرات دور المعلمين (المركز التربوي للبحوث والانماء بيروت) :

- نشاطات اللغة العربية (الروضة).

- تدريس اللغة العربية.

■ نشر عدّة مقالات في المجلّة التربوية- بيروت :

- نمو الطفل اللغوي.

- تأثير اللغة الام في عملية تعلّم لغة ثانية.

- الابعاد النظرية والتطبيقية لتمرين القواعد.

المقدمة

يسعى هذا الكتاب الى تقريب الألسنية ، في بعديها النظري والتطبيقي ،من القارىء العربي. فكل ما كتب في هذا الموضوع هو ولا شك من الجهود البنّاءة في تعريف هذا العلم، ونشره في العالم العربي. ومساهمتنا هذه تنضم الى الجهود السابقة، في هذا المضمار. فبعد ان بدأنا، في كتابنا «الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها واعلامها»، محاولة في تعريف المبادىء العامة لهذا العلم وفي تقديم روّاده، نحاول في هذا الكتاب، ان نحقق نقلة جديدة، من حيث الموضوع، تتلخص في المساهمة في تعميق دراسة قواعد اللغة العربية، على ضوء النظريّة التوليدية والتحويلية Grammaire Générative et Transformationnelle .

ولا نكشف سرّاً اذا قلنا إنّ كتابنا هذا يُشكل فاتحة لكتابين، يتناولان بصورة مفصّلة قواعد اللغة العربية وتحليل قضاياها واشكالاتها بمنظار توليدي وتحويلي.

لا شك ان الألسنية، اليوم، تحتل صدارة الدراسات اللغوية في العالم. ومن باب حرصنا على اعطاء الدراسات اللغوية طابعها المعاصر، آثرنا أن نخوض في هذا المجال، وكلنا امل في ان يعمّ هذا العلم المدارس والجامعات العربية. فعصر اليوم هو من دون جدال عصر الألسنية وتقريب هذا العلم من القارىء، وادخاله في صلب ثقافته، سيعود بالنفع على الثقافة العربية إن في بعدها المحليّ أو في بعدها العالمي. فلا بد من ان يأتي يوم نخرج فيه من تقريب هذا العلم ، ونشره ، الى ان يكون لنا ألسنيّتنا العربية المتطوّرة .

فاعمالنا الألسنية، في التحليل الاخير، لا تعدو فعّالة ومثمرة، إلا اذا اتخذت منحى توطيد ثقافة ألسنية عربية ذاتيّة تعالج مشكلات لغتنا بكل ما تطرحه من ابعادٍ نفسيّة ومجتمعية. فالهدف الأخير انما هو جعل الألسنية بُعداً من ابعاد الفكر العربي. **وفي هذا الاتجاه**، بالذات، تنصبُّ اهتماماتنا الألسنية.

بيروت في 18 كانون الثاني 1982

ميشال زكريا

الفصل الأول

نوام تشومسكي : حياته ومؤلفاته

ولد نوام تشومسكي مؤسس النظرية التوليدية والتحويلية في مدينة فيلدلفيا في ولاية بنسيلفانيا في الولايات المتحدة الاميركية في السابع من شهر كانون الأول سنة 1928 .

التحق بجامعة بنسلفانيا حيث تابع دروسه في مجالات الألسنية والرياضيات والفلسفة وحيث تتبَّع دروس استاذه الألسني زليغ هاريز (1). حاز على الدكتوراه من هذه الجامعة بالرغم من انّه قام، في الواقع، بمعظم ابحاثه الاساسية عقب انتسابه الى عضوية Society of fellows «جمعية الرفاق» في جامعة هارفرد في الفترة ما بين 1951 - 1955 .

التقى الالسني موريس هالّ (2) سنة 1951 وهو آنذاك طالباً متخرِّجاً في جامعة هارفرد. ساعده هذا الاخير، كما ساعده ايضاً الألسني رومان جاكبسون (3)، على الحصول على مركز باحث في المختبر الالكتروني في معهد ماسشيوست التكنولوجي حيث درَّس اللغة الفرنسية واللغة الالمانية الى الطلاب الذين يتخصصون في مجال العلوم. عيِّن سنة 1955 استاذاً في معهد ماسشيوست التكنولوجي M, I, T، ولا يزال

---

(1) Zellig Harris ألسني امريكي يدرِّس الألسنية في جامعة بنسلفانيا منذ سنة 1942 . يهتم باللغات السامية واللغات الاميركو- هندية ويدرسها ضمن اطار المنهجية البنيانية الحديثة . انظر ميشال زكريا (1980) . صفحة 258 .

(2) Morris Halle السني من اصل روسي . درس في الولايات المتحدة يدرِّس منذ سنة 1951 في معهد ماسشيوست التكنولوجي اشترك مع رومان جاكبسون في وضع دراسات فونولوجية . يتعاون مع تشومسكي بصورة وثيقة منذ اكثر من خمس وعشرين سنة وضع فونولوجيا اللغة الروسية واللغة الانكليزية (فونولوجيا اللغة الانكليزية بالاشتراك مع تشومسكي) واوجد الدراسات الشعرية في اطار الألسنية التوليدية والتحويلية

(3) Roman Jakobson السني روسي . أسس مع بعض رفاقه « نادي موسكو الألسني » سنة 1915 وساهم في وضع بعض النظريات الادبية الحديثة . يُدرِّس حالياً الألسنية العامة والألسنية السلافية في معهد ماسشيوست التكنولوجي . انظر ميشال زكريا (1980) : صفحة 241

يشغل هذا المنصب حتى يومنا هذا.

نشر سنة 1955 مقالاً في مجلّة Language «اللغة» بعنوان «علم التراكيب الرياضي وعلم الدلالات: ملاءمتها الألسنية (4)» يكوِّن هذا المقال ردًّا على مقال آخر نشره في المجلة نفسها « بار - هيلل » بعنوان « علم التراكيب الرياضي وعلم الدلالات (5) » .

يُؤكّد تشومسكي، في مقاله هذا، الذي يتناول فيه العلاقة بين علم المنطق وبين الألسنية، أن علم التراكيب المنطقي وعلم الدلالة الشكلي الذي يدعو «بار-هيلل» الى اعتمادهما، بالاستناد الى آراء «كرنب (6)» والى آراء «تارسكي» (7)، ليس بمقدورهما، بأي حال من الاحوال، أن يكوِّنا موضوع الدراسات الالسنية. فبار-هيلل يعتقد أن علماء المنطق والألسنيين يتناولون، في النهاية، نفس الموضوع. في حين يُركِّز تشومسكي، بوضوح، على انّ المنطق الرياضي لا يصلح في تحليل ميِّزات التنظيم اللغوي الذي يكتسبه الانسان والذي يستعمله في ادائه الكلامي، وذلك من دون اي المام مباشر بقواعده الضمنية. فاللغة الشكلية تختلف عن اللغة الانسانية الطبيعية من حيث انها تحتوي، فقط، على الخصائص والمِيِّزات التي يضعها فيها بانيها.

لا ينكر تشومسكي أن الالسنية تتعامل مع علم المنطق. ولكن تعاملها هذا يتم، فقط، في استعمالها قضاياه، على الصعيد المنهجي، وفقاً لمتطلبات بناء النظرية الألسنية. فالالسني يضع الانموذج اللغوي الذي يُشير الى عمل اللغة الانسانية، فقط، بهدف وصف السلوك الكلامي وتحليله.

سنة 1955 حضّر تشومسكي كتاباً بعنوان «البنية المنطقية للنظرية الألسنية (8)»،

---

(4) Noam Chomsky: - Logical Syntax and Semantics : Their linguistic Relevance in Language 31 (1955) pP 36-45

(5) Bar- Hillel : - logical Syntax and Semantics in Language 30 (1954) pp 230-237
وبار هيلل متخصص بعلم الرياضيات وبعلم المنطق . عمل في مجال صياغة القواعد الشكليّة .

(6) R Carnap هو ابرز ممثلي علم المنطق الوضعي . ولد في المانيا . درّس الفلسفة في جامعة فينّا من سنة 1926 حتى سنة 1931 . انتمى الى « نادي فينّا » سنة 1935 . هاجر الى الولايات المتحدة حيث درّس في جامعة شيكاغو من سنة 1936 حتّى سنة 1952 وبعدها في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس .

(7) A Tarski فيلسوف اميركي من اصل بولوني . قام بابحاث في مجال علم المنطق وفي مجال علم الدلالة . من أهم كتبه The semantic conception of truth سنة 1944

(8) Noam Chomsky : The Logical structure of linguistic theory New YorK london Plenum 1975

ويعود، في هذا الكتاب، الى قضايا التداخل بين الألسنية وعلم المنطق الرياضي. فيركّز على استقلالية البحث الألسني.

«بالتأكيد، ليس بامكاننا الاستغناء عن اللجوء الى المنطق لصياغة النظريات، إن في مجال الألسنية أم في اي مجال آخر ، إلا أن هذا الأمر لا يجعلنا نُدرك نوعية التنظيم الذي يُكوِّن مادة الألسنية ، ولا طريقة تحليلها . ولا هذا الأمر ولا الأمر المسلَّم به من حيث أنَّ البحث في مجال المنطق قد ادىَّ الى معرفة مفاهيم بديهية حول استعمال اللغة ، يُبرهنان ، بأي حال من الأحوال ، أنَّ دراسة خصائص اللغات الطبيعية (أو الدلالية) تقتدي بدراسة خصائص المنطق واللغات الاصطناعية الشكلية (أو الدلالية)(9) » .

ويحاول تشومسكي، في هذا المؤلَّف، تحديد معرفة المتكلم بقواعد لغته الضمنية. ويسعى الى وضع اساليب تقييم القواعد وتفسيرها بحيث تتوافق القواعد الموضوعة مع هذه الأساليب التي تحتوي عليها النظرية الألسنية العامة.

نُشر هذا الكتاب في سنة 1975. وتعود اسباب عدم نشره في سنة 1955 تاريخ وضعه، الى انَّ دار النشر التابعة الى معهد ماسشيوست التكنولوجي، قد رفضت نشر هذا الكتاب محتجَّة بأنَّ هذا الكتاب يتناول قضايا لا تلقى اهتمام الاختصاصيين في مجال الألسنية. وقد رفضت ايضاً مجلَّة Word «الكلمة» مقالاً يعرض فيه تشومسكي بعض المسائل التي عالجها في مؤلفه هذا، كان قد ارسله اليها. (10).

وعملاً بنصيحة زميله «موريس هالّ» الذي سبق ان اطلعه تشومسكي على اوراق الدروس التي القاها في معهد ماسشيوست التكنولوجي اتَّصل هذا الاخير بدار النشر الاوروبية (في هولندا) Mouton وارسل اليها عمله هذا (11).

صدرت هذه الدروس منقَّحة تحت عنوان «البنى التركيبيّة (12)» سنة 1957. وهذا الكتاب اول كتاب يُعرِّف تشومسكي، من خلاله، القرَّاء على بعض ملامح نظريته الألسنية التي عُرفت، فيما بعد، بالنظرية التوليدية والتحويلية.

لكي نفهم هذا الموقف غير المشجع والمناهض لاعمال تشومسكي الألسنية في

---

(9) تشومسكي (1975 ـ ج) صفحة 83

(10) تشومسكي (1977 ـ ج) صفحة 138

(11) تشومسكي (1974) صفحة 19

(12) Noam Chomsky : Syntactic structures the Hague : Mouton 1957

ذلك الوقت، لا بدّ لنا من الاشارة الى الاجواء التي كانت سائدة في مجال الألسنية في الخمسينيات. فالتيّار الألسني الشائع آنذاك كان يتّبع آراء ألسنية بلومفيلد (13) الوصفية البنيانية. تحلّل هذه المدرسة الكلام من حيث الموقع والتوزيع، وفق فئات مؤلِّفة، وتدرس اللغة من خلال دراسة مستوياتها (المستوى الصوتي، الصرفي، التركيبي، الدلالي) وتعتمد هذه المدرسة منهجية علمية موضوعية واساليب بحث واضحة كما تعتمد المعايير التحليلية المحدَّدة في وصف وتبيان عناصر اللغة المؤلَّفة. إلا انَّ هذه الألسنية لم تكن لتُعيَر اهتمامها الى متكلم اللغة ولا الى دوره في تكوين الكلام. بل كانت تكتفي بوصف الكلام وصفاً موضوعياً وتجريبياً.

نلاحظ انّ دراسات تشومسكي حافظت (في ظل هذه الاجواء الألسنية) على منهجية متماسكة وموضوعية بل ركّزت، وبتأثير من استاذه «هاريز»، على اعتماد التجريد العلمي في صياغة الفرضيّات الفعّالة التي بامكانها تحليل المعطيات اللغوية تحليلاً موضوعياً واضحاً.

إلاّ إنّ هدف الألسنية، كما يرسمه تشومسكي، اصبح مختلفاً عن هدف الألسنية البلومفيلدية. فتشومسكي يتخطّى هدف وصف اللغة باتجاه هدف تفسيرها وتحليل تركيب البنية اللغوية وتحوّلها من بنية الى بنية اخرى، بالاستناد الى حدس المتكلم ومعرفته الضمنية بقواعد لغته. فهذه المعرفة، بالذات، هي التي يصرّ تشومسكي على دراستها. فمتكلم اللغة، برأيه، هو موضوع الدراسة الألسنية من حيث هو قادر على انتاج عددٍ لا متناهٍ من الجمل. والجدير بالذكر أن الألسنية البلومفيلديَّة تصرُّ على اهمال المتكلم في البحث الألسني.

يضع تشومسكي هدف النظريّة الألسنية، بصورة واضحة وجليّة، في كتابه المنشور الاوّل «البنى التركيبيّة». فالنظرية الألسنية يجب ان تُحلِّل مقدرة المتكلم على ان ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يتفهّمها. فيقوم عمل الألسني على صياغه القواعد التي بمقدورها انتاج اللغة مادة البحث.

يحصر تشومسكي اهتمامه بالبنى التركيبية فيحاول وضع نظرية البنى اللغوية دون العودة الى لغة خاصة ويدعو هذه النظرية «بالقواعد» (قواعد اللغات).

---

(13) L Bloomfield تلقّى علومه في جامعة هارفرد. شارك في تأسيس «جمعة الألسنية الاميركية» سنة 1924 وساهم في الكتابة في مجلتها Language «اللغة». انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 231.

ويتكوَّن الجزء الاكبر من «القواعد» من علم التراكيب فيركِّز على استقلالية المستوى التركيبي الذي يتميَّز عن المستوى الصرفي وعن المستوى الصوتي من جهة، ومن جهة اخرى، يتميَّز عن المستوى الدلالي.

يقتضي بناء قواعد لغة معيَّنة ان تكون هذه القواعد التي يعمل الألسني على وضعها متوافقة مع نظرية البنى التركيبية حيث تُحدِّد المصطلحات (الفونام، الركن، المورفام) بصورة عامة ومستقلَّة عن اللغة الخاصة.

تهدف القواعد الى تحليل الجمل الاصولية grammaticale وفقط الجمل الاصولية وتتَّخذ شكل اوالية توليدية تُنتج، بواسطة عدد محدَّد من القواعد والرموز، عدداً لا متناهياً من الجمل.

يستمد الألسني مادة بحثه من خلال مسائلة حدس متكلم اللغة ولا يلجأ، بالتالي، الى المدوَّنة كما يفعل الألسنيون البنيانيون. وذلك لأنّ جمل اللغة لا متناهية في حين انَّ الجمل التي تتكوَّن منها المدوَّنة متناهية. ومن هذا المنظار، تعكس القواعد خبرة المتكلم الذي بامكانه انتاج عدد لا متناه من الجمل وتفهمه، من خلال خبرة باللغة محدودة وطارئة.

يعتبر تشومسكي أنّ على النظرية الألسنية ان تُقيِّم القواعد بواسطة اساليب تقييم وأن تُحدِّد، بالتالي، القواعد الاكثر ملاءمة للمعطيات اللغوية. ومن هنا، يقارن بين ثلاث قواعد شكلية مختلفة: القواعد المحدودة الحالات والقواعد الركنية والقواعد التحويلية ويُؤكِّد على انَّ القواعد التحويلية هي القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها (انظر الفصل السادس من كتابنا هذا: الانموذج اللغوي)

نظرة الى محتوى هذا الكتاب كافية لأن تُبين الاسباب الكامنة وراء الرفض الذي قابل الاختصاصيون به اول مؤلَّف وضعه تشومسكي سنة 1955، كما هي كافية، ايضاً، لان تُفسر اسباب انتشار اراء تشومسكي بسرعة بعد نشر كتابه «البنى التركيبية» سنة 1957. فهذا المحتوى يُظهر، بوضوح، أنّ تشومسكي، في تحليله الألسني، يتخطَّى الألسنية البنيانية المعاصرة على نحو لم يكن مألوفاً ومتوقَّعاً في ذلك الوقت.

بعد صدور «البنى التركيبيَّة» في السنة نفسها ومّما ساعد على انتشاره، وضع

الألسني «ليز» مراجعة لهذا الكتاب (14) في مجلّة «اللغة». ساهمت هذه المراجعة في التعريف بالكتاب وفي انتشاره اذ اعتبر «ليز» ان القواعد التوليدية تكوّن انفصالاً تاماً عن الألسنيَّة البنيانية.

سنة 1958 اشترك تشومسكي في مؤتمر تكساس للألسنيين. اتاح هذا المؤتمر لتشومسكي ان يُناقش مفاهيمه الألسنية مع الاعضاء المشتركين في هذا المؤتمر. وقد كانت المناقشات حادة. وقد اشترك ايضاً في مؤتمر تكساس الثاني المنعقد سنة 1959 حيث قدَّم بحثاً في فونولوجيا اللغة الانكليزيَّة التوليدية عرض فيه النظريَّة الفونولوجيَّة التوليديَّة. إلا انَّ اعمال هذا المؤتمر لم تُنشر.

وفي مؤتمر الألسنية العالمي المنعقد سنة 1962 في معهد ماسشيوست التكنولوجي، ناقش الحاضرون النظريَّة الألسنية التوليدية والتحويلية. وقد نُشرت مساهمة تشومسكي في هذا المؤتمر في دار Mouton سنة 1964 تحت عنوان «السبل الشائعة في النظرية الألسنية (15)»

يُعالج تشومسكي في هذا الكتاب القضايا التي تُظهر تمايز الألسنية التوليدية والتحويلية عن الألسنية البنيانية. وينتقد مختلف اساليب التحليل المعتمدة ثم يعرض الشروط التي تحُدِّد اجراء التحويلات ويتوسّع بالقاعدة «أ على أ» (A / A) التي يردُّها الى القواعد الكلّية (انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب: القواعد الكلِّية)

حتىّ سنة 1965 كان من الصعب على تشومسكي أن ينشر كتبه في دور النشر الاميركية المختصَّة. نشر، فقط، في مجلاَّت الولايات المتحدة المختصَّة، بعض المراجعات التي تناولت كتباً متفرِّقة نذكر منها:

1ـ مراجعة «كتاب الفونولوجيا» للألسني «هوكيت» في «المجلَّة العالمية للألسنية الاميركية» (16) سنة 1957

---

(14) R Lees » Review of Noam Chomsky's Syntactic Structures « in Language , Vol 33 103 1957
« وليز » هو احد مُعاوني تشومسكي . وقد وضع كتاب The Grammar of English NominaliSations سنة 1960 في دار النشر Mouton

(15) Noam Chomsky : Current Issues in Linguistie Theory The Hague : Mouton 1964

(16) Noam Chomsky : Review of C F Hockett, Manual of Phonology in International journal of American Linguist ics 23, 1957 p P 223-34

2ـ مراجعة كتاب «جاكبسون»و« هالّ » قضايا اللغة الاساسية في «المجلّة العالمية للألسنية الاميركية» (17). سنة 1957

3ـ مراجعة كتاب «بلفيتش» «لغّات الآلات واللغة الانسانية»، في مجلّة «اللغة» (18) سنة 1958

4ـ مراجعة كتاب «غرينبرغ» «محاولات في الألسنية»، في مجلّة «الكلمة» (19) سنة 1959

5ـ مراجعة كتاب «سكينر » السلوك الكلامي ، في مجلّة «اللغة» (20) سنة 1959

يهمنا التركيز على المراجعة الأخيرة حيث يناقش تشومسكي وينتقد النظرية الفلسفية السلوكية في المجال الألسني . يُشير تشومسكي ، هنا ، الى انَّ المواقف التجريبيَّة والوضعيَّة تبدو له مواقف خاطئة من الناحية الفلسفية ولا يُمكن ، بالتالي ، المدافعة عبها ، من ناحية علم النفس ، كما لا يُمكن تقبلها كنظريات في مجال العلوم الطبيعية .

يُبرهن تشومسكي، في مراجعته هذه، أنّ المفاهيم التي يرتكز عليها المذهب السلوكي كالحافز والاستجابة للحافز وتقوية الحافز والتعميم، تحُدَّد في هذه النظرية على نحو دائري. كما يبرهن انَّ لا فائدة لها، في الواقع، حتىً من حيث المستوى الوصفي. وأيضاً ليس بمقدور هذه المفاهيم أن تحُلّل قسمًا كبيراً من القدرات الانسانية وبالذات، ليس بمقدورها تحليل قدرة الانسان اللغوية. فالسلوكيّون يدّعون وصف السلوك الانساني انطلاقاً من دراسة معطيات السلوك وحدها ، في حين يرفض تشومسكي الفكرة التي تقول بأنّ النظرية لا يتم وضعها، إلا من خلال الملاحظات والاستقراء فقط، ويرفض، بالتالي، اعتبار الاكتساب اللغوي نتيجة تأثير المحيط على الطفل، كما يرفض، بالذات، تفسير القدرة اللغوية الانسانية تفسيراً آليًا. فكل انسان، برأي تشومسكي، يمتلك معرفة ضمنية بقواعد كلِّية. ومن خلال

---

(17) Noam Chomsky : Review of R Jakobson and M Halle Fundamentals of Language In Intern ational Journal of American linguistics 23, 1957 pp 234-42

(18) Noam Chomsky Review of I Belevitch, Langage des machines et langage humain In Language 34 1958 pp 99-105

(19) Noam Chomsky: Review of J Greenberg, Essays in linguistics In word 15 1959 pp 202-18

(20) Noam Chomsky : Review of B F S Kinner, Verbal Behavior In Language 35 1959 pp 26-58

سماعه جمل محيطه، يبني الطفل، بصورة خلاّقة، قواعد لغته. فاللغة ليست، في الحقيقة، مجموعة عادات كلامية وهي، بالتالي، مختلفة عن لغة الحيوان وتتسم بخصائص مميَّزة. وفي هذا المجال، يركِّز تشومسكي على ميزة الابداعية في اللغة الانسانية.

تكمن اهمية المراجعة النقدية هذه في انها وضعت في وقت كانت النظرية السلوكية اوسع النظريات انتشاراً في الولايات المتحدة وتناولت، بالذات، كتاب «سكينر» استاذ علم النفس في جامعة هارفرد وابرز ممثلي النظرية السلوكية الذين ما زالوا على قيد الحياة. يقول تشومسكي في هذا الصدد: «دخلت الى جامعة هارفرد بصفة تلميذ متخرِّج بعد ان كان سكينر قد القى محاضراته التي نُشرت فيما بعد تحت عنوان «السلوك الكلامي» ولم تكن هناك اسباب موجبة للشك باقتناعات «بلومفيلد» «وراسل» والالسنيين وعلماء النفس الوضعيين والفلاسفة بصورة عامة بأنَّه سيتم توسيع اطار سيكولوجيا الحافز- الاستجابة للحافز، بحيث يمكنها تقديم التفسير الكافي للقدرات الانسانية الأكثر غموضاً» (21).

نشر تشومسكي، في فترة ما قبل سنة 1965، بعض المقالات المتنوعة، في المجلات الاميركية المختصَّة. نذكر منها المقالات التالية:

1- «البنى المنطقية في اللغة» في مجلَّة «التوثيق الاميركي» (22) سنة 1956.

2- «اللغات المحدودة الحالات» بالاشتراك مع «جورج ميلر» في مجلَّة «الاعلام والمراقبة» (23) سنة 1958.

3- «بعض الخصائص الشكلية للقواعد» في مجلَّة «الاعلام والمراقبة» (24) سنة 1959.

4- الدراسات الصوتية- الصرفية في اللغة الانكليزية» بالاشتراك مع موريس هال، في «التقرير الفصلي في التطور» (25).

---

(21) تشومسكي (1968 - ب) صفحة 13.

(22) Noam Chomsky : «Logical Structures in Language» American Documentation 8 1958 pp 284-91

(23) Noam Chomsky and G A Miller : Information and control 1, 1958 PP 91-112

(24) Noam Chomsky : On certain formal properties of grammars In formation and control 2, 1959 PP 137-67

(25) Noam ChomaKy and Morris Halle: The morphophonemics of English quaterly Progress Report 'N 52 1960 Cambridge Mass Research Lab of Electronics PP 275-81

ولا بد من الاشارة الى انّ تشومسكي قد كتب فصلاً من «كتاب علم النفس الرياضي» (26) وفصلين منه بالاشتراك مع جورج ميلر (27) سنة 1963 .

وقد نجم عن مساهمة النظرية التوليدية والتحويلية، في مجال علم النفس، ان اضطرّ علماء النفس ، بتأثير من هذه النظرية، الى اعادة النظر في تحليلهم السلوك الكلامي. فالنقطة التي يُثيرها تشومسكي هي أن جمل اللغة متجدِّدة بصورة دائمة وعددها لا متناه، مما يستتبع عدم امكانية دراسة الأداء الكلامي من خلال دراسة لائحة جمل اللغة المحتمل ورودها والتي اختبرها متكلم اللغة. فقواعد اللغة، برأي تشومسكي، تصف الكفاية اللغوية التي يمتلكها متكلم اللغة والتي تقود الاداء الكلامي.

وقد استطاع تشومسكي وزملاؤه في معهد ماسشيوست التكنولوجي انشاء قسم الألسنية وذلك بالرغم من الاجواء الألسنية التي اشرنا اليها. يُشير تشومسكي الى تأسيس هذا القسم في كتاب «محاورات مع « متسو رونات »(28) » .

«نعم في بدء الستّينات اوجدنا برنامج دراسات عالية..... ولكن هل تعلمين لماذا (صار) عندنا في معهد ماسشيوست التكنولوجي القسم الألسني؟ لأنّ هذا المعهد هو، بشكل ما، خارج النظام الجامعي الاميركي. ففي هذا المعهد لم يكن يوجد اي قسم كبير من اقسام العلوم الانسانية أو العلوم الاجتماعية. لذلك كان بامكاننا بناء قسم ألسنية دون ان نصطدم بمشكلات عائدة الى المنافسات او الى البيروقراطية الاكاديمية. ولم يكن بالامكان تحقيق برنامج كبرنامجنا هذا، في ايّة جامعة أخرى. هنا كنّا نلازم المختبر الالكتروني ولم يكن علينا التعامل مع الزملاء مما اتاح لنا وضع هذا البرنامج المختلف عن بقيّة البرامج، باستقلالية تامة (29)» .

شارك في اعداد هذا البرنامج وتنفيذه ألسنيون كان لهم تأثيرهم الكبير في

---

(26) R D Luce, R Bush , and E Galanter eds : HandbooK of Mathematical Psy chology: II P 323-418 , PP 269-322, PP 419-91 New YorK : Wiley, 1963

(27) G Miller متخصص في علم النفس واستاذ في جامعة هارفرد حتّى سنة 1968 . يدرّس حالياً في جامعة روكفلر وقد درّس ايضاً في معهد ماسشيوست التكنولوجي .

(28) Noam ChomsKy : Dialogues avec Mitsou Ronat Paris : Flammarion 1977

(29) تشومسكي (1977 . ج) صفحة 138 . .

انتشار النظرية التوليدية والتحويلية امثال «هالّ»، «كليما (30)» «ماتيـوز» (31) «ليز» «فودر» (32) «كاتز» (33) «وبوستال» (34) .

نصل الى سنة 1965 . ففي هذه السنة صدر كتاب تشومسكي «ملامح النظرية التركيبيّة» (35) لكن هذه المرّة نُشر مؤلّف تشومسكي الجديد في دار نشر اميركية. وهذا الكتاب كما يُشير اليه عنوانه يحتوي على اهم آراء النظرية التوليدية والتحويلية وإن بصورة موجزة.

يظهر، في هذا الكتاب، التمييز بين الكفاية اللغوية والاداء الكلامي، بصورة واضحة. فيحدِّد تشومسكي الكفاية اللغوية بأنّها معرفة المتكلم الضمنية بقواعد اللغة، كما يُحدِّد الاداء الكلامي بأنّه تمظهر هذه المعرفة في عملية التكلم الآني ويُشير الى انّ الاداء الكلامي يخضع الى عوامل نفسانية متعددة ولا يعكس، بالتالي، مباشرة،الكفاية اللغوية.

---

(30) Klima السني نشر بعض المقالات نذكر منها :

Klima: «Negation in English» in Fodor and Katz (1964) Klima and lees: Rules for English pronominalisation Language 39 PP 17-28

(31) G H Matthws ألسني من مؤلفاته

Matthws G. H. Hidatde Syntax, the Hague: Mouton 1964

(32) J A Fodor ألسني من مؤلفاته

Fodor J A , and J J Katz The structure of Language: Readings in the Plilosophy of Language Englewood Cliffs N J Prentice- Hall 1964

Fodor J A, T G Bever and M F Garrett The Psychology of Language New York: Mc Graw- Hill Book Co 1974

(33) J J Katz السني من مؤلفاته

Katz J J and P M Postal: An Integrated Theory of Linguistic Descriptions, Cambridge Mass MIT Press 1964 .

Katz J J: The Philosophy of Language, New York: Harper and Row 1966

Katz J J: Semantic Theory New York: Harper and Row 1972

(34) P M Postal السني من مؤلفاته

Postal P M Cross- over Phenomena- New York: Holt, Rinehart and Wilson 1971

Postal P M On raising Cambridge Mass, M I T Press 1974

(35) Noam Chomsny: Aspects of the Theory of Syntax Cambridge, Mass et London M I T Press 1965

وفي كتاب «ملامح النظرية التركيبية» يُركِّز تشومسكي على مفهوم اصولية الجملة ويميِّزه عن مفهوم تقبّل الجملة ويستعمل مصطلحي البنية العمقية والبنية السطحية لاوَّل مرَّة علمًا بانَّه قد اشار الى محتوى هذين المفهومين في كتابه الاوَّل «البنى التركيبيَّة». ويُسمِّي نظريَّته الألسنية بالنظريَّة النموذجية Theorie Standard ويُفصِّل، بوضوح، شكل القواعد التوليدية والتحويلية وتداخل المستويات الألسنية. فقواعد اللغة تقرن بين الاصوات والدلالات. ويعتبر تشومسكي انّ المكوِّنين الفونولوجي والدلالي تفسيريَّان في حين انّ المكوِّن التركيبي مكون توليدي ويشير الى انّ الحدود بين المستويين الدلالي والتركيبي غير واضحة تمام الوضوح. ويعتمد، ضمن النظرية النموذجية، المفاهيم الدلالية التفسيرية كما قد توسَّع بها «كاتز» و «فودر» (36) و «بوستال» (37).

صدر هذا الكتاب في الوقت الذي ابتدأت فيه النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية تُثبِّت ذاتها وتفرض نفسها في المجالات الألسنية. فقدَّم اوَّل عرض عام لهذه النظرية كما توصَّل اليها تشومسكي بمساعدة رفاقه في معهد ماسشيوست التكنولوجي بعد ان قاموا بالابحاث الألسنية المتواصلة منذ سنة 1955.

وبعد كتاب « ملامح النظرية التركيبية» ألَّف تشومسكي ولا يزال يُعدُّ المؤلفات التي تفسِّر النظرية الألسنية وتتوسَّع بها وتُطورها على ضوء الدراسات المتعمِّقة والمتجددة نتوقَّف، هنا، عند بعض هذه المؤلفات الألسنية.

1 ـ « الالسنية الديكارتية» (38) سنة 1966

يتناول تشومسكي في كتابه « الألسنية الديكارتية » (فصل في تاريخ الفكر العقلاني) الفرضيَّات المتعلقة بميّزات الفكر وبالمخططات الذهنية الاساسية التي يفرضها العقل على عملية تحليل المعاني وعلى عمليَّة اكتساب اللغة من خلال

(36) J A Fodor and J J Katz (eds) The Structure of Language: Readings in the Philosophy of Language Englewood Cliffs, N, J Prentice- Hall 1964

(37) J J Katz and P Postal: An Integrated Theory of Linguistic Descriptions Cambridge Mass M I T Press 1964

(38) Noam Chomsky : Cartesian linguistics : A chapter in the History of Rationalist thought New york and London : Harper Row 1966

المعطيات المتوفِّرة للتحليل . فيظهر تقارب نظريته مع الآراء الفلسفية العقلانية : أراء المدرسة الديكارتيَّة [39] وآراء الالماني همبولد [40] . فمفهوم الكفاية اللغوية او المقدرة على انتاج عدد لامتناه من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد ومن المفردات اللغوية يظهر ، بوضوح ، عند كلٍّ من ديكارت وهمبولد وكذلك تظهر المفاهيم التالية : البنية العمقية والقواعد الكلّية واكتساب الطفل اللغة على نحو عقلاني تحُدِّده قدراته الفطرية . ويُشير تشومسكي ، من خلال تحليله لآراء الفلاسفة العقلانيِّين ، الى الأبعاد العقلانية التي تقوم عليها الألسنية التوليدية والتحويلية .

«الانماط الصوتية في اللغة الانكليزيّة» [41] سنة 1968 .

وضع تشومسكي هذا الكتاب بالاشتراك مع الألسني موريس هالّ . يقول المؤلِّفان في المقدَّمة :

« يعرض هذا الكتاب الدراسات الجارية في مجال فونولوجيا اللغة الانكليزية . ونعتقد اننا اصبحنا ، في هذا المجال ، في وضع يتّصف بوضوح الخطوط العامة والمبادىء النظرية الأساسية . ونأمل بأنّ الدراسات اللاحقة التي سوف تُنجز في الاطار العام نفسه لن تُعدِّل كثيراً الوصف العام الذي نعرضه ، علمًا بأنّ آراء جديدة ومختلفة تقوم على المنحى الذي اشرنا اليه في الفصل الاخير ، قد تقود ، في الواقع ، الى تغيُّرات مهمَّة » [42] .

ويتناول هذا الكتاب الفرضيَّات الألسنية التي تنطلق منها دراسة الاصوات اللغوية كما يتناول ايضاً النظرية الفونولوجية التوليدية والتحويلية وفونولوجيا اللغة الانكليزية ويتعمَّق ببنى الفونامات الانكليزية ويُقدِّم القواعد الفونولوجيَّة المناسبة وتنظيم السمات الفونولوجيَّة الكلِّية .

---

(39) المدرسة التي عملت بآراء الفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت(1596-1650)

(40) W Von Hunboldt (1767-1835) ولد في بروسيّا . التحق سنة 1787 بجامعة « فرنكفورت » لكي يتخصص بالمحاماة إلا انّه انصرف الى دراسة فقه اللغة سنة1788 بعد أن التحق بجامعةGottingen أوفد الى مؤتمرات فينا (1815-1813) وزيراً مفوّضاً مطلق الصلاحيات واستلم منصب مدير التعليم في وزارة الداخليةْ واسس جامعة برلين سنة 1810 .

درس همبولد ما عدا اللغات الكلاسيكية ، لغات الهنود الحمر في اميركا الشمالية واللغة السنسكريتيَّة والصينية والمجريَّة والترية ، بالاضافة الى اللغات السامية واللغة اليابانية والبرمانية ولغة كاوي المنتشرة في جزيرة « جوا » . (انظر ميشال زكريا (1980) : صفحة270

(41) Noam ChomsKy and M Halle : the sound Pattern of English New york and London : Harper Row 1968

(42) تشومسكي (1968 ـ أ) صفحة9

3 ـ «اللغة والفكر» (43) سنة 1968 .

يعرض تشومسكي ، في كتابه هذا ، مجمل ابحاثه بصورة موجزة وواضحة . يحتوي هذا الكتاب على ثلاث محاضرات كان قد القاها تشومسكي في جامعة « بركلي » سنة 1967 . في المحاضرة الاولى ـ الماضي ـ يشير الى المساهمات السابقة في مجال البحث الألسني فيبيِّن انهَّا تُقدِّم أسساً بالامكان الاستفادة منها في الدراسات الحديثة ولا يجدر ، بالتالي ، اهمالها . امَّا المحاضرة الثانية ـ الحاضر ـ فتتناول الابحاث الالسنية الحاليَّة التي لها تأثير حاسم بالنسبة لدراسة الفكر الانساني . في حين انَّ المحاضرة الثالثة ـ المستقبل ـ تناقش ، من الناحية النظرية ، الاتجاهات التي بالامكان ان تتخذها دراسة اللغة والفكر .

4 ـ « مسائل المعرفة والحرِّية (44)» سنة 1971 .

يحتوي هذا الكتاب على المحاضرتين اللتين القاهما تشومسكي في ذكرى برتراند راسل (45) في معهد الثالوث الاقدس في كمبردج. يُحلل فيه تشومسكي القضايا الفكرية المرتبطة ببعض المسائل التي اثارتها كتابات الفيلسوف الانكليزي « راسل » . ففي المحاضرة الاولى يناقش افكار راسل في مجال قضايا اللغة . وفي المحاضرة الثانية يناقش آراء راسل في ما يتعلَّق بالحريَّة والطبيعة البشرية والقضايا السياسية والاجتماعية .

5 ـ دراسات الدلالة في القواعد التوليدية» (46) سنة 1972 .

يُعدل تشومسكي ، في كتابه هذا ، بعض مسائل النظرية النموذجية كماوردت في كتاب « ملامح النظرية التركيبيَّة) ويتركَّز التعديل هذا على قضايا التفسير الدلالي .ففي النظرية النموذجية ، يحتوي المكوَّن الأساسي التابع الى المكوَّن التركيبي قواعد تفريع

Noam ChomsKy : Language and Mind New YorK Harcourt Brace Jovanovich 1968 (43)

Noam Chomsky : Problems of Knowledge and Freedom New YorK Basic Books 1971 (44)

B Russel (45) (1872 -1970) فيلسوف وعالم رياضيات انكليزي . حصل على جائزة نوبل للآداب سنة 1950 من مؤلفاته المتنوعة : « مسائل الفلسفة » و « المنهجية العلمية في الفلسفة » و « مستقبل العلوم » و « المعرفة الانسانية : مداها وحدودها » .

Noam Chomsky : Studies on Semantics in Generative Grammar the Hague : Mouton 1972 (46)

ومعجم . ويتم اسقاط قواعد التفسير الدلالي على البنى التي يُولدها المكوّن الأساسي . فتكون البنية العمقية البنية الوحيدة التي تُحدَّد ، من خلالها ، دلالة الجمل وتتخذ التمثيل الدلالي المناسب (47) ويرتكز هذا التعديل على الدراسات التي اجراها « جاكندوف » (48) في مجال التفسير الدلالي .

يقتضي هذا التعديل الابقاء على تحديد الدلالة ، بصورة اساسية ، ضمن البنية العمقية حيث يتم وضع معاني المفردات والعلاقات النحوية الاساسية (الفاعل ، المفعول به ،)للتمثيل الدلالي إلا أنّ بعض القضايا اللغوية المحدودة لا بد،لاعطائها التمثيل الدلالي،من عناصر معيَّنة يجري ادخالها في المكوّن التحويلي كما هو حال مسائل الابتداء Focus والكمّي Quantificateur والنفي وبعض الظروف (even , only) وبعض الافعال المساعدة . . .

يحتوي ايضاً هذا الكتاب على الانتقادات التي يوجهها تشومسكي الى النظرية التي دُعيت « بالدلالة التوليدية » (49) ويقترح تسمية النظرية الألسنية بعد ادخال التعديلات التي وضعها،بالنظرية النموذجية الموسَّعة Theorie standard Etendue

6 ـ «تأمُّلات حول اللغة» (50) سنة 1975 .

يُثير تشومسكي في هذه التأملات مسائل دراسة اللغة وما تتضمَّنه هذه الدراسة فيتساءل كيف بإمكان الانسان ان يكتسب تنظيمات معرفة ومعتقدات وقيم هي ، في الواقع ، غنيَّة جدّاً ، بالرغم من أنّ تجربته الشخصية محدودة جدّاً .

---

(47) لمزيد من الايضاح انظر ميشال زكريا (1980) صفحة202 - 216

(48) JacKendoff السني من مؤلفاته

R S Jackendoff : Semantic Interpretation in Generative Grammar Canbridge Mass M I T Press 1972

(49) Sémantique Génerative : اتجاه السني توليدي وتحويلي تفرَّع عن النظرية الألسنية النموذجية كما يعرضها تشومسكي في (ملامح النظرية التركيبيَّة) ، يرفض الاقرار باستقلالية المكوّن التركيبي عن المكوّن الدلالي ويعتبر انّ البنية العمقية تتطابق مع التمثيل الدلالي .

من ابرز ممثلي هذا الاتجاه ، الألسنيون Postal ، Lakoff ، Mccawley ، Ross ، Bach و Fillmore ، وتتركَّز قضايا الاختلاف بين الدلالة التوليدية والنظرية النموذجية في القضايا التالية :

أ ـ تُعيد الدلالة التوليدية النظر في البنية العمقية وبخاصة في ما يتعلَّق بالفئات الكلامية . فترى انَّ عدد الفئات الكلامية اقل مما تشير اليه النظرية النموذجية . مثلاً يُوحِّد Lakoff بين فئتي الفعل والنعت في فئة واحدة .

ب ـ تنتقد الدلالة التوليدية قواعد ادخال المفردات المعجمية في ما يتعلَّق بوظيفتها وبطبيعتها وبموقع ادخالها .

ج ـ تعتمد القضايا المنطقية في ابحاثها بصورة اساسية وتُركِّز على دور المكوّن الدلالي .

(50) Noam Chomsky : Reflections on Language New York : Pantheon 1975

يُركِّز تشومسكي ، في كتابه هذا ، على أنّ نمو اللغة عند الانسان شبيه نوعاً ما بنمو الجهاز الجسمي الانساني وتحدِّده ، بالتالي ، العوامل التكوّنية . كما يُؤكّد على انّ دراسة اللغة تساعد على دراسة قضايا الادراك عند الانسان . ويتطرَّق الى التداخل الحاصل بين اللغة وبين بقية الاجهزة العقلية .

7 ـ «دراسات في الشكل والتفسير» (51) سنة 1977

يتناول تشومسكي في كتابه هذا الشروط المجرَّدة التي تخضع لها التحويلات في عملها ويشير الى الشروط التي تُحدِّد اجراء التحويلات ونوعية العمليات التي يقوم بها التحويل . ويرى أنه لا بدَّ من تقييد فئة القواعد التحويليَّة وفقاً لمقدرة الانسان على اكتساب اللغة .

يُجري تشومسكي في كتابه بعض التعديلات في ما يختص بقواعد التفسير الدلالي فيشير الى نوعين من قواعد التفسير الدلالي :

أ ـ قواعد التفسير الدلالي التي هي جزء من قواعد الجملة والتي تتناول مظاهر موضوع الكلام thématique ومظاهر التكرار anaphore فتكوِّن الشكل المنطقي .

ب ـ قواعد التفسير الدلالي التي يتم اجراؤها على الاشكال المنطقية والتي تتداخل مع بقيَّة البنى الادراكية .

ومن خلال هذين النوعين من قواعد التفسير الدلالي ، يتم ، في اطار النظرية التوليدية والتحويلية، تمثيل المعاني .

---

(51) Noam Chomsky : Essays on Form and Interpretation Elsevier North - Holland Inc 1977

الفصل الثاني

الكفاية اللغوية والأداء الكلامي

1ـ لغة الانسان «ولغة» الحيوان

« يُمكن اعتبار اللغة بمثابة الميزة الحقيقية التي تُفرِّق بين الانسان وبين الحيوان » هذا القول للفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت (1596 -1650) يستشهد به الألسني نوام تشومسكي في كتابه « الألسنية الديكارتية »(1) . واعتبار اللغة خاصة انسانية يمتاز بها الانسان ، من دون سائر المخلوقات اعتبار قديم قد لفت انتباه العلماء الأوائل الذين اقروا بأهمية موضوع اللغة وكتبوا فيه مطوّلاً على الطريقة التي ساروا عليها في كتاباتهم . فاللغة ترتبط بصورة وثيقة بالانسان وببيئته وتستتب اهميتها في كونها الوسيلة التي يحتاج اليها الانسان لاتمام عملية التواصل بينه وبين افراد بيئته والتي تتيح له بصورة طبيعية ان يُعبِّر عن آرائه واحاسيسه محققاً بذلك ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه .

انّ قدرة كل انسان على استعمال اللغة ، بهدف التواصل بينه وبين الآخرين ، تبدو لنا مسألة شاملة وكلِّية وطبيعية الى حد اننا لا نحاول غالباً التفكير بها ومن ثم تحليلها. فكل طفل سوي ، كما هو معلوم لدى الجميع ، قادر على ان يتكلَّم كما هو قادر على ان يمشي او على ان يأكل. هذه القدرة، بالذات، هي التي دفعت البعض الى ان يطلق على الانسان تسمية « الحيوان الناطق » فيميِّزه، باعتبار ملكته هذه، عن سائر المخلوقات .

ينبغي الاّ يفهم من كلامنا هذا ، بأي حال من الاحوال، انَّ الحيوان لا يمتلك في الواقع ، اية وسيلة اتصالية على غرار ما يمتلك الانسان، بل تكشف الملاحظة الدقيقة لتصرف الحيوانات انّ بعضها يستعمل تنظيماً اتصالياً ، على قدر كبير من الدقّة، إلا انه يختلف كمِّياً ونوعياً ، كما سنرى ، عن اللغة الانسانية .

تجدر الاشارة هنا الى أنّ تشومسكي حين بدأ بوضع نظريته الالسنية

---

(1) تشومسكي (1966 ـ أ) صفحة 24

التوليدية والتحويلية كانت الألسنية في الولايات المتحدة تُرسِّخ آنذاك ، وبصورة عامة ، اتجاهاً بنيانياً متأثراً بصورة مباشرة، بالمذهب السيكولوجي السلوكي الذي يعتبر انَّ اللغة كناية عن مجموعة عادات صوتية تتكيَّف بمثيرات البيئة . فمتكلم اللغة ، في تقدير المذهب السلوكي ، يستمع الى جملة معيَّنة او يشعر بدافع معيَّن تستثار فيه استجابة كلامية من دون ان ترتبط هذه الاستجابة بأي شكل من اشكال التفكير ، بل ترتبط فقط بالمثيرات التي تحركها فلا تتطلب ، بالتالي ، تدخل الافكار الذهنية او القواعد النحوية .

يفترض هذا الاتجاه المذهبي حصول الاستجابة الكلامية للمثيرات المتعددة على نحو شبيه ، في الواقع ، الى حد كبير، بما يحصل عند الحيوان . ويذهب الى ابعد من ذلك اذ يتَّخذ من التجارب المخبرية التي تبرز سلوك بعض الحيوانات (الفأر ، الكلب) تجاه الحافز برهاناً اكيداً وحجَّة ثابتة ، لكي يُؤكد انَّ اللغة ناجمة عن الحافزبالذات ، من هذه الزاوية تبدو اللغة بالنسبة الى الألسنيين البنيانيين كناية عن سلسلة من الاستجابات المتتالية . فالاحداث المادية تترابط في اللغة مع عناصر الكلام (الكلمات . .) التي تُعزى بالنتيجة ، في السياق الكلامي، الى هذه الاحداث .

يبرز هذا المنهج ، بصورة واضحة ، في مؤلفات الألسني ليونرد بلومفيلد ، الذي لا يجد اي اختلاف اساسي بين لغة الانسان وبين التنظيم الاتصالي الممكن ملاحظته عند الحيوان فيرى انَّ وظيفتهما واحدة وإن أقرَّ بأنَّ لغة الانسان تمتاز بتفاضلية أكبر .

يرفض تشومسكي التسليم بهذا الاتجاه ويُركِّز على انَّ اللغة الانسانية تختلف بصورة جذرية، عن اي تنظيم اتصالي يمكن ملاحظته عند الحيوان والتجارب الحديثة التي اجريت على بعض الحيوانات بهدف تحليل الاصوات التي تصدر عنها تدعم ما يذهب اليه تشومسكي في ان اللغة الانسانية هي خاصة انسانية ذاتية . ففي الواقع ، استدلَّ العلماء ، في رصدهم اصوات هذه الحيوانات انَّ لبعضها قدرة على اداء اصوات هادفة الى ايصال غايات معيَّنة . كما قد اثارت هذه الظاهرة انتباه الألسنيين الذين اولوا جلَّ اهتمامهم للحظ الاصوات الحيوانية من دون ان يغفلوا ، في الواقع ، عن حقيقة موضوعية وغير قابلة الشك وقائمة على اعتقاد راسخ بأنّ هذه الاصوات تُغاير تماماً الاصوات اللغوية التي تتألَّف منها لغة الانسان وبالتالي، لا ينبغي مقارنتها ، من واقع علمي ، باللغة الانسانية . فالحيوان يحاول ايصال نواياه الى الحيوانات الاخرى عن طريق اصدار بعض الاصوات او الصرخات . إلا انَّ

محاولته هذه لا تتخطّى كونها ، في افضل الاحوال ، نتيجة طارئة لسلوكه . فمثلا تؤدي القرود والدولفين بعض الصرخات منها صرخات السرور عندما يُطعمها مدربها ومنها صرخات واهنة- عندما تحزن ومنها صرخات تُعبِّر عن طلب النجدة. تشير هذه الصرخات، الى وجود تنظيم اتصالي تمتلكه بعض الحيوانات، إلا انّ هذا التنظيم تنظيم مُغلق يحتوي على عناصر قليلة ومحدَّدة من الصرخات الثابتة تتميَّز كل منها وتنفرد عن غيرها من العناصر الاخرى من حيث الصوت والفحوى ولا ترتبط بعضها ببعض ، بل يُفيد كل عنصر من هذه العناصر ، بمفرده ،عن واقع معَّين بمجمله ويرتبط بسلوك مميَّز أو بشعور معَّين .

وقد يسلك التنظيم الاتصالي مسلكاً خاصاً عند بعض الحيوانات فيتضمَّن عدداً محدَّداً ومحدوداً من الابعاد اللغوية التي يرتبط كل منها ببعد خاص غير لغوي اذ يُشير كل تركيز على نقطة معيَّنة من البعد اللغوي الى نقطة مقابلة في البعد غير اللغوي. نلاحظ هذه السمة في غناء « ابو الحن الاوروبي » حيث ثبت لدى الباحثين في هذا المجال ، انَّ هذا العصفور يُظهر مدى تصميمه على الدفاع عن موقعه عندما يرتفع معدَّل تعاقب الارتفاع في تغريده . فيقوم عمل العصفور « اللغوي » باختيار نقطة مناسبة على مدى بعد معدَّل تعاقب الارتفاع الصوتي ليشير الى مقدار تصميمه هذا . فهذا النوع من التنظيم الاتصالي يمتلك اشارات متنوِّعة يُمكن استخدامها كما هو واقع اللغة الانسانية إلا انَّ الآلية والمبادىء التي تسيِّره تختلف عما هي في اللغة الانسانية التي يُمكن التعبير بواسطتها وبصورة غير متناهية عن الافكار والمشاعر والغايات المتجددة . في هذا الاطار يقول تشومسكي .

« يجب ان نخلص الى القول بوجود مباديء انتظام مختلفة بصورة تامة . فحين نؤكِّد على نحو كيفي، شيئاً ما في لغة انسانية كقولنا مثلاً انَّ المد الحاصل للاجهزة التي تتخطَّى الدول يُكوِّن مخاطر جديدة على حرية الانسان ، فنحن لا نختار نقطة ملائمة لمدى ما على طول بعد غير لغوي كما لا نقوم باختيار اشارة في لائحة سلوك محدَّدة أكانت هذه اللائحة فطرية ام مكتسبة (2) » .

فاللغة اذاً كما يُؤكّد، عن حق، الفيلَسوف ديكارت هي ميزة انسانية . ولعلَّ الذين ينظرون الى اللغة كتحقيق فكري يعتقدون، ايضاً، ان اي حيوان يمتلك دماغاً متطوراً بعض الشيء يستطيع اكتساب لغة انسانية معينة ، الا انَّ هذا الاعتقاد الاخير اعتقاد خاطىء وذلك لأنَّ الدماغ الانساني لا يتَّصف فقط بكونه اكبر حجماً

(2) تشومسكي (1968 ـ ب) صفحة 104-105

من دماغ القرد مثلاً،بل يُبدي اختلافاً ظاهراً من حيث نوعيته وبنيته . ومعروف في هذا ، انَّ بعض الأقزام الذين لا يتعدَّى حجم دماغهم نصف حجم دماغ الانسان العادي يمكنهم استعمال اللغة- بصورة مقبولة،فمهما ارتفعت درجة ذكاء القرد او الشمبنزي لا يستطيع اكتساب اللغة، في حين يكتسب كل طفل انساني اللغة ، بصرف النظر عن ارتفاع درجة ذكائه ومن الثابت ايضاً ان«المنغولي » (3) يستطيع التعامل مع اللغة وإن بصورة بدائية جدّاً وذلك بالرغم من اصابته المرضية التي تحدّ من ذكائه .

نجد هذه الآراء ايضاً عند « ديكارت » حين يؤكِّد :«أنَّ الحيوانات تفتقر الى عنصر اساسي كما يفتقر الجهاز الآلي الاكثر تعقيداً والذي يقوم بتطوير بنى فكرية في شكل تشريط وتداع.وهذا العنصر هو نوع الذكاء الثاني الذي يتكلم عنه الطبيب الاسباني هيوارت Huarte أو القدرة العامة التي تتجلى ، في استعمال اللغة استعمالاً طبيعياً كوسيلة تفكير حرة (4) »

يُوضح تشومسكي في مكان آخر نظرة « هيوارت » في هذا المجال فيقول :

« بالنسبة الى هيوارت فإن جذر الكلمة Engenio يعني ولَّد فيرّبط بينها وبين الكلمات ingenero, genere, gigno وهكذا يلاحظ انَّ في الانسان قوَّتي توليد ، احداها مشتركة مع الحيوان والنبات والثانية مشتركة مع الجوهر الروحي : الاله والملائكة . فالروح Ingenio قوَّة توليدية ، قوَّة الاكتساب بالفكر ولها قوَّة طبيعية للانتاج والتوليد (5) »

نصل هنا الى مفهوم الابداعية في اللغة . هذا المفهوم الذي اعاده تشومسكي بقوة الى الاذهان في وقت سيطرت فيه . بالذات،الافكار التبسيطية الميكانيكية المتأثرة بالمذهب السلوكي .

2 ـ الابداعية في اللغة

« في ظل النظرية الألسنية التقليدية تبرز بوضوح صفة الابداعية كـإحدى الصفات الاساسية التي تتّصف بها اللغات بصورة مشتركة . فاللغة تتسم بميزة اساسية من حيث انها توفِّر للانسان الوسائل اللازمة لكي يُعبِّر بصورة غير متناهية

---

(3) الانسان المصاب بمرض المُغْلِيَّة (بلاهة خلقية تصيب الطفل عند ولادته فتنحرف عينيه ، وتتسطَّح جمجمته فيصبح شكل وجهه قريباً الى شكل أهالي منغوليا .)

(4) تشومسكي (1968 ـ ب) صفحة25

(5) تشومسكي (1966 ـ أ) صفحة22

عن افكار متعددة، ولكي يتفاعل بصورة ملائمة، في عدد غير متناهٍ من المواقف الجديدة [6] .»

وقد اشير، مطوّلاً، الى هذه السمة الابداعية في القرن السابع عشر، كما قد كوَّن هذا المظهر اللغوي حجر الزاوية في النظرية الألسنية الكلاسيكية [7] الا انه اهمل تلقائياً وبصورة متدرجة، خلال تطور الألسنية البنياتية الحديثة وذلك بتأثير من المبادىء السلوكية في علم النفس. غير انّه لا يصح، بالمقابل، اغفال بعض ملامح هذا المظهر الابداعي التي نجدها عند الالسنيين البنيانيين. فحسبنا ان نعلم انَّ اندره مارتينه A. Martinet، على سبيل المثال لا الحصر، يتكلّم عن المواقف المتنوعة وغير المتناهية، وعن مسائل الخبرة التي تُعبِّر عنها اللغة. فاللغة تبتكر بواسطة عدد محدود من الفونامات المتوفرة لديها، عدداً غير متناه من الاشكال والتراكيب التي تنص على معنى معيّن. ويُشير ايضاً اميل بنفنيست E. Benveniste الى انَّ جمل اللغة تكوِّن مجموعة غير متناهية كما يذكر هيمسلوف Hjemslew انَّ اللغة هي غير متناهية [8] .

تقوم اللغة الانسانية على تنظيم منفتح وغير مغلق من العناصر، تتجلى فيه السمة الابداعية عبر مقدرة المتكلم على انتاج وعلى تفهم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له سماعها قبلاً. تختص هذه المقدرة بالانسان وبالذات من حيث هو انسان ولذا لا نجدها عند اي كائن آخر.

ترتبط هذه المقدرة بصفة اساسية، بتنظيم قوانين لغوية يُتيح لمن يدركه ان ينتج بواسطته الجمل غير المتناهية، وأن يفهم ايضاً، بموجب التنظيم نفسه، الجمل التي ينتجها الآخرون. والجدير بالتنويه، هنا، انَّ عدد قوانين هذا التنظيم محدود ومع هذا يُنتج هذا التنظيم المحدودة قوانينه، وعلى اوسع نطاق، عدداً غير محدود وغير متناه من الجمل. تتحدد قوانين هذا التنظيم تبعاً لقدرات الانسان الذاتية. فعندما يتكلّم تشومسكي عن آلية محدَّدة وقادرة على انتاج عدد غير متناه من الجمل فهو يحُلِّل في حقل اللغة كيف انَّ جهازاً محدوداً كالعقل الانساني قادر على القيام بنشاطات هي، في الحق، غير متناهية.

يتَّصف المظهر الابداعي في اللغة بالميِّزات التالية :

---

(6) تشومسكي (1965) صفحة 6

(7) وخصوصاً عند الفرنسي رينه ديكارت وعند الالماني همبلد Humboldt

(8) لمزيد من الايضاح انظر ريفات 1967 صفحة 51

1 ـ انّ استعمال اللغة الطبيعي تجددي . فالسلوك اللغوي العادي يتضمّن كميزة خاصة ميزة الابتكار والتجديد وبناء جمل جديدة وبنى جديدة . فكل ما يتلفظ به الانسان ، غالباً ، في استعماله اللغة هو ، بالتأكيد ، تعابير متجددة ولا يُمكن ، بأي حال من الاحوال ، اعتباره ترداداً لما سبق ان سمعه .

2 ـ لا يخضع استعمال اللغة لأي حافز ملحوظ ، بل هو حرٌ .« فاستعمال اللغة العادي ليس فقط تجددياً ومداه الصمني غير متناه ، بل هو ايضاً متحرر من كل المثيرات خارجية كانت ام داخلية . وبفضل هذا التحرر من ضوابط المثيرات يُمكن استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير ذاتين(9) . »

3 ـ يُثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة وملاءمتها لظروف التكلم . وهذا التماسك هو ، في الواقع ، مظهر اساسي من مظاهر اللغة الانسانية :

«فالمساجلات الديكارتية في ما يتعلّق بحدود التفسير الميكانيكي قد ابانت ميزة ثالثة للاستعمال اللغوي وهي تماسك اللغة وملاءمتها الظرف . وهذا بالتأكيد يتنافى تماماً مع سيطرة المثيرات الخارجية (10) » .

« ينبغي ان نضع تمييزاً واضحاً يميِّز بين ملاءمة السلوك اللغوي الظروف (ظروف التكلم) وبين سيطرة المثيرات على السلوك (اللغوي) فسيطرة المثيرات تُعزى الى الآلية المسيرة في حين ترتد الملاءمة في تنوعها الانساني ، الى خارج اطار التفسير الميكانيكي (11) » .

إذاً ، يُميِّز تشومسكي بين عملية التشريط (12) وعملية الابداع فلئن قارنّا بين الانسان وبين الحاسبات الالكترونية تراءى لنا انّ الحاسبات ، وإن فاقت قدرتها على تخزين المعلومات ، قدرة الذاكرة الانسانية ، فإنها تبقى ، بصورة قاطعة ، رهناً بالبرمجة التي يمررها الانسان عليها . فهذه الآليات لا يُمكنها الابتكار والتجدد بل لا يمكنها برمجة نفسها .فهي خاضعة ، بصورة اساسية ، لبرمجة محدَّدة تُسيِّر عملها و تُبرِّر وجودها ووظيفتها .

نتلمَّس المعطيات نفسها حين نوازن بين لغة الانسان وبين « لغة » الحيوان .

(9) تشومسكي (1968 ـ ب) صفحة 27

(10) تشومسكي (1968 ـ ب) صفحة 27

(11) تشومسكي (1966 ـ أ) صفحة 21

(12) ينظر السلوكيون الى اللغة كمجموعة عادات صوتيّة يكيفها حافز البيئة . فالمتكلم برأيهم يشعر بشعور معينٌ فتتولّد عنده استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأي شكل من اشكال التفكير .

فلغة الحيوان ، كما اشرنا ، لغة قائمة على تنظيم مغلق ترتبط عناصره بعدد معيّن من الشروط ومن الحالات الداخلية . فلا يستطيع الحيوان ان يبتكر في استعماله الاصوات او الصرخات ، ولئن اثبتت الدراسات التي عالجت لغة الحيوان ، وجود تنظيم لغوي معين،ولئن اسفرت محاولات بعض العلماء عن تلقين الحيوانات سلوكاً معّيناً او كلمات متفرِّقة يبقى استعمال الحيوان لهذه العناصر ترداداً لما قد لقّنها اياه المدرِّب .

« إن اللغة الانسانية » ، يكرر تشومسكي القول « تتجلّى ، عبر مظهر استعمالها الابداعي ، في القدرة الخاصة على التعبير عن افكار متجددة ، وعلى تفهم تعابير فكرية ايضاً متجددة ، وذلك في اطار لغة « مؤسسة »هي نتاج ثقافي خاضع لقوانين ومبادىء تختص بها جزئياً وتعكس ، جزئياً ، خصائص عامة للفكر (13) » .

في ظل هذا التصور بالذات ، يمُكن اعتبار اللغة نتاجاً وفعل صنعٍ في آن معاً وعملاً عقلياً يتجدد باستمرار .

قلنا انَّ الابداعية في اللغة تلوح في قدرة متكلمها على انتاج عدد غير متناه من جمل اللغة وفقاً لتنظيم قواعد هو غاية في التعقيد . ولا يختص المتكلم فقط بهذا التنظيم،بل « هذا التنظيم قائم بالنسبة الى متكلم اللغة الذي ينتج بواسطته الكلام الجديد والملائم ظروف التكلم وبالنسبة الى المستمع الذي ينبغي له أن يحُلل هذه البنى الجديدة ويُفسِّرها (14) » .

لا نبالغ اذا قلنا انَّ استعمال تنظيم قواعد محدودة ، لانتاج جمل اللغة غير المتناهية والمتجددة بصورة دائمة ، أمر يمُكن ان نفهمه بسهولة ، فما علينا ، في سبيل ذلك الا ان نشبه هذا الامر بالفنّان او بالعازف على الآلة الموسيقية الذي يستطيع بعزفه « نوتات » معينة ، ان ينتج الالحان المتجددة التي تُعبِّر عن مشاعره وأحاسيسه ، والمسار نفسه نلاحظه عند كل انسان قد اكتسب قواعد الحساب ، فيمكنه استناداً الى هذه القواعد المحدودة ان يُؤدِّي عمليات حسابية متنوعة جداً .

وما يجب ان نلفت الانتباه اليه ، هنا ، هو انّ الابداعية في اللغة ظاهرة عادية يمتاز بها الانسان بصورة طبيعية ، ولا يجب ، بالتالي ، حصرها فقط في الاعمال الخلّاقة في مجال الابداع اللغوي او الادبي . ففي الواقع ، كل انسان يتكلم لغة ما قادر على ان ينتج جملاً متجدِّدة لم يسبق له سماعها من قبل واستعماله

(13) تشومسكي (1968 ـ ب) صفحة19

(14) تشومسكي(1965) صفحة9

لغته في مختلف المجالات التواصلية اليومية هو ، في الحقيقة ، استعمال ابداعي في ظل مفاهيم الألسنية التوليدية والتحويلية :

« فانا عندما اتكلّم عن الابداعية لا اقوم بأحكام تقويمية . فالابداعية تندرج في استعمال اللغة الاستعمال اليومي العادي وفي الفعل الانساني. وفي رأيي ، إن ديكارت كان يُفكِّر بتعريف شبيه بالتعريف الذي وضعته ، عندما ميَّز بين الانسان والببغاء (15) . »

3 ـ التمييز بين الكفاية اللغوية وبين الاداء الكلامي .

يُسمِّي تشومسكي القدرة على انتاج الجمل وتفهمها ، في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية Compétence .

« يُشير مصطلح الكفاية اللغوية الى قدرة المتكلم ـ المستمع المثالي على ان يجمع بين الاصوات اللغوية وبين المعاني ، في تناسق وثيق مع قواعد لغته (16) » .

هذه الكفاية ينطبع عليها الانسان ، منذ طفولته ، وخلال مراحل اكتسابه اللغة ، وترتبط بصورة وثيقة بقواعد اللغة :

« فمن الواضح جدّاً انَّ للجمل معنى خاصاً تحدده القاعدة اللغوية ، وانَّ كل من يمتلك لغة معيَّنة ، قد اكتسب، في ذاته ، وبصورة ما ، تنظيم قواعـد تُحدِّد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص . فهذا الانسان قد طوَّر في ذاته ما نسمِّيه بالكفاية اللغوية الخاصة (17) » .

يقرن التنظيم اللغوي بين الصوت اللغوي وبين المعنى على نحو مخصص ويُمكن ترجمة امتلاك اللغة ، على الصعيد المبدئي ، بالقدرة على تفهّم ما يُقال في اللغة ، اي القدرة على اعطاء الاصوات الملفوظة معنى مختصّاً ، وبالقدرة ، ايضاً ، على انتاج الاشارات الكلامية التي تحتوي على تفسير دلالي يُراد التعبير عنه . فحين يمتلك الانسان لغة معيَّنة ، وبصورة طبيعية ، يكون بامكانه ، في واقع الحال ، استخدامها في مختلف الظروف الكلامية ، وذلك من خلال المامه بالقواعد الذاتية للغة .

من هذه الزاوية ، يُمكن تحديد الكفاية اللغوية بأنها معرفة الانسان الضمنية

---

(15) تشومسكي (1977 ـ ج) صفحة92

(16) تشومسكي (1967 ـ أ) صفحة126

(17) تشومسكي (1967 ـ أ) صفحة(125)

باللغة ، او بالاحرى ، هي معرفة الانسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها . وبالامكان التمييز بين المعرفة باللغة من جهة ، وبين استعمال اللغة الذي يُسمَّى بالاداء الكلامي Performance من جهة اخرى . فالاداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين وفي الاداء الكلامي يعود متكلِّم اللغة ، بصورة طبيعية، الى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية ، كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم . فالكفاية اللغوية ، بالتالي ، هي التي تقود عملية الاداء الكلامي .

ينجم عن هذا التمييز بين الكفاية اللغوية او المعرفة الضمنية باللغة وبين الاداء الكلامي او الاستعمال الآني للغة ، اعتبار الاداء الكلامي بمثابة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية . الا انَّ هذا التصور يستند ، بصفة اساسية ، الى مفهوم مثالي « يلتزم به في الابحاث العلمية ، وذلك لاغراض منهجية » . إذ إنَّ الاداء الكلامي كما تمكن ملاحظته ، في الواقع ، لا يخلو ، عادة ، من بعض الانحراف عن قوانين اللغة . لذلك لا يعكس مباشرة الكفاية اللغوية . فالتماس المثالية ، بهدف مسايرة مقتضيات البحث ، يجعلنا نفترض انَّ الاداء الكلامي هو الانعكاس الحاصل ، في عملية التكلم ، للكفاية اللغوية

عندما نقول إنَّ الانسان يستعمل ، حين يتكلَّم كفايته اللغوية ، اي معرفته الضمنية بتنظيم قواعد لغته ، لا يعني كلامنا هذا ، انه يستعملها ، بصورة تامة ومتكاملة ، في عملية التكلم.وذلك لأنَّ الاداء الكلامي وإن يكن ناجماً عن الكفاية اللغوية فانه يشتمل عامة ، على عدد من المظاهر الخاصة ، والتي لا ترتبط بالتنظيم اللغوي والتي تعزى الى عوامل بالغة التشابك وخارجة عن اطار اللغة :

« واضح انَّ استعمال اللغة ، اي الاداء الكلامي الفعلي كما نلاحظه ، لا يعكس فقط العلاقات الاصلية القائمة بين الصوت اللغوي وبين المعنى ، والتي تندرج في تنظيم القواعد اللغوية ، فالاداء الكلامي ينطوي ايضاً على عوامل متعددة(18) » .

غني عن الذكر انَّ الانسان عندما يتكلَّم بصورة طبيعية ، لا يصوغ كلامه على نحو ينطبق تماماً على الاصول اللغوية ، اذ غالباً ما يطرأ تغيرعلى جمله في نصفها، او يحصل ثمة وقف قبل انتهائها ، او تظهر زيادات وتردادات فيها غير متقيدة بمراعاة السياق ، فاداء المتكلم ، والحالة هذه،يُبرز بعض الاغلاط التي تنم عن توان ، وتكاسل لدى المتكلم . ترتد هذه الاغلاط الى عدَّة عوامل،نذكر منها ،

---

(18) تشومسكي (1967 ـ أ) صفحة126

هنا ، محدودية الذاكرة وعدم الانتباه والانفعال والغضب والتعب والسهو . ومن السهل علينا ، في الواقع ، اكتشاف هذا الانحراف عن القواعد ، انطلاقاً من معرفتنا بقواعد اللغة ، اي بواسطة كفايتنا اللغوية بالذات ، لكأن متكلم اللغة قد اكتسب طريقة في التمييز بين ما هو خطأ في لغته وبين ما هو مطابق لاصولها ، في الوقت الذي اكتسب فيه اللغة .

السؤال الذي يطرح نفسه ، هنا ، هو التالي : ما هي ابعاد هذا التمييز بين الكفاية اللغوية وبين الاداء الكلامي من الناحية الألسنية ؟ وهل يقتصر هذا التمييز على التمييز بين اللغة وبين استعمال هذه المعرفة في السلوك الكلامي ؟ أم يتعدَّاه باتجاه توسيع مجال فهمنا اللغة من حيث هي حقيقة عقلية ، من جهة ، وباتجاه تطوير دراستنا اياها من حيث هي وسيلة تواصل وأداة تعبير، من جهة ثانية ؟ وما هي القضايا النظرية والعملية التي يقوم عليها هذا التمييز ؟

قلنا انّ الكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي تُتيح للانسان انتاج الجمل وتفهمها في لغته . وهي بمثابة ملكة لا شعورية تُجسِّد العملية الآنية التي يُؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة جمله ، وذلك طبقاً لتنظيم القواعد الضمنية الذي يقرن بين المعاني وبين الاصوات اللغوية . وعلى الالسني، بالذات، ان يدرس هذه الكفاية اللغوية وان يتوصَّل الى معرفة مباشرة بالقواعد الكامنة ضمنها اي ان يتوصل مباشرة الى ادراك معرفة المتكلم الضمنية . فالكفاية اللغوية هي التي تتيح لمتكلم اللغة الذي لا يمتلك ، في الواقع ، معرفة واعية بالقواعد التي تخضع لها عملية التكلم ، ان يلم بصورة كافية بنواحي استعمال لغته بحيث لا يقع في الاخطاء ، وان يعلم ايضاً اذا كان الكلام الذي ينطبق به متكلم آخر . في لغته كلاماً صحيحاً ام غير صحيح . فالكفاية اللغوية تعزى الى منطقة اللاوعي عند الانسان ، وتتصف بطابع اللاشعور ، فترتد اللغة ، في هذا الاطار ، الى عملية تحقيق ضمني ولا شعوري لسياق الكلام الذي يعيه متكلم اللغة بقدر ما ينطق به . اما الكلام المنطوق والملحوظ فيرتد الى الاداء الكلامي .

من هذا المنطلق العلمي نفهم ، بالذات ، القواعد على انها التنظيم المحرِّك لآلية التكلم والكامن ضمن الكفاية اللغوية . فالكفاية اللغوية اذاً امتلاك الآلية اللغوية ، بينما الاداء الكلامي هو حصيلة عمل هذه الآلية ، او بمعنى آخر ، هو نتيجة العمل التواصلي في مجمله ، اي الكلام الذي يتفوه به المتكلم ،فيسمعه المستمع ويُفسِّره . فاللغة ، في ظل النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية ، هي مسار عقلي وديناميّ . اذ إنَّ وراء السلوك اللغوي الظاهر الذي يتجلَّى ويتمظهر في الاداء

الكلامي الذي يمكن لحظه مباشرة ، يكمن التنظيم المحرِّك القائم في ذهن الانسان ضمن الكفاية اللغوية ، والذي يُحدِّد هذا السلوك . وتغيرُّ التحقيق الكلامي بين فرد وآخر ، رهن بالعوامل التي ذكرناها : الانتباه ، التعب ، الانفعال (يُمكن ان نضيف اليها هنا وضع المتكلم الاجتماعي) ، اما الكفاية اللغوية فهي ثابتة لا تتغيرَّ . ويجدر التنويه ، هنا ، بأن الاداء الكلامي يتفاوت عند الفرد الواحد وذلك تبعاً لموضوع المحادثة وللمكان الذي يتواجد فيه . فالاسلوب الكلامي الذي يعتمده الاستاذ الجامعي ، يتغاير حين يكون في جامعته يُلقي محاضراته امام تلاميذه ، عنه حين يكون في قريته الجبلية ، مثلاً ، يتبادل الاحاديث الودية مع ابناء قريته .

يفترض الاداء الكلامي ، إذاً ، اختيار جملة معيَّنة وفقاً لظرف خاص يخضع لمتغيرات مواقفية متنوعة . والبحث في الاداء الكلامي يتطلب إخذ المواقف هذه بعين الاعتبار وتحليلها ودراسة دوافعها السلوكية . وبالمقابل ، يتطلَّب البحث في الكفاية اللغوية ، من حيث هي القدرة المجرَّدة على انتاج الجمل ، التوصل الى وضع القواعد الكامنة فيها ، والتي تتيح انتاج الجمل وادراكها . تُكوِّن هذه القواعد ، من واقع علمي ، موضوع البحث الألسني الصرف . في هذا الصدد يقول تشومسكي :

« يجب ان نعتبر انَّ الكفاية اللغوية ـ اي معرفة اللغة ـ هي بمثابة تنظيم مجرَّد مكوَّن من قواعد تُحدِّد الشكل والمعنى الاصلي لعدد غير متناه من الجمل الممكنة(19) » .

يردنا تشومسكي ، في هذا المجال ، الى كلام لهمبولد الذي عرَّف اللغة كما يلي (20) :

« هذا التنظيم الثابت ، وغير المتبدل ، والكامنْ ضمن الفعل العقلي والذي يرتفع باشارات ملفوظة ومنظَّمة بنيانياً الى تعبير عن الفكر . . . . هذا التنظيم المتولِّد وفقاً للعنصر العائد (21) وحيث قواعد التوليد محدَّدة وثابتة ، ولكن حيث مجال تطبيقها وطريقة تطبيقها ، بصورة دقيقة ، غير محددتين بتاتاً »

لا بد للألسني ، امام هذه الواقع ، من ان يلتزم ، في دراسته الالسنية

(19)تشومسكي (1968أ ب) صفحة 106

(20)تشومسكي (1968أ ب) صفحة 106 -107

(21)العنصر العائد هو العنصر الذي يظهر على يمين ويسار السهم في قاعدة اعادة الكتابة . لمزيد من الايضاح انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 202

بدراسة الكفاية اللغوية بالذات ، وليس بالمظاهر الكلامية التي لا تعدو كونها انعكاس هذه الكفاية . ولا بدّ له من ان يتقبّل التجريد بالنسبة الى معطيات الاداء الكلامي عندما يبغي دراسة آلية اللغة التي تتيح للانسان تكلم لغته فيستثني بالنتيجة المظاهر غير اللغوية والمرافقة هذا الاداء :

« لدراسة لغةٍ معيَّنة يجب أن نحاول عزل مجموعة العوامل المختلفة التى تتداخل مع الكفاية اللغوية لتحديد الاداء الكلامي الفعلي[22] » .

لا يختلف موقف الباحث الالسني ، في هذا المجال ، عن موقف الباحث في حقول الدراسات العلمية . فعلى سبيل المثال يتغاضى الباحث في حقل الفيزياء عن الاحتكاكات الحاصلة ، في دراساته . كما يهُمل الباحث في مجال الكيمياء بعض الاجسام غير النقية في تحاليله الكيميائية .

اذاً ، المسألة التي تواجه الباحث الألسني ، في الحقيقة ، هي في أن يُحدد من خلال معطيات الاداء الكلامي ، تنظيم القواعد الضمنية الذي يستوعب المعرفة اللغوية التي اكتسبها الانسان منذ مراحل طفولته ، والتي يستعملها ، في الواقع ، في ادائه الكلامي الفعلي . وهذه القواعد التي هي الى حدٍّ كبير حقيقة نفسانية ، يُشار اليها عادة من حيث هي انموذج[23] الكفاية اللغوية .

لا بد من الاشارة ، هنا ، الى انَّ تنظيم القواعد هذا الذي اكتسبه الانسان ، والذي يُتيح تحقيق الكلام على الشكل الذي نألفه في السلوك الكلامي لا يُمكن الاهتداء اليه ضمن المدوَّنة[24] الكلامية إنما يوجد خارج اطار هذه المدوَّنة ، وبصورة ضمنية ، في عقل المتكلم . فالقواعد تصف المعرفة الضمنية التي يحتاج اليها المتكلم لكي ينتج الجمل ويتفهمها .

يبقى السؤال التالي : ما السبيل الذي يعتمده الباحث الالسني للوصول ، في الواقع ، الى هذه المعرفة الضمنية التي تكمن في ذهن الانسان ، اي خارج مجال ادراك الباحث التجريبي والمباشر ؟ للجواب عن هذا السؤال ، لا بد لنا من العودة الى تحديد تشومسكي لموضوع الدراسة الألسنية .

يركِّز تشومسكي ، في تحديده موضوع الدراسة الألسنية ، على فرضية اساسية ينبغي

---

(22) تشومسكي (1967)

(23)انظر مفهوم الانموذج في الفصل السادس من كتابنا هذا

(24)انظر مفهوم المدوَّنة في ميشال زكريا (1980) صفحة 155

أن يقف الباحث الالسني عندها ملياً ، وأن يُفسرها من موقع علمي ، وتُلخص هذه الفرضية على النحو التالي :

(1) أنّ كل إنسان يتكلّم لغة معيَّنة قادر ، في كل آن ، وبصورة عفوية ، على صياغة عدد غير متناه من جمل هذه اللغة وتفهمه واداركه حتى ولو لم يسبق له ابداً لفظ اكثره أو سماعه.ويستطيع هذا الانسان ، بموجب ترعرعه في بيئته ، أن يُعبِّر ، في كل لحظة ، بهذه اللغة ، باتباعه قواعد معيَّنة ويستطيع أن يفهم ، بالعودة الى تلك القواعد نفسها ، عدداً غير متناه من الجمل حين يسمعها أو يقرأها ، في الحقيقة ، لأوَّل مرَّة . وليست مقدرة الانسان هذه محدودة اذ على اساسها يتمكن ، في تقديرنا ، من صياغة وفهم العدد اللامتناهي من الجمل[25] .

اذاً ، تقتضي دراسة اللغة ، بطبيعة الحال ، دراسة هذا التنظيم من القواعد الذي يتيح للانسان تكلم اللغة وتفهم جملها ، والذي هو كائن ضمن مقدرته على استعمال اللغة في مظهرها الابداعي الذي اشرنا اليه .

ينبغي التشديد ، هنا ، على أنَّ تنظيم القواعد الضمني هذا هو الذي يُكوِّن بنية اللغة وواقعها القائم . فهو الذي يربط والحالة هذه ، بين مادة اللغة الدلالية الذهنية وبين مادتها الصوتية ، ولا نبتعد عن جادة الصواب حين نُصرّ على أنّ دراسة هذا التنظيم هي بالضرورة اهم بكثير من دراسة عناصر الكلام ومن دراسة الجمل بذاتها . إلا أنّ المسألة التي لا بد من أن تعترضنا ، هنا ، هي في أنّ هذا التنظيم يكمن ، بصورة ضمنية ، وراء عملية صياغة الجمل ، والنطق بها خلال عملية التكلم . فهذا التنظيم بالتالي ، لا يمكن لحظه ووضع قواعده من خلال المدوَّنة او مجموعة جمل الاداء الكلامي .

أمام هذا الواقع يتم للألسني التوصّل الى المعرفة الضمنية باللغة انطلاقاً من الفرضية التالية التي يمكن أن نضيفها الى الفرضية (1) على النحو التالي :

(2) إنَّ الانسان الذي يتكلم لغة معيَّنة يستطيع أن يفهم جمل لغته هذه ، كما انه يستطيع أن يحكم على الجمل الجديدة من حيث الخطأ أو الصواب .

إنَّ الاحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة اقرارها في ما يختص بجمل لغته هي ، بالذات ، التي تقود الباحث الألسني في سعيه الى التوصل الى وضع اصول تنظيم القواعد الضمنية .

---

(25) تظهر هذه الفرضية بوضوح في مؤلفات تشومسكي . لمزيد من الايضاح انظر تشومسكي (1965 ، 1972 ـ د ـ 1975 ـ ب

تُسمَّى مقدرة المتكلم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة التي تكوِّن جملة صحيحة في اللغة او جملة منحرفة عن قواعد اللغة ، بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة .

إنَّ الحدس اللغوي جزء من كفاية الانسان اللغوية ، أي جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة.وذلك لأنَّ الكفاية اللغوية لا تنطوي على مقدرة انتاج جمل اللغة وتفهمها ، فحسب ، بل تتضمَّن ، أيضاً ، الحكم على اصولية الجمل .

للأيضاح نأخذ المتسلسلة الكلامية التالية :

(3) * بيروت جاء الرجل الى .

من البديهي القول أنَّ متكلم اللغة العربية لا يلزمه وقت كبير لكي يُشير الى أنّ الكلام في(3) لا يُؤلِّف جملة صحيحة في لغته . فحدسه اللغوي يرفضه رفضاً تاماً . مما يُلزم الباحث الالسني اعتبار الكلام هذا متنافياً وقواعد اللغة العربية .

إنَّ اللجوء المنظم الى الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ، يُتيح للباحث الالسني ، من خلاله ، ملاحظة المسائل اللغوية المثيرة الاهتمام واستنباط القوانين اللغوية الكامنة ضمن الكفاية اللغوية . فالحدس اللغوي ، إذاً ، هو الذي يُكوِّن المعطيات اللغوية التي يرغب الباحث في دراستها .

يتبينَّ لنا ، مما سبق ، أنَّ دراسة الكفاية اللغوية تندرج في اختصاص الالسني الذي يوليها اهتماماته الاولية ، وذلك بقدر ما هي المقدرة على تكلم اللغة ، ولأن الاداء الكلامي الذي يُجسِّد هذه المقدرة في كلام ملفوظ أو في نصوص كلامية ، لا يتطابق ، في واقعه ، مع قواعد اللغة الضمنية . والاهتمام الاولي والاساسي بدراسة الكفاية اللغوية لا يعني ابداً ، في نظرنا ، أنَّ النظرية الألسنية تعزف عن دراسة الاداء الكلامي ، أو لا تفطن لمدى اهمية دراسته . فالانتقادات التي يوجهها البعض الى تشومسكي ، والتي تتعلَّق بهذه النقطة بالذات ، لا نجد لها تبريراً سوى عدم تعمُّق هذا البعض بالنظرية التوليدية والتحويلية . وذلك لأنَّ المطّلع على مؤلفات تشومسكي المتعددة ، يُلاحظ ان هذا الاخير ، وإن يكن يولي الاهمية الكبرى الى دراسة الكفاية اللغوية الدراسة العلمية الواضحة والدقيقة ، إلا انه لا يستثني الاشارة الى اهمية دراسة طرق استعمال هذه الكفاية ودراسة ظروف الاداء الكلامي ودوافعه . ففي الواقع ، يُكثر تشومسكي الاشارة الى ذلك بكل وضوح وفي مختلف مؤلفاته :

« إنَّ معرفة اللغة ـ اي تنظيم القواعد ـ ليست سوى عامل واحد من بين عوامل متعددة تُحدد الطريقة التي يُستعمل بها الكلام أو يُفهم في ظرف خاص . . . . . . إنَّ

الألسني الذي يحاول ان يُحدد ما تتكون منه معرفة اللغة وذلك بهدف بناء القواعد الصحيحة يدرس عاملاً اساسياً تنطوي عليه عملية التكلم ولكن ليس هو بالعامل الوحيد(26) » .

« إنَّ من يتكلم لغة معيَّنة يدري على العموم كيف يستعملها للوصول الى اهداف معيَّنة . لذا نستطيع القول انَّ هذا الانسان قد اكتسب تنظيم كفاية مراسيةPragmatique Compétence تتواءم مع كفايته اللغوية التي تختص بالقواعد(27) » .

فبقدر ما يتعلَّق الامر ، سواء بالكفاية اللغوية ، ام بالاداء الكلامي ، يمكن القول أن تشومسكي يميّز بينهما وفقاً لمنهجية علمية تقوم على تحديد المعطيات اللغوية تحديداً علمياً دقيقاً وواضحاً . ومن المغالطات الاساسية التي نلاحظها عند بعض منتقدي تشومسكي ، الخلط الحاصل عندهم ، اذ لا يميِّزون بين عملية التمييز بين شيء وآخر وبين تجاهل الشيء الآخر . فحين يُؤكِّد تشومسكي أنَّ الكفاية اللغوية تتمايز عن الاداء الكلامي لا يعني كلامه هذا ، بأي حال من الاحوال ، انه يستثني من اهتماماته دراسة الاداء الكلامي ، أو انه يدعو الى التغاضي عن دراسته . جل ما في الامر ، انَّه يعي ، بوضوح ، انَّ هناك عوامل متعددة وغير لغوية تدخل في اطار دراسة الاداء الكلامي :

« انَّ استعمال اللغة يستخدم تنظيمات معرفية تتعدَّى الكفاية اللغوية المراسية . فنظرية الاداء الكلامي تُحاول وضع نماذج متطورة تتضمن القواعد وبنى معرفية اخرى ، كما تشمل أيضاً دراسة الحالات الفيزيائية والاجتماعية لاستعمال اللغة . هذه المسائل لا يلحظها التجريد القواعدي(28) » .

ولا بد لنا من الاشارة ، هنا ، الى أنَّ الكفاية اللغوية تكوِّن موضوع دراسة متماسكاً ومتجانساً وانَّ التقدم ، في هذا المجال المحدَّد ، حاجة منطقية ولازمة للتوصل ، فيما بعد ، الى القيام بدراسات جدِّية باتجاه وضع نظرية مفهومة تتناول الاداء الكلامي . وذلك لأنَّه لا يُمكن القيام بدراسة مفيدة ، في مجال الاداء ما لم تكتمل لدينا المعرفة التامة ببنية اللغة وبقواعدها الضمنية.فدراسة الاداء الكلامي لا بد لها من أن تتقيد بالقواعد القائمة ضمن الكفاية اللغوية ، إلا أنها تتناول بالبحث ابعاداً مختلفة نذكر منها هنا المسائل التالية : ملاءمة الكلام للظرف ، سهولة تفهم الكلام ، حقيقة الكلام ، سلامة الكلام ومراعاته مقتضى الحال ، الاسلوب الكلامي . كما انها تخضع لمبادىء خاصة بالبنى المعرفية عند الانسان .

---

(26) تشومسكي (1968 - ب) صفحة ـ47-46

(27) تشومسكي (1977ـ ب) صفحة 11

(28) تشومسكي (1977ـ ب) صفحة 12

« إنَّ مداخلات خارجة عن إطار اللغة ومنصبَّة على المتكلم وعلى الظرف (الكلامي) تقوم بدور أساسي عندما يتعلّق الأمر بتحديد كيفية انتاج الكلام وتفهّمه . . . . ومن ناحية أخرى ، يخضع الاداء الكلامي الى مبادىء البنية المعرفية (على سبيل المثال محدودية الذاكرة الانسانية) التي ليست ، في واقع الحال ،مظاهر لغوية (29) » .

فواضح انَّ دراسة الاداء الكلامي تكوّن قسماً مهماً في البحث الالسني ، وان اتمام الدراسات المتطورة ، في هذا المجال ، يأتي بفائدة كبيرة لمجالات متعددة في الدراسات الانسانية كالسوسيولوجيا والسيكولوجيا والتحليل النفساني والاتنولوجيا والتاريخ .

أمام هذا الواقع ، يُمكن القول إنَّ النظرية الألسنية متكوِّنة من نظريتين مختلفتين ولكنهما متلازمتان . الأولى نظرية الكفاية اللغوية التي تتوسّل اكتشاف تنظيم القواعد الضمنية الذي يُمثِّل البنى اللغوية الكامنة ضمن الكلام العادي ، والثانية نظرية الاداء الكلامي التي تتوخّى دراسة الاسس التي يسلكها المتكلم في انتاج الكلام وتفهمه والتي تتصدّى لدراسة مختلف العوامل السيكولوجية المتداخلة مع العوامل اللغوية في عملية انتاج الكلام .

بقي ان نشير ، في نهاية المطاف ، الى انَّ التمييز بين الكفاية اللغوية وبين الاداء الكلامي تستلزم تمييز بعض القضايا اللغوية عند محاولة ضبطها ، الى قضايا تتبع دراستها دراسة الكفاية اللغوية ، وقضايا أخرى ترتد دراستها الى دراسة الاداء الكلامي . من هذه الزاوية ، نتناول هنا ، على سبيل المثال لا الحصر ، التمييز بين معنى الجملة وبين تفسير الجملة والتمييز بين ما هو منفصل وبين ما هو مطّرد .

انَّ التمييز بين الكفاية اللغوية وبين الاداء الكلامي يستتبع التمييز بين معنى الجملة وبين التفسير الذي تتخذه الجملة. فقواعد الكفاية اللغوية تصف معنى الجمل بصورة مجرَّدة عن استعمالها في ظرف خاص. ومعلوم بالمقابل، انَّه تُمكن الاشارة الى الاشخاص بواسطة عبارات لغوية متنوعة، وفقاً لمقتضيات الحال. مثلاً، يُمكن أن يشار الى جبران خليل جبران بواسطة الكلمات والعبارات التالية:

(4)انا، انت، هو، جبران، صاحب كتاب النبي، فيلسوف مدينة بشري. وذلك تبعاً للمتكلم. كما يُمكن ان تُشير الكلمة الواحدة الى أكثر من شخص واحد. لنلتفت، على سبيل المثال، الى كلمة « أنا » في الجملة التالية :

(5) انا اكملتُ دروسي في الجامعة .

(29)تشومسكي (1967ـ أ)

نلاحظ انَّ في الجملة السابقة، قد يُشير ضمير المتكلم «انا»، الى زيد أو الى مريم أو تباعاً الى عدد كبير ممن يتكلمون اللغة العربية. وبامكان ملايين العرب ان يُشيروا الى ذاتهم باستعمالهم ضمير المتكلِّم هذا. كما انَّ كلمة «جامعة» في الجملة (5) قد تُشير الى جامعة لبنان أو الى اية جامعة من جامعات بلدان العالم. كما قد تشير الى جامعة خاصة أو الى جامعة الدولة أو ايضاً الى جامعة الآداب أو جامعة العلوم.

بقدر ما يتعلّق الامر بالاداء الكلامي يُسند ضمير المتكلم الى اشخاص مختلفين وذلك تبعاً لمن يقوم بأداء هذه الجملة. يختلف الحال عندما ننظر الى هذا الضمير من زاوية الكفاية اللغوية حيث يتخذ دلالة واضحة وثابتة لا تتغير. ففي اطر قواعد اللغة يتجلىّ ضمير المتكلم المفرد في المورفام «انا»، وله دلالته وخصائصه النحوية. بالمقابل، انّ العبارات التي تُشير الى جبران خليل جبران تُسند الى المضمون نفسه، ولكن لا يُمكن القول إنها تحتوي على الدلالة نفسها. فدلالة كلمة «انا» تختلف عن دلالة العبارة: «فيلسوف مدينة بشري».

اذا، يُمكن التمييز بين الدلالة والسند دون ان ننفي انَّ هذين المفهومين مترابطان. وذلك لأن سند العبارة يتعلّق بمظاهر ظروف التكلم، إلا انه وقفٌ على دلالة العبارة. فكلمة «الجامعة» يُمكن ان نسندها الى مضامين عديدة: جامعة ثقافية، جامعة علمية، جامعة بلد معينٍ، جامعة رسمية، جامعة روحية. إلا انَّه، في المقابل، لا يُمكننا ان نسندها، مثلاً، الى مضمون كتاب القواعد الموجود على الطاولة أمامنا. فالمعطيات المتعلقة بدراسة اسناد العبارات تتعلّق، بصورة وثيقة، بدراسة الدلالات. فالدلالة هي عامل لغوي يندرج ضمن عوامل دراسة السند من دون أن يعني كلامنا هذا ان دراسة السند تقتصر على/ دراسة هذا العامل. بل هي تتعداه، في الواقع، باتجاه دراسة عوامل فيزيائية ونفسية مرتبطة بظروف التكلم كمعتقدات المتكلم والمستمع وطبيعة ظرف التكلم والمبادىء الضمنية لعملية التواصل...

إنَّ البنية اللغوية للجملة لا تُحدد، بصورة تامة، سند العبارات، إلا انها تُشير الى حدٍّ كبير الى انَّ عبارتين تُسندان الى المضمون نفسه. ولتبيان ذلك نعتمد الجمل التالية:

(6) أ ـ قتل زيدٌ نفسه

ب ـ قتله زيدٌ

(7) أ ـ عندما استيقظ غادر يوسف الفندق

ب ـ قال إنَّ يوسف غادر الفندق

ففي جملة (6 ـ ء) الضمير « نفسه » شأنه شأن الكلمة « زيد » يُسند الى المضمون « الشخص المسمّى بزيد » في حين لا يُمكن أسناد الضمير المفعول به في جملة (6 ـب) الى المضمون « الشخص المسمى بزيد » وهذا الاختلاف يرتد ، عند محاولة ضبطه ، الى شكل الضمير في الجملتين في(6) .

نلاحظ الامر نفسه في (7). فالضمير الفاعل لفعل استيقظ في جملة (7ـ ء) يُمكن اسناده الى «يوسف» في حين يتعذَّر بالمقابل اسناد الضمير الفاعل لفعل قال في جملة (7ـ ب) الى «يوسف».

انَّ الالسني، الذي يُحاول بناء قواعد اللغة العربية، لا يهتم موضوعياً بمعرفة الى من يُسند الضمير، هل الى زيد أم الى عمر أم الى يوسف. انما ينحصر جل اهتمامه في ان يعرف، هل بامكان الضمير والاسم في (6) و (7)، على سبيل المثال، ان يُسندا الى المضمون نفسه. وذلك لأنَّ هذه المسألة تختص بمعرفة المتكلم ـ المستمع الضمنية بجمل لغته بصورة مجرَّدة عن استعمال الجملة في ظرف معين .

مما سبق، يتبينَّ لنا ان دراسة الدلالة تندرج في دراسة انموذج الكفاية اللغوية أو قواعد اللغة بينما دراسة السند ودراسة تفسير الجملة يرتدَّان الى دراسة انموذج الأداء الكلامي .

ننتقل، الآن، الى تمييز آخر بين ما هو مطَّرد وبين ما هو منفصل في اللغة. ويلعب هذا التمييز دوراً اساسياً في الدراسة الالسنية. ففي السياق الكلامي تتتابع الاصوات اللغوية، وما من تقسيم ظاهر يرسم حدود كل صوت. فلا يُمكننا، مثلاً، ان نشير الى نقطة بارزة ينتهي عندها صامت معينّ ليبدأ مصوت معينّ. فالعناصر الكلامية هي مطَّردة في الاداء الكلامي .

اما من زاوية الكفاية اللغوية أو القواعد الضمنية، فإنّ الاصوات اللغوية منفصلة ، وتكوّن وحدات لغوية يقوم التحليل الألسني بلحظها. فتنقسم الجملة هكذا الى وحدات منفصلة تكوِّن عناصرها ومؤلفاتها (30).

للموضوع هذا جوانب كثيرة وقضايا متعددة لا نريد أن نعرضها، هنا، لضيق المجال ولأنَّ عرضها مفصَّلاً يخرجنا عن موضوع بحثنا الآن. ولقد اسلفنا القول انَّ جمل اللغة غير متناهية من حيث عددها او من حيث عدد عناصر كل جملة، وان القواعد القائمة ضمن الكفاية اللغوية لمتكلم اللغة هي التي تفسرِّ العمل

---

(30) لمزيد من الايضاح انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 175 وما بعد.

اللغوي الابداعي الذي يُتيح لمتكلم لغة معينة أن يبتكر عدداً غير متناه من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد. ففي اطار التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي يمكن القول أنّ عدد الجمل في لغة ما وإن بلغ عدداً قد يقارب المجموع غير المتناهي الا انه محدود•ففي اللغة الفرنسية وفي شكلها المكتوب قد يزيد هذا العدد بعض الشيء عن عدد مجموع الجمل التي يتضمنها مجموع المؤلفات الفرنسية الموجودة في المكتبة الوطنية الفرنسية.فمن زاوية الاداء الكلامي، لا يمكن القول انّ عدد جمل اللغة غير متناه ونلاحظ الامر نفسه في ما يتعلّق بعدد عناصر الجملة.

فنحن نعلم انَّ القواعد العربية تُتيح وصل البنى اللغوية بعضها ببعض بواسطة المورفام «واو العطف» والسؤال الممكن طرحه الآن هو التالي: الى اي مدى يمكن استعمال واو العطف في الجملة الواحدة؟

فمن حيث الكفاية اللغوية ما من حدود تحدّ هذا الاستعمال اذ يمكن استخدام عدد كبير من المورفام «واو» وعطف مئات التعابير بواسطتها الى تعابير اخرى. إلا انَّ هذه الامكانية تسقط عندما ننتقل الى الاداء الكلامي الفعلي حيث يخضع كلامنا الى عوامل تُرافق عادة كل نشاط انساني. فمجهود الانتباه والحاجة الى الراحة وامكانية تفهم السامع كلامنا، كلها عوامل تحدّ من عدد عناصر الجملة المعطوفة.

يتَّضح هذا المبدأ عندما نأخذ على سبيل المثال الاسم الموصول. فنحن نعلم أن الاسم الموصول يصل جملة بجملة أخرى في موقع من مواقع الجملة الاخرى. لنعتمد الجملة التالية:

(8) الرجل الذي ألَّف هذا الكتاب هو ابي

ففي جملة (8) هناك جملتان:

(9) الرجل ابي

(10)- ألَّف الرجل هذا الكتاب

وقد ادخلت جملة (10) في جملة (9) في موقع الركن الاسمي الرجل وبواسطة الاسم الموصول. تجُيز اللغة العربية ادخال الاسم الموصول وصلته على الجملة الواحدة مرارا والى ما لا نهاية له. إلا انّه يتعذّر على المتكلم تحقيق ذلك الاداء لموانع نفسانية خارجة عن اطار التنظيم اللغوي. لنأخذ، مثلاً، الجملة التالية:

(11) ـ انّ الرجال الذين ينتشرون بين السنديان والصنوبر والنساء اللواتي يحُضِّرن الشّواء التي تأخذ رائحتها بخياشيم الرجال الذين يحتسون العرق غير المدخول ويدبكون ويُغنُّون الزجل الذي كان حلقات حلقات والذين ينصرفون الى المباراة والذين يستخفهم المهرجان، يفرحون ويفرحن بالعيد الذي كان يهمهم ويهمهن حضوره .

مما لا شك فيه انَّ صاحب هذه الجملة قد أصابه الارهاق وهو ينطق بهذه الجملة ولا شك ، أيضاً ، في انّ المستمع الى هذه الجملة سوف يُصاب بارهاق أشد عندما يحُاول تفهم هذه الجملة .

وتجُيز اللغة العربية تكرار الاضافات في الركن الاسمي الى ما لا نهاية له. إلا انَّ التكرار هذا تحدُّ منه موانع ترتبط بالذاكرة والانتباه والتفهم. فلنأخذ الركن الاسمي التالي:

(12) ـ كتاب قراءة رفيق ابن أخي شقيق ابنة خال ابن عم زوجة ابن عم معلم ابن شقيقة ابنة عم أخي زوجة ابن مساعد نائب مدير تجمع مدارس قرى جبل لبنان.

فمتكلم اللغة العربية يستطيع توليد ركن اسمي يحتوي على تراكيب اضافة لا متناهية من حيث المبدأ إلا انه غير مستحب استعمال تراكيب لفظية كما في (12) في عملية التواصل مع الآخرين.

يمُكن، أخيراً، في نطاق هذا الموضوع، ان نشبِّه اللغة بالعمليات الحسابية. قلنا إنَّ الانسان الذي يكتسب اللغة قد اكتسب قواعدها القائمة ضمن كفايته اللغوية ،والتي تتيح له انتاج عدد غير متناه من الجمل. لا يختلف الامر بالنسبة الى الطالب الذي اكتسب قواعد الحساب. فهو، من الناحية المبدئية، قادر على اتمام العمليات الحسابية الى ما لا نهاية. لكن في الواقع، يختلف الامر عندما ننتقل الى الاداء الفعلي لهذه العمليات. فاذا سألنا الطالبَ عن نتيجة ضرب (12× 3) أجاب بسرعة بديهية ـ 36ـ ولكن اذا طلبنا اليه نتيجة ضرب (19283746501× 56473829109) فانه بدون شك يعجز عن القيام بهذه العملية ما لم يتوفر له الوقت اللازم وورقة يكتب عليها مختلف مراحل هذه العملية. فاذا ما افترضنا انَّ العملية الحسابية تتجسَّد في ضرب عدد من مئات الأحرف المتلاحقة بعدد آخر من عشرات الأحرف المتتابعة فإن الطالب يعجز تماماً عن القيام بعملية كهذه وذلك بالرغم من المامه بقواعد الحساب اللازمة والضرورية لاجراء العملية .

يُعزى ذلك الى انَّ الاداء الحسابي يتطلَّب زيادة عن معرفة القواعد الحسابية عوامل اخرى نذكر منها الذاكرة. لذلك لا نستغرب وجود آلات حاسبة تستطيع القيام الكترونياً بعمليات يعجز عن القيام بمثلها الانسان وذلك لانها مبرمجة وتُعادل قوتها اضعاف وأضعاف قوَّة الذاكرة الانسانية.

يتبينُّ لنا، مما سبق، انَّ حصر هدف البحث الألسني، بصورة أوَّلية، بدراسة القواعد التوليدية والتحويلية القائمة ضمن الكفاية اللغوية على النحو الذي تصُر عليه النظرية التوليدية والتحويلية لا يُشكل بتاتاً ايَّ رفض أو اهمال لدراسة الاداء الكلامي وعوامله المتعددة. ولعلَّ تزايد الاهتمام في الاداء الكلامي الذي نلاحظه في المدة الاخيرة وفي اطار النظرية التوليدية والتحويلية، خير دليل على صحَّة ما نذهب اليه في قولنا هذا. فالاهتمام في مجال الاداء الكلامي بات ظاهراً بوضوح في مؤلفات الألسنيين الذين يعتمدون النظرية التوليدية والتحويلية في ابحاثهم الألسنية.

الفصل الثالث

نمو الطفل اللغوي

1ـ الطفل واللغة •

انَّ الاصوات التي يقوم بها الاطفال والكلمات المنفردة التي ينطقون بها والتي غالباً ما تُثير اعجاب الاهل وبهجتهم، لم تكن، في الواقع، مثار اهتمام الباحثين في المجال اللغوي، بصورة جديَّة، في العصور الماضية. ولم تلق لغة الطفل اهتمام الانسانية العلمي والضروري إلا في غضون السنوات الاخيرة حيث اخذت الدراسات تتناول لغة الاطفال بالبحث. وقد تفاوتت هذه الدراسات، على اي حال، بالنسبة الى الاهمية التي تبديها في ما يختص باولوية دراسة لغة الطفل.

في ظل النظرية التوليدية والتحويلية تتخذ دراسة لغة الطفل منحى سيكو-السنياً حيث لا يمُكننا أن نبرر الاهتمام بالاصوات التي ينطق بها الطفل والتي غالباً ما تكون مبهمة، إلا في اطار اهتمامنا بالطفل الانساني وارتباط لغته بلغة المحيط وعلاقتها بالفكر الانساني عامة.

قبل معالجة موضوع نمو الطفل اللغوي نرى من الضروري الاشارة الى الامور التالية:

1ـ انَّ اكتساب بنى اللغة يتم على نسق واحد بالنسبة الى جميع اطفال البيئة اللغوية الواحدة وغير المصابين بأي عارض مرضي يُعيق نموهم اللغوي الطبيعي ويُلفت تشومسكي الانتباه الى هذه الظاهرة فيقول:

«يتوجَّب على كل شخص يهتم بدراسة طبيعة الانسان وقدراته، بشكل من الاشكال، أن يأخذ بعين الاعتبار انَّ كل انسان سوي يكتسب اللغة في حين ان القرد وإن بلغ حدَّاً معيَّناً من الذكاء لا يمكنه ان يكتسب الاصول الاكثر تبسيطاً في اللغة [1]»

---

(1) تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 101

2ـ يكتسب الطفل لغته عن طريق سمعه جملها ومحاولاته تكلّمها. ولا يحتاج، في الحقيقة، الى من يمدّه بصورة منظّمة بالمادة اللغوية. ويتولىً اما مكافأته واما تأنيبه وفقاً لاجادته التعلم أو لتقصيره فيه.

ففي الواقع، يكتسب الطفل لغته في حين أنّ لا احد يعرف كيف يعلمه اللغة. فالام، بالذات، ليست ملزمة بأن تتخصص في مجال تعليم الطفل اللغة. هذا الى جانب انَّ الطفل، في الحقيقة، لا يُعلَّم في المجال اللغوي ولا يمُكننا، بالتالي، تسمية علاقة الطفل بكلام بيئته عملية تعليم كما اننا لا نستطيع ان نعتبر كلام البيئة مادة لغوية تعليمية. وذلك لأنّ هذا الكلام، كما هو معلوم، ينحرف، بطبيعة الحال، عن الاصول اللغوية التي نجدها مثلاً في كتب اللغة:

«انَّ الطفل السوي يكتسب المعرفة باللغة من خلال تعرُّض شفّاف ومن دون أن يتدرَّج عبر تمارين متخصصة. فيستطيع، من ثم وبدون القيام بأي مجهود يُذكر، استعمال بنى معقّدة وقواعد موجَّهة للتعبير عن افكاره وعن احاسيسه. ويكون دور الباحث، بصفة اساسية، في اعادة وضع ما قام به الطفل بصورة فطرية من دون أي جهد يُلحظ، وتفهمه»[2].

3ـ في نحو السنة الاولى من عمره، ينطق الطفل السوي ببعض الكلمات المنفردة. وفي عمر السنة والنصف أو السنتين يُركّب الطفل جملاً مؤلفة من كلمتين متتابعتين أو من ثلاث كلمات. وفي السنة الرابعة من عمره يكون قد اكتسب تقريباً بنى لغته بمجملها.

ففي غضون ثلاث سنوات تقريباً يكتسب الطفل المعرفة الاساسية بتنظيم لغته الام ويتوصّل الى احراز المقدرة التامة على انتاج جمل لغته وتفهمها. فهو اذاً يكتسب لغة محُيطه بسرعة مدهشة. فالصورة التي ابتدأنا نكونها عن عملية اكتساب اللغة هي صورة طفل يكتسب لغته بوسائله الخاصة، انطلاقاً من قدراته الذاتية. يستطرد تشومسكي في هذا الصدد:

«لقد اصبح واضحاً ـ كما اعتقد ـ انَّه اذا وجب ان نفهم في يوم ما كيف تُكتسب اللغة وتستعمل لا بد لنا حينئذ من أن نضع، في سبيل البحث المستقل والمنفصل، تنظيم معرفة ومبادىء ينمّى في مرحلة الطفولة الاولى ويقترن بعوامل أخرى متعددة لتحديد انواع السلوك الذي نلاحظه»[3]

(2)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 4

(3)تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 15

فعمل الطفل في مرحلة اكتساب اللغة عمل ذاتي خلّاق ينبغي لنا دراسته من حيث هو خاصية انسانية مميّزة.

4ـ في ما يختص باللغة التي يكتسبها الطفل ينبغي ألا تتعدّى خصائصها بصورة اساسية قدرات الطفل الطبيعية على استيعابها وإلا استحال عليه اكتسابها. هذا مع العلم انّ اللغة التي يكتسبها الطفل هي الى حدٍّ كبير معقّدة:

«واضح انّ اللغة التي يكتسبها كل انسان هي بنية غنية ومعقّدة ولا يُمكن تحديدها عبر المظاهر (اللغوية) المتوفرة والمجزّأة. لذلك يبدو البحث العلمي في طبيعة اللغة صعباً ومحدّدة نتائجه»(4).

5ـ لا يكتسب الطفل اللغة واستعمالها فحسب بل يكتشف، في الوقت نفسه، محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها. ويمتلك تقنية التواصل اللغوي وبالتالي،يتبينّ ماهية اللغة وعملها ودورها في المجتمع الذي يحيط به:

«انَّ الذي يتكلّم لغة معيَّنة يعلم، على العموم كيف يستعملها للتوصل الى بعض الاهداف. فنقول انّه يكتسب تنظيم كفاية مراسية ترتبط بكفايته المميَّزة بالقواعد. فالكفاية «القواعدية» والكفاية المراسية مكوَّنان عائدان للحالة المعرفية المكتسبة»(5)

6ـ انّ الطفل الذي يكتسب لغة البيئة التي يترعرع فيها يكتسب،في ذاته الكفاية اللغوية في لغته.أي يكتسب بصورة ضمنية قواعد اللغة التي تُتيح له انتاج جمل اللغة وتفهمها:

«إن الطفل الذي اكتسب اللغة قد نمّى (في ذاته) تصوراً داخلياً لتنظيم من القواعد التي تُحدد كيفية تركيب الجمل واستعمالها وتفهمها... فنقول انه طوّر،في ذاته،قواعد توليدية»(6).

انَّ هذه الملاحظات تسلط اضواء جديدة على عملية اكتساب اللغة عند الطفل. وتجعل من الطفل الموضوع الأساسي للدراسة. فهو، في الواقع، الكائن الذي يتوصَّل، خلال مدة زمنية قصيرة نسبياً، الى اكتساب تنظيم قواعد بالغ التعقيد يُؤهله لتكلم لغته. يتم هذا الاكتساب، في الظاهر، عن طريق تعرُّضه،

(4)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 10

(5)تشومسكي (1977ـ ب) صفحة 11

(6)تشومسكي (1965) صفحة 25

مباشرة،للمظاهر اللغوية المحيطة به. وتُعدّ عملية هذا الاكتساب انجازاً رائعاً خاصاً بالانسان وفريداً من نوعه.

فاذا تأملنا،ملياً،علاقة الطفل باللغة،في مرحلة اكتسابه لها، خرجنا بانطباع حاد في أنّ ذهن الطفل مهيًّا، بشكل من الاشكال، لاتمام عملية التكلم. فهو يمتلك، في ذاته، كفاية تتلقّى المظاهر اللغوية التي يسمعها في عائلته وفي بيئته ويقوم بتحويلها الى كلام هو،في الواقع،يختلف عن كلام الكبار من حيث مظاهره.

انّ هذا الانطباع الذي نخرج به عندما نتأمّل عمل الطفل اللغوي يختلف بصورة اساسية، عن التفسير الذي كان يُعطى غالباً قبل انتشار الألسنية التوليدية والتحويلية لتفسير عملية اكتساب اللغة عند الطفل في اطار مذهب السيكولوجيا السلوكية الذي تأثّرت به الألسنية البنيانية،ونعرض، في ما يلي، الانتقادات الاساسية التي يثيرها تشومسكي بالنسبة الى النظرة الالسنية البنيانية الى عملية اكتساب اللغة عند الطفل.

2 ـ انتقاد بعض المفاهيم السائدة في مجال اكتساب اللغة.

قلنا ان الانطباع الذي نخرج به عندما نتأمل عملية اكتساب اللغة عند الطفل هو انّ الطفل، لكونه انساناً، يتوصَّل، في خلال مدة زمنية قصيرة نسبياً، الى اكتساب الكفاية اللغوية اي المعرفة بتنظيم قواعد بالغ التعقيد يُؤهله لتكلم اللغة. وهذا الانطباع يختلف، بصورة اساسية، عن التفسير الذي غالباً ما كان يُعطى والذي يمكن تلخيصه في أنّ الطفل ينقل لغة بيئته ويحُاكيها الى أن يتوصَّل الى الالمام بها والذي يُركِّز على انّ ذهن الطفل هو بمثابة صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة. ولا بد لنا هنا من أن نستطرد، بعض الشيء، في عرض هذا الاتجاه الذي يظهر بوضوح في النظرية السلوكية.

يعتبر السلوكيون انَّ عملية اكتساب الطفل اللغة تندرج ضمن اطار نظرية التعلّم. فاللغة، بتصورهم، شكل من اشكال السلوك الانساني لذا لا يقرون بوجود اي تباين بين مسار تعلمها ومسار تعلّم اية مهارة سلوكية أخرى.

في هذا الاطار يتم الطفل اكتساب الفونولوجيا، من خلال تحويل الاصوات العفوية التي تصدر عنه الى الشكل الذي هي عليه اصوات اللغة أي الى الفونامات، وذلك عن طريق تدعيمها أو تعزيزها باتجاه الانماط الصوتية عند الكبار. فالاستجابات اللفظية تتولّد عبر المثير أو الحافز الفيزيائي وتتعزّز خلال محاولات

الطفل التلفظ بها. ويتلقّى الطفل التعزيزات الايجابية فقط في حال قيامه بالاستجابة الكلامية الصحيحة. وتتقدّم عملية اكتساب اللغة بقدر ما تتوفّر الاستجابات الصحيحة هذه وتتعزز.

انَّ محاكاة الكلام هي بمثابة تشجيع ومكافأة للمناغاة التي يقوم بها الطفل في اول مراحل الاكتساب كما انّ الترداد المتواصل والممارسة المستمرة لهذه العادات اللفظية ينجم عنهما اكتساب الاصوات اللغوية بصورة آلية. من خلال هذه العادات اللفظية، تنبثق الكلمات عند الطفل عن طريق التعزيز الذي يقوم به الاهل. فالطفل يُحاول التحكّم بمحيطه بواسطة التلفظ بالكلمات. فيسترعي ذلك تجاوب الاهل مع كلمات طفلهم فيوفّرون له حاجاته وينفّذون رغباته.

يكتسب الطفل، برأي السلوكيين، معاني الكلمات ايضاً عبر مسار تشريطي وبقدر ما يكتشف الاشياء التي تشير اليها الكلمات عبر اقترانها بالكلمة التي يتلفّظ بها. ويكتسب ايضاً القواعد التركيبيّة عندما يتعلّم ترتيب الكلمات الترتيب الصحيح في الجمل.

يعتمد السلوكيون مبدأ التعميم لتفسير استعمال الطفل الكلمات والتراكيب الجديدة. وفي هذا المجال، يلعب التماثل والتشابه بين الاشياء الفيزيائية وبين العلاقات القائمة في ما بينها، دوراً اساسياً في عملية تعميم المعاني التي سبق للطفل ان اكتشفها، على اشياء متقاربة. ويتم ايضاً تعميم الوظائف النحوية على النمط التماثلي نفسه. كما انّ تفهم الجمل الجديدة يحصل، فضلاً عن ذلك، عن طريق تعميم وظائف الكلمات النحوية المكتسبة.

يتمثّل الاتجاه السلوكي، بصورة واضحة وجلية، في كتاب « سكينر SKinner «السلوك الكلامي» حيث يؤكد المؤلف أن السلوك الكلامي يتعزّز بتوسط افراد البيئة المحيطة بالطفل ويضع، بالتالي، على عاتق هذه البيئة، مسؤولية العمل على جعل الطفل يكتسب لغتها. فالاهل في تصوره هم مصدر المعطيات اللغوية التي يُحاكيها الطفل وعملية التعزيز التي يقوم بها الاهل، برأيه، هي العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية (7)

جملة القول انّ السلوكيين يقولون لنا انّ الطفل الذي هو، في نظرهم، مزوَّد فقط باستراتيجية عامة للتعلّم يقوم، بالذات، بالعمل التالي: يتعلّم ماذا تعني كلمة

---

(7) سكينر (1957)

ماما ومن ثم ماذا تعني كلمة حليب وبعدها ماذا تعني كلمة لعبة وهكذا الى أن يتعلّم معنى الكلمات المبهمة ككلمة فكْر وكلمة فرح. وهنا نرى أنفسنا نميل الى زيادة جملة، في هذا السياق، غالباً ما نلاحظها في نهاية الحكـايات الشعبيـة.. وبعدها يبقى عائشاً وقتاً طويلاً بالنعمة والحظ والسعادة لايأتيه مكدر يُكدِّره حتىّ يأتيه هازم اللذّات ومفرِّق الجماعات.

ينتقد تشومسكي هذه النظرة الى عملية اكتساب اللغة ويرى انها قائمة على اعتقادات اوّلية ومسبقة سائدة عند السلوكيين والتجريبيين. ففي هذا الصدد يقول:

«أعتقد أنَّ دراسة مسائل الفكر قد غرقت نهائياً في نوع من الاوَّلية تُعالج بها هذه المسائل. ويبدوَ لِي، بصورة خاصة،انَّ الفرضيات التجريبية التي سيطرت على دراسـة اكتساب المعـرفة خـلال سنين عـديدة قـد تبنّاهـا البعض من دون أي تبرير.... ويبدو لي أنَّ لا دور خاصاً بها ضمن الاحتمالات المتعددة التي يمكن تصورها في ما يختص بكيفية عمل الفكر»(8)

فهذه النظريات اذاً قائمة على آراء مسبقة وأوَّلية لا يمُكن تبرير الأخذ بها عند اخضاع عملية اكتساب اللغة للملاحظة الدقيقة:

«وقد تقدّم البعض ببعض التأكيدات المسبقة في ما يتعلَّق بكيفية حصول التعلم: مبادىء اقران، تكوّن عادات»(9).

يرفض تشومسكي الاقتناع بأنَّ الطفل يُنمِّي بذاته، على هذا النحو، القواعد التي تنتج الجمل المحتملة والتي تندرج ضمنها تراكيب كلامية لم يسمعها من قبل والتي لا يمكن التكهّن باحتمال ورودها في الكلام. وذلك لانَّ الحياة فيها لو صحّت توقعات وآراء السلوكيين، لأصبحت صعبة التحقيق:

«ربما لا يعود استمرار البقاء ممكناً فيها لو كان التعلّم يقتضي، بطبيعته، كثيراً من الترداد الذي يميِّز غالبية الأساليب التشريطية»(10).

هذا الى جانب انّ الابحاث الألسنية المتـطورة لا تدعم، بـأي حال من الاحوال، هذه النظرة الى اكتساب اللغة:

«امَّا بالنسبة الى الادعاء بأنَّ اللغة ليست فقط مكتسبة وانما يُزوَّد بها الانسان

(8)تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 118

(9)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 160

(10)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 9

نتيجة عملية تعليم اساسية، لإقرار معاني التعابير اللغوية ، فهذه النظرة لا تلقى اي دعم في المجال التجريبي أو في المجال المفهومي «(11)» .

ان النظريات السلوكية التجريبية في ما يتعلّق باكتساب اللغة عند الطفل لا يُمكنها، في الواقع، أن تُفسّر كيف انّ الطفل الذي يسمع حوله عدداً من الجمل المحدَّدة والتي غالباً ما يشوبها التحريف بالنسبة الى قواعد اللغة، يتوصَّل بعدها الى أن يُركّب الجمل بصورة صحيحة انطلاقاً من المعطيات اللغوية الناقصة هذه، وأن يكتسب الكفاية اللغوية التي تُؤهله لانتاج الجمل وتفهمها. فهذه النظريات لا يمكنها أن تحلِّل هذا التباين بين المعطيات الاساسية الناقصة وبين القدرة غير المتناهية على انتاج الجمل والتي يتزوَّد بها الطفل. ولئن أخذنا بعين الاعتبار انَّ الاداء الكلامي يحدّ من هذه المقدرة، في الواقع، ومن عدد الجمل التي يمكن انتاجها، فلا يُمكن ان نتقبَّل، بأي شكل من الاشكال، انَّ الطفل يكتسب اللغة من خلال اختبار كل الجمل الممكنة في اللغة والتمرس بادائها عبر الاستجابة للحافز.

من هنا نفهم نفي تشومسكي القاطع أن يكون الاكتساب يتم على النحو الذي تقول به هذه النظريات السابقة :

«لا يُمكن ان تنشأ المعرفة باللغة عبر تطبيق عمليات استقرائية، بصورة تدريجية: التجزئة الى العناصر المؤلفة، التصنيف، الاساليب الاستبدالية، القياس، الاقران، التشريط وما شابه كالعمليات التي طوِّرت في مجال الألسنية أو السيوكولوجيا أو الفلسفة.»(12)

تجدر بنا الاشارة هنا الى أن العمليات الاستقرائية ليس بامكانها ان تغوص الى بنية الكلام العمقية(13) والتي هي كامنة في ذهن الانسان ووراء الكلام الملحوظ في البنية السطحية لذلك :

«بامكاننا منذ الآن ان نرى سبب فشل هذه الفرضيات التجريبية، اذ، على سبيل المثال، لا يمكنها مبدئياً ان تتكهَّن بخصائص البنى العمقية وبخصائص العمليات المجرَّدة للقواعد الشكلية (14) » .

لا بد هنا من أن نُعيد الى الاذهان أنَّ عملية اكتساب اللغة هي فريدة من

(11)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 53

(12)تشومسكي (1967ـ ب)

(13)انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 267 لمزيد من الايضاح حول فهوم البنية العميقة

(14)تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 133

نـوعها وأنَّ الانسـان، في حقيقته، يختلف عن الحيـوانات التي اجـريت عليهـا التجارب، في أن لديه ملكة فكرية مميزة تُكوِّن كفايته اللغوية. وكفـاية الانسـان اللغوية، كما اصبح معلوماً، حقيقة عقلية تكمن، في الواقع، وراء السلوك الكلامي الآني. مما يدفع الى الاعتقاد أن مفهوم اللغة، كسلسلة وحدات قائمة على العادات الكلامية كما يذهب اليه السلوكيون لا يتلاءم مع الناحية الابداعية في اللغة ولا يُراعي حقيقة الانسان العقلية، الكامنة وراء كل سلوك فعلي. ويصر تشومسكي على اظهار هذه الحقيقة الانسانية العقلية:

«لا توجد اليوم مبرِّرات للأخذ بعين الجدّية موقفاً فكرياً يعزو تحقيق انجاز انساني بالغ التعقيد (اكتساب اللغة) الى خبرة اشهر أو سنين بدل ردِّه الى ملايين السنين من النمو أو الى مبادىء تنظيمية عصبية راسخة في القانون الفيزيائي تشير في النهاية الى أنَّ الانسان هو فريد من نوعه نسبة الى الحيوان من حيث كيفية اكتسابه المعرفة.(15)»

مما سبق يتبينَّ لنا انَّ نظرة تشومسكي الى عملية اكتساب اللغة عند الطفل تختلف، بصورة جذرية، عن النظرة السلوكية التي كانت رائجة قبل ظهور النظرية التوليدية والتحويلية. اذ ان تشومسكي يُصر على انَّ بنية التنظيم المعرفي الذي يصل بالطفل الى اكتساب اللغة ، بنية معطاة ، بصورة مسبقة ، الى الطفل . وبالتالي ، لا يتم الاكتساب اللغوي تدريجياً كما يزعم السلوكيون ؛ من خلال لا شيء أو من خلال « دماغ فارغ » وبواسطة الاستقراء والتعميم ومبادىء الأقران ومن دَون أية ضوابط بيولوجية .

3ـ مراحل النمو اللغوي .

يمر نمو الطفل اللغوي بعدة مراحل قبل أن يصل الى مرحلة اكتساب اللغة. وترى النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية انّ الطفل يملك، بالفطرة، تنظيمًا ثقافياً تمكن تسميته بالحالة الاساسية للعقل. فمن خلال التفاعل مع البيئة وعبر مسار النمو الذاتي، يمر العقل بتتابع حالات تتمثّل فيها البنى المعرفية. وفي ما يتعلّق باللغة تحصل تغيرُّات سريعة نسبة الى الحالة الاساسية للعقل. خلال المرحلة الباكرة من الطفولة. وبعدها تكتمل حالة عقلية صلبة وثابتة تتعرَّض، فيما بعد، لتغيُّرات طفيفة فقط. نُشير الى هذه الحالة الصلبة على انها حالة نهائية للعقل تتمثل فيها معرفة اللغة بطريقة معيَّنة عند الانسان. وواضح انَّ دراسة هذه المراحل تُساعد على تَفهم عملية الاكتساب اللغوي.

---

(15)تشومسكي (1965) صفحة 59

«انَّ دراسة كاملة للحالة المعرفية الاساسية تُقدِّم المبادىء الاولية التي تتيح اكتساب هذا التنظيم المتكامل (اللغة).»[16]

ويضيف تشومسكي في مجال آخر:

«بامكاننا ان نضع فرضيات تتعلّق بالمرحلة الاولى وبالمرحلة النهائية وأن نعمل على تأكيد هذه الفرضيات أو رفضها أو تحسينها بطرق بحث مألوفة. وبامكاننا، من حيث المبدأ البحث في التحقيقات الفيزيائية للحالات الاولى وللحالات النهائية وفي السياق الذي يندرج في تغيرُّ الحالات الحاصل.»[17]

والجدير بالذكر انَّ الاطفال، في كل مرحلة من المراحل التي تمكن ملاحظتها في مسار اكتساب اللغة، ينتجون البنى ذاتها في المرحلة ذاتها. وذلك من دون النظر الى اللغة التي يكتسبونها أو الى الطبقة الاجتماعية التي ينتمون اليها. مما يحثنا على الاعتقاد أنَّ الطفل، في مرحلة نموه اللغوي، يتكلّم لغة خاصة به تتلاءم مع نموه اللغوي ومع لغة محيطه. فهو لا يتكلم عن طريق استعمال جمل الكبار بصورة مختزلة أو مقتصرة، بل يتكلم، في الواقع، لغة تتلاءم ومراحل نموه الطبيعي. وقد توصَّل باحثون لغويون، يعملون كل من جهته على دراسة لغة الاطفال، الى نتائج تكاد تكون واحدة، بالرغم من اختلاف اللغات التي يدرسونها وبالرغم من المسافات الجغرافية التي تفصل بين المجتمعات التي تجري فيها الدراسات. وقد تركَّزت، من خلال هذه الابحاث، المفاهيم ذاتها في اعتبار لغة الطفل لغة متمايزة عن لغة الكبار. وبقدر ما تتعدَّد الدراسات التي تتوصَّل الى كشف مفهوم بعينه واستنتاجه، بقدر ما يثبت انه صالح لتفسير ظاهرة معيَّنة، فيرتقي هذا المفهوم الى مستوى الشمول ويُعتبر مفهوماً كلّياً. وينبغي التأكيد أنَّ قوَّة المفهوم تستمد من اتساع الدائرة التي ينطبق عليها.

تبينٌ هذه الدراسات أنَّ كلام الطفل ينحرف عن كلام الكبار بصورة منظمة، مما يجعلنا نعتقد أنَّ هذا الانحراف يبنيه الطفل، بصورة مبدعة، من خلال تحليل جزئي للغته، وعبر قدرات ذهنية خاصة به.

ففي مجال الفونولوجيا، نلاحظ انّ الطفل يبدأ عملية اكتسابه الفعلي بالتمييز بين الاصوات المصوّتة والاصوات الصامتة، من دون أن يتوصل، في بادىء الامر، الى التمييز بين الاصوات داخل كل فئة. ثم يبدأ الطفل، في خلال نموه اللغوي،

(16)تشومسكي (١٩٧٦ ب) صفحة 11

(17)تشومسكي (1975) صفحة 138

يقسم كل من الفئتين الى فئات فرعية، بقدر استيعابه مختلف السمات المكوّنة عناصر كل فئة ويلزمه اشهر عدة للتوصل الى تمييز كل السمات الخاصة بفونامات لغته وبالتالي، الى اكتساب التنظيم الفونولوجي للغته.

لا يتم اكتساب التنظيم الفونولوجي، كما يعتقد البعض عن طريق حيازة الطفل فونامات لغته بصورة متتالية. بل يبدأ الطفل ببناء التنظيم الفونولوجي بصورة نشطة وفعّالة. فالطفل الذي يبدأ نطقه بالتفوه بكلمة «بابا» وبكلمة «ماما» يمتلك في البدء تنظيمًا فونولوجياً مكوّناً من ثلاثة فونامات. فالتنظيم اللغوي يبدو، في كل مرحلة، تنظيمًا تاماً. فكلّما تحسّس الطفل وجود الفونامات المميَّزة تغيَّرت العلاقات بين العناصر وتغيرَّ التنظيم ككل. ويستمر هذا الوضع الى أن يمتلك الطفل التنظيم الفونولوجي.

والجدير بالذكر انَّ الطفل يبدأ بادراك الاختلافات القائمة بين الفونامات في لغة الكبار وبتمييزها في وقت لا يكون فيه قد اصبح قادراً على انتاج هذه الفونامات:

«ففي السنوات الاخيرة أقيمت بعض الاختبارات التي تناولت 'طفالاً عمرهم بضع أيام أو بضعة أسابيع. وهكذا بالامكان تحديد تنظيماتهم الادراكية القائمة قبل خبرتهم. نلاحظ، مثلا، انهم يميِّزون بين الفونامات /P/ و /T/ و /K/ المتلاحقة من الناحية السمعية........ فالاطفال يقومون بهذا التمييز مما يدفعنا الى الاعتقاد بأنّ هذا التمييز جزء من التنظيم الادراكي الانساني وبأنهم لم يتعلّموه. فنحن بالتأكيد امام قدرة فطرية (18)»

وفي مجال التراكيب اللغوية، نلاحظ انَّ الطفل يبدأ عملية اكتسابه باستعمال كلمة. ثم يبدأ باستعمال جملة مكوَّنة من كلمتين عبر لجوئه المنظَّم الى فئتين مميَّزتين من الكلمات. الفئة الاولى ندعوها بفئة «الكلمات المحورية» ويكون عدد عناصرها قليلاً والفئة الثانية ندعوها بفئة الكلمات المفردة. ويكون عدد عناصرها كثيراً. وقد دعيت عناصر الفئة الاولى «بالكلمات المحورية» لانها ترد، بصورة متواصلة، في كلام الطفل، حيث يبني على عنصر منها كلمة من فئة الكلمات المفردات في سياق محاولاته الكلامية.

لا يحتاج الباحث الى وقت طويل لكي يتبينً انَّ عناصر كل فئة ترتد الى فئات مختلفة حسب تحليل لغة الكبار. فالطفل، في هذه المرحلة من نموه اللغوي، يمتلك تنظيمًا تركيبياً خاصاً به، يختلف عن التنظيم التركيبي الذي يمتلكه الكبار. انـه

(18) نوام تشومسكي 1977ـ ج) صفحة 71

يحاول، من خلال هذا التنظيم، أن ينتج الجمل التي تتكون. كما اشرنا اليها. من كلمتين اولاً ومن ثم تُزاد اليها كلمة الى أن يتوصل الطفل الى استعمال الادوات والحروف اللغوية. فتقترب جمله من جمل لغة الكبار.

والذي يلفت انتباهنا. هنا. انّ مفهوم الجملة يظهر في ابتداء عملية اكتساب الطفل اللغة . وهذا المفهوم لا يتمرَّس الطفل به عبر تعليم طويل الأمد . بل هذا المفهوم يُنظِّم ، الى حدٍّ كبير ، حتّى الكلام الأولي الذي يفوه به الطفل وينظِّم المعلومات اللغوية بما فيها المعلومات الدلالية ضمن بنية موحَّدة . فترتدّ الكلمات الى فئات نحوية يرتبط بعضها ببعض بواسطة موقعها في الكلام (موقع الفاعل ، موقع المفعول به) ويظهر مفهوم الجملة عند الطفل بصورة مبكرة ؛ وذلك لأنه يعكس الاستعدادات اللغوية المحدَّدة والتي يتزوَّد الطفل ببعضها ، بصورة فطرية . لسنا في صدد التوسع بمراحل نمو الطفل اللغوي وذلك لضيق المكان هنا . لذا اكتفينا بعرض بعض مظاهره(19) التي تُشير بوضوح الى أنَّ التنظيم اللغوي الذي يتدرج الطفل في استعماله في مختلف مراحل نموه لا يمكن اعتباره نقلاً عن تنظيم الكبار أو محاكاة له .

4ـ اللغة التي يتعرَّض لها الطفل.

يُؤلِّف الكلام الذي يسمعه الطفل في محيطه، مدوَّنة كلامية تمثل لغة البيئة التي يترعرع فيها. وهذه المدوَّنة عبارة عن عيِّنة تندرج فيها الجمل التي ينطق بها افراد هذه البيئة. وتختلف هذه المدوَّنة عن المدوَّنة التي غالباً ما يعتمدها الباحث اللغوي في دراساته اللغوية (20). فهي تتكوَّن من مجموعة الجمل التي يسمعها الطفل والتي ليست، بالمقابل، جملاً مصححة وبليغة. وذلك لان الاداء الكلامي، كما نعلم، ينحرف عن الكفاية اللغوية. هذا بالاضافة الى انَّ الكبار، في الحقيقة، غالباً ما يستعملون طرائق تعبير تُسهِّل على الطفل ، بنظرهم ، تفهم كلامهم ولا تخضع ، بالتالي ، الى أي تصحيح لغوي .

لا مجال للشك في أنَّ هذه المدوَّنة لا تساعد الطفل لكي يكتشف قواعد لغته الصحيحة، بل تقتضي مجهوداً اضافياً يقوم به لكي يقدر أن يميِّز بين المعطيات اللغوية الصحيحة وبين المعطيات اللغوية المنحرفة عن قواعد اللغة. وفي هذا المجال يقول تشومسكي :

---

(19) لمزيد من الايضاح انظر مقالنا « نمو الطفل اللغوي » في المجلّة التربوية .

(20) راجع كتابنا ميشال زكريا(1980) صفحة155 .

« ففي اللغة يجب ان نفسرٍّ كيف أن الإنسان يُنمي ، من خلال معطيات محـدَّدة جداً ، معرفة غنيَّة جداً ، فالطفل وهو يغوص في بيئة لغوية معيَّنة ، يتعرَّض الى مجموعة جمل محدودة جداً وغالباً ما تكون جمل هذه المجموعة غير تامة وغير صحيحة . مع ذلك يتوصَّل الطفل ، في وقت قصير جداً الى « وضع » قواعد لغته واستبطانها وتطوير معرفة معقدة جداً لا يُمكن استنباطها فقط من معطيات الخبرة(21) » .

تجدر الاشارة،هنا،الى أنَّ المدوَّنة الكلامية لا تشتمل فقط على جمل اللغة، بل تشتمل ايضاً على العلاقات الضمنية القائمة بين عناصر الجملة. وضمن هذه المدوَّنة تترسخ معرفة الطفل بعالم واسع من الاشياء والاحداث غير اللغوية والتي يدركها الانسان، على العموم، عبر الجمل نفسها. والظاهرة التي تلفت الانتباه والتي لا يُمكن تجاهل اهميتها، في ما يختص بنمو الطفل اللغوي، تكمن في انَّ الـطفل يستنبط، عبر المدوَّنة التي تزوده بها البيئة المحيطة به، الاشكـال المجرَّدة للبنيـة العمقية التي هي ضمن الجمل بالذات. وعمله هذا يتخطَّى بكثير ادراك معاني المفردات أو الكلمات.

5ـ عمل الطفل اللغوي .

قلنا انّ الطفل يكتسب لغة بيئته خلال مدَّة زمنية قصيرة نسبياً ومن خلال تعرضه لبعض جمل هذه اللغة.

ويصعب علينا ان نقول انّ اكتسابه اللغة هذا يتم بنتيجة عمل تعميمي يقوم به على مجموعة الجمل هذه. فنكون كمن يقول ان باستطاعة شخص ما ان يتعلَّم قواعد لعبة الشطرنج من خلال مشـاهدة تـأدية بعض الادوار في هـذه اللعبة. فالطفل، في اطار اللغة، يقوم،في الحقيقة،بعمل ذهني بالغ الاهمية والتعقيد. ولا شك في اننا اذا استطعنا تخيُّل ما يُمكن ان يقوم به الطفل بعد التعرّض لجمل لغته، فاننا سنأخذ فكرة معيَّنة عن اسهامه الذهنيّ في عملية اكتساب اللغة.

انَّ الفكرة الاولى والاساسية التي تتبادر الى ذهننا حين نتأمَّل مراحل نمو الطفل اللغوي هي انَّ الطفل يكتشف،بقدراته الخاصة،تنظيم القـواعد الضمني الكامن في كفايته اللغوية والذي يُتيح له تكلم لغته:

(21)نوام تشومسكي (1977ـ ج) صفحة 81

«واضح انّ الطفل الذي اكتسب لغة ما قد طوَّر في ذاته تصوراً داخلياً لتنظيم من القواعد ينص على كيفية تركيب الجمل واستعمالها وتفهمها. . . فيمكن القول انّ الطفل قد نّمى في ذاته قواعد توليدية. وقد قام بعمله هذا من خلال ملاحظة المعطيات اللغوية الاولية (التي يتعرَّض لها) [22]».

يقتضي عمل الطفل اللغوي، -في الحقيقة، اكتشاف تنظيم قواعد لغته بالاستناد الى قواه الذهنية وبمعاونة المادة اللغوية المتوافرة لديه :

«ينبغي للطفل أن يكتشف قواعد اللغة من خلال المعطيات المتهيأة له. وكما قد اشرنا سابقاً ترتكز المسألة التجريبية هنا على اكتشاف فرضية تتناول البنية الاساسية وتكون غنية بحيث تُحلل عملية وضع قواعد اللغة التي يقوم بها الطفل[23]»

لا بد من التنويه، هنا، بانَّ عمل الطفل هذا الذي يقوم به لاكتساب اللغة ليس سهلاً كما قد يعتقد البعض أو كما قد يبدو، نظراً الى انّه يتم في مدة زمنية قصيرة نسبياً وبسهولة ملحوظة. إلا انّ الطفل، في الحقيقة، يقوم بأداء عمليات بالغة التعقيد والصعوبة لكي يتوصَّل الى اكتشاف قواعد لغته. في هذا الصدد، يقول تشومسكي :

«نشير هنا الى اننا نبسِّط الاشياء عندما نفترض انَّ على الطفل ان يكتشف قواعد توليدية تتناول كل القضايا اللغوية التي تتوفَّر له والتي تُسقط هذه القضايا في تسلسل غير متناه من العلاقات المحتملة بين الصوت اللغوي والمعنى. اذ عليه ايضاً لكي يتم عمله ان يميِّز عبر معطيات المعاني بين الكلام الذي يُظهر، بصورة مباشرة، خاصية القواعد الضمنية وبين الكلام الذي يجب رفضه من حيث هو منحرف ومجزَّأ وسيِّء التركيب، وذلك استناداً الى الفرضية التي يكون قد اختارها [24]».

ويدخل هذا الموضوع في اطار التأكد من القواعد التي تتلاءم والمعطيات اللغوية الاساسية والصحيحة وعزل القضايا التي لا تتلاءم مع هذه المعطيات. وذلك لانَّ غالبية الجمل التي يسمعها الطفل هي غير اصولية [25] لاسباب تتعلّق بالظروف التي ترافق الأداء الكلامي.

---

(22) تشومسكي (1965) صفحة 25

(23) تشومسكي (1968- ب) صفحة 125

(24) تشومسكي (1968- ب) صفحة 128

(25) في الواقع، يترعرع الطفل في بيئته ويسمع كلامَ هذه البيئة. وكلام البيئة اداء كلامي ينحرف عن القواعد الكامنة ضمن كفاية المتكلم لارتباطه بظروف التكلم. فالجمل التي يسمعها الطفل اذاً جمل غير اصولية اي جمل تنحرف عن اصول اللغة.

الى جانب هذا ولكي نُقرّ بأنّ الطفل قد اكتسب لغته، ينبغي لهذا الاخير ان يتوصَّل الى أن يضع المؤلفات الكلامية في مواقعها الطبيعية في تنظيم من الاشارات اللغوية يتوافق مع الاطار الفكري الذي يكون قد تطوَّر في ذهنه تدريجياً. فالطفل، كما رأينا، يبدأ بادراك بعض الكلمات البسيطة. ومن ثم تدريجياً تقارب كلماته كلمات الكبار ويتوصَّل الى تركيب الجمل. وبعدها لا بد من أن يتعلَّم الاساليب الكلامية المتنوعة فيؤكِّد حصول الاحداث أو ينفيها أو يتعجب منها أو يتساءل حولها.

يندرج الطفل في مجتمع يتكلَّم لغة متجانسة وحيث يكتسب الافراد اللغة نفسها، في ظروف متعادلة بين الجميع وفي مدَّة زمنية متقاربة. مما يدل، بوضوح، على ان اطفال البيئة الواحدة يستعملون مبادىء محدَّدة هي التي توجههم، في الواقع، في بناء قواعد لغتهم:

«انّ افراد المجتمع اللغوي قد طوَّروا في ذاتهم، بصورة اساسية، ذات اللغة. وهذا الواقع يمكن تفسيره فقط من خلال افتراض انّ هؤلاء الافراد يستعملون مبادىء محددة بوضوح. وهذه المبادىء تقود بناء القواعد »(26)

والجدير بالذكر، هنا، أنّ الطفل يقوم ببناء قواعد لغته بصورة لا شعورية. مما يدفعنا الى الاعتقاد أنّ:

«بنية اللغة لا تعكس مسار خبرة الفرد بل تعكس الخاصية العامة لمقدرته على اكتساب المعرفة- أي في المفهوم التقليدي، تعكس افكار الفرد ومبادئه الفطرية »(27)

فالطفل مجهَّز، في الواقع وبصورة فطرية، بمجموعة فئات مجرَّدة يطبّقها على المعطيات اللغوية ومجهَّز ايضاً بالأشكال المجرَّدة للقواعد التي سوف يستنبطها بمقدار ما يستوعب معطيات لغته.

يتلقّى الطفل المعطيات اللغوية الاولية فيستوعب معانيها ثم يحولها الى اشارات واختبارات تنتهي بأداء كلامي. ربما لا تعني المعطيات اللغوية شيئاً للطفل ما لم يلج اليها وهو مزوَّد بمجموعة فرضيات تقود محاولاته لاستقرائها. فالطفل يملك، اذاً، بالفطرة، مجموعة فرضيات مجرَّدة يُطبقها على المعطيات اللغوية التي يتعرَّض لها ويملك ايضاً بالفطرة اشكالاً مجرَّدة لقواعد يمكنه امتلاكها عبر امتصاصه معطيات لغته.

---

(26) تشومسكي (1975- ب) صفحة 11

(27) تشومسكي (1965) صفحة 59

يركَز تشومسكي على اهمية هذه المبادىء المجرَّدة والفطرية عند الطفل فيقول:

« على الطفل، لكي يكتسب اللغة، أن يكتشف الفرضيات الملائمة المعطيات اللغوية الظاهرة وعليه ان يختار من مجموعة القواعد المحتملة،قواعد خاصة تُلائم المعطيات المتوافرة له[28] » .

اذا استطعنا تخيّل ما يُمكن ام يقوم به الطفل في تفاعله مع كلام محيطه فاننا سنتفهم مقدار اسهام ذهنه في عملية اكتساب اللغة .

في الواقع، يفترض ان تتوفَّر للطفل كي يتوصّل الى اكتشاف قواعد لغته الضمنية، القضايا التالية:

أ- مجموعة ملاحظات وفرضيات يُمكن ان يلتزم بها ترتبط باللغة التي يتعرَّض لها.

ب- مبادىء معينة يتعامل بها لتنظيم الملاحظات والتحقق منها.

ج- مجموعة المعلومات اللغوية التي تتوافر له بواسطة تطبيق الفرضيات على المعطيات اللغوية.

يسمع الطفل مقاطع اللغة التي سوف يكتسبها ويكتشف تدريجياً أن بعض الفرضيات التي صاغها لا تتوافق ومعطيات اللغة وبعضها الآخر يتوافق. فمن المتوقَع انَّه سيتوصَّل الى ان يقبل وهنا بصورة لا شعورية، فقط الفرضيات التي تتيح له اعتماد التفسيرات الصحيحة حول جمل لغته. وفي هذه المرحلة بالذات، يكون قد امتلك قواعد لغته.

مثل الطفل في ذلك، مثل الرجل العالم الذي يُحلِّل مادته التجريبية وفقاً لمجموعة فرضيات وملاحظات تتعلَّق بطبيعة هذه المادة. فكلما تقدَّم في تحليله اكتشف انَّ بعض هذه الفرضيات يُلائم المعطيات الملحوظة وبعضها الآخر لا يُلائمها. فتكوِّن، حينئذ، الفرضيات الملائمة نظريته العلمية. ومما لا شك فيه انَّ المادة موضوع التحليل تخدم الرجل العالم فقط عندما يكون قد سبق له ان صاغ الفرضيات التي تتيح له ان يتلمّس حقيقة الملاحظات العائدة الى مادة تحاليله.

ففي الواقع، ليست الفرضيات حاصلة من الملاحظات، بل انّ الملاحظات هي التي تهدف الى اقرار الفرضيات أو رفضها. فهذه الفرضيات وحدها هي التي

---

(28)تشومسكي (1965) صفحة 36

نلتزم بها لمعرفة مادة بحثنا، ولادراك النواحي التي يجب علينا ان نسلِّط عليها بعض الاضواء الكاشفة.

لذلك ليس باستطاعة الطفل أن يتعلَّم لغته أو يستوعب قواعدها ما لم يواجه المعطيات الخاصة بها بواسطة مجموعة من الفرضيات القائمة بالفطرة. والى جانب هذا، يُشير تشومسكي الى أنّ الظفل :

«ينبغي ان يمتلك طريقة لاكتشاف القواعد من خلال المعطيات اللغوية الاولية. وأن يمتلك اولاً، وكشرط مسبق، نظرية لغوية تحدد شكل قواعد اللغة الانسانية وثانياً استراتيجية لاختيار القواعد الملائمة والمناسبة المعطيات اللغوية (29)».

اذاً يمتلك الطفل قدرات فطرية تساعده على تقبّل المعلومات اللغوية وعلى تكوين بنى اللغة خلالها. وهذا يعني انَّه مهيَّأ بطريقة أو باخرى لأن يكوِّن قواعد لغته الام من خلال الكلام الذي يسمعه وأن يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد التي تكمن ضمن المعطيات اللغوية التي يتعرّض لها. فهو،بالتالي،يبني لغته بصورة ابداعية وبالتوافق مع قدراته الباطنية بقدر تقدمه في عملية الاكتساب. وتتوقّف عملية اكتساب اللغة على طبيعة نمو الطفل العقلي، فتكون هذه العملية بمثابة اجراء اكتشاف للقواعد بالذات.

يبني الطفل، اذاً، تنظيمه اللغوي بالاستناد الى عدد من العمليات الذهنية التي ترتبط بنموه الادراكي. تتم هذه العملية بصورة فعَّالة،من خلال التفاعل مع المادة اللغوية المحيطة.فيتخطّى مستوى الملاحظة ويتسنَّى له بناء قواعده الخاصة في ممارساته اللغوية، للتواصل مع بيئته. وقد تبينَّ لنا انَّ جمل الطفل الاولى لا تتوافق والجمل التي يسمعها من حوله. فاطفال العالم في كل مكان يبدؤون في سن الاثني عشر شهراً الى سن الاربعة عشر شهراً، بالفرضيات الاساسية نفسها. يؤدون مفهوم الجملة بواسطة التفوه بكلمة واحدة. ومن السنة والنصف الى عمر السنتين يتخلون عن هذه الفرضية ويؤدون مفهوم الجملة بواسطة تركيب كلمتين معاً في جملة واحدة. وهذه الفرضية يتخلون عنها ايضاً فيها بعد وتدريجياً. ويتم ذلك، في رأينا، بتأثير من لغة الكبار. فالطفل يحاول محاولة حثيثة ومتواصلة لتركيز مفهوم الجملة على الشكل الذي نلاحظه في لغة الكبار.

انَّ مراحل الاكتساب المتلاحقة هذه تنجم، في تقديرنا، من تطور الفرضيات

صفحة 25

اللغوية التي يبتكرها الطفل بالنسبة الى مفهوم الجملة في اللغة.

لا بد من التنويـه هنا بان مصطلح الفرضية يتخذ، في هذا الاطار، معنى المحاولة التفسيـرية التي تخضـع للتأكيـدات التجريبيـة من دون أن يعني ذلك، بالضرورة، انَّ هذا المسار الابتكاري والتجريبي يتم عند الطفل بصورة واعية.

انّ الاخذ بالدراسات المتطورة في مجال نمو الطفل اللغوي يقتضي الاقرار بأن تحليل المعطيات اللغوية التي يتعرَّض لها الطفل لم تعد تكفي لدراسة عملية اكتسابه اللغة، بل اصبحت هذه العملية تتطلب تفسيراً اوسع تعقيداً يتناول مجمل العوامل التي تتداخل فيها.

6ـ دور العائلة والبيئة.

يتبين لنا مما سبق انه ليس باستطاعة الطفل ان يتعلّم لغته أو يستـوعب قواعدها ما لم يواجه المعطيات الخاصة بها وهو مزوَّد بمجموعة من الفرضيات القائمة بالفطرة الا اننا نبادر هنا الى القول بهدف الايضاح ولمنع الالتباس اننا لا ننفي اهمية التجربة والملاحظة في عملية اكتساب اللغة. وذلك لأنّ الطفل لا يتسنّى له ان يتحقق من صحَّة فرضياته بدون سماع جمل اللغة، بل لا تتوافر له المادة التجريبية ليختبر فرضياته من خلالها. بدون ذلك. ومن الطبيعي ان لا تعمل المبادىء الفطرية إلا من خلال تفاعلها مع المادة اللغوية الملحوظة. فتقوم وظيفة البيئة في أن تُوفر المادة التي يتم عبرها تقييم الفرضيات مما يؤدي الى استبعاد الفرضيات غير الملائمة اللغة واستكمال قواعد اللغة في ذهن الطفل.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هنا، هو التالي:

نلاحظ انّ الطفل يتعلَّم لغته في عائلته وفي محيطه فما هو دور العائلة والمجتمع والممارسة في هذه العملية؟ هل هو احد الادوار الثلاثة:

(1)ـ دور تعليمي مباشر.

(2)ـ دور توجيهي.

(3)ـ دور قائم فقط على توفير مادة لغوية معيَّنة.

اول ما يتبادر الى ذهننا انَّ العائلة، في الواقع، غير متخصصة بالضرورة، في الالسنية ومكوَّناتها: علم الفونولوجيا وعلم التراكيب وعلم الدلالات. وهي ايضاً غير متخصصة بطرائق تعليم اللغات ولا تُفكّر ابداً بوضح برنامج تعليمي لتدريس

اطفالها اللغة. فمن البديهي ان العائلة لا يُمكنها ان تقوم بدور تعليمي صرف بل انّ اللغة الام لا تعلَّم. فالمدرسة في الحقيقة تُعلم قراءة اللغة وكتابتها اما اكتساب اللغة فيتم بصورة طبيعية، في مرحلة سابقة ذهاب الطفل الى المدرسة. وهذا ما يدفعنا الى استبعاد امكان قيام العائلة والمحيط بدور تعليمي مباشر.

في ما يتعلّق بالدور الثاني فان الاختبارات التي قام الباحثون بها في مجال دراسة محاولة الام لتصحيح الجمل التي يستعملها الطفل دلّت على أن الطفل يتصرّف، في البدء، وكأنه لا يلاحظ اوجه الاختلاف بين جملة امه وبين جملته التي يعود ويرددها ذاتها. إلا انّه بعد محاولات عدّة يلاحظ وجود اختلاف بين الجملتين من دون أن يلتزم حرفياً في نهاية الامر بجملة امه.

انَّ هذا التغيير البطيء الذي نلَاحظه في جملة الطفل والذي لا يصل بالطفل الى استعمال الجملة الصحيحة والمعادلة جملة الكبار وذلك بالرغم من اسماعه الجملة واجباره على تردادها مرات عديدة. إنّ هذا التغير البطيء يجعلنا نستبعد ايضاً ان يكون دور العائلة دورا توجيهياً تصحيحياً. ونستبعد في الوقت نفسه الاقرار بأولوية المحاكاة والترداد والممارسة في اكتساب الطفل لغته. وبما أن بعض التغيّر الملحوظ في جملة الطفل يحصل خلال محاولات الترداد المتعددة. نميل الى الاعتقاد أنّ الطفل يتفاعل مع الانماط اللغوية التي توفرها له العائلة والبيئة.

لذلك نعتقد ان دور العائلة والمحيط دور توسيعي. فالكبار يرددون احياناً جمل الطفل وبهذه الطريقة يُغيرون جمله باتجاه اقرب الجمل التي تعادلها في لغتهم. فيقومون، في النتيجة، بتوسيع لغة الصغار وتشعيبها باتجاه الاندماج في لغة الكبار.

فمن خلال هذا التوسيع، يكتشف الطفل تدريجياً المظاهر الخاصة بلغة الكبار. ويكون دور العائلة والمحيط في هذا المجال، تسهيل عملية اكتساب الطفل اللغة عبر عرض انماط جاهزة تساعد الطفل على تقبل المعلومات اللغوية وتفهمها وعلى تطوير ملكته الذاتية وتنميتها في ما يتعلّق بالخصائص المميَّزة للغة محيطه.

7ـ نظرية الاكتساب في مجال اللغة.

يعتمد تشومسكي، كما قد اشرنا سابقاً، المبادىء العقلانية في دراساته الالسنية. فينظر الى اللغة من حيث هي تنظيم واسع التعقيد نستطيع عبر دراستها ان نكتشف المبادىء المجرَّدة التي تقود طرق استعمالها وتتحكّم ببنيتها. وهذه المبادىء هي كلّية، تبعاً للحاجة البيولوجية الانسانية وتنبع من المزايا العقليّة المميزة الجنس الانساني:

«انَّ النظرية الالسنية تساهم في دراسة مسار الانسان العقلي وقدراته الفكرية. وتُحدِّد، بنوع خاص، المهارات التي تجعل من عملية تعلّم اللغة عملية ممكنة في ظل تحديدها من حيث الزمن ومن حيث المعطيات (30)».

تحتل نظرية اكتساب اللغة مكاناً بارزاً في اهتمامات تشومسكي لارتباطها بالمبادىء المجرَّدة التي تتحكَّم ببنية اللغة. وكثيراً ما يتساءل، في مؤلفاته، عن طبيعة الاكتساب هذه وعن امكانية وضع نظرية تُمكن تسميتها بنظرية الاكتساب:

«لنتأمَّل أولاً كيف يتصرَّف العالم عندما يدرس هذه المسألة (نظرية الاكتساب) فأول خطوة طبيعية يقوم بها تكون في أن يختار جهازاً عضوياً ومجالاً معرفياً محدَّداً بصورة معقولة وفي أن يُحاول بناء نظرية تُمكن تسميتها بنظرية تعلّم الجهاز العضوي في المجال المعرفي. وهذه النظرية يمكن النظر اليها كتنظيم من المبادىء وكآلية أو كخاصّية لها بعض المدخلات وبعض المخرجات. فالمدخلات هي تحليل المعطيات في المجال المعرفي من قبل الجهاز العضوي والمخرجات تكوِّن بنية معرفية بشكل ما. فالبنية المعرفية هي احد عناصر المرحلة المعرفية التي يتوصَّل اليها الجهاز العضوي. فعلى سبيل المثال، لنعتبر انَّ الجهاز العضوي هو الانسان، والمجال المعرفي هو اللغة فنظريَّة التعلُّم المختصَّة بالانسان في مجال اللغة، تغدو تنظيم المبادىء الذي يتوصّل بواسطته الانسان الى المعرفة اللغوية (31)».

تهتم نظرية التعلّم في المجال اللغوي، الى حدٍّ كبير، بتحديد المجالات القائمة ضمن القدرة المعرفية وفي تحديد ما هو فطري في عملية الاكتساب اللغوي. وذلك لانّ القدرات الفطرية، في نظر تشومسكي، هي التي تجعل من عملية الاكتساب عملية بالامكان انجازها:

«لا توجد اية معطيات سرِّية اساساً في مفهوم بنية معرفية مجرَّدة توجدها قدرة فطرية في الذهن تتمثل، في العقل، بطريقة مجهولة حتىّ الآن وتدخل ضمن تنظيم المهارات والاستعدادات للعمل وللتفسير (32)»

«انَّ التعلّم هو في البدء مسألة ملء بالتفصيل داخل بنية هي فطرية (33)»

---

(30) تشومسكي (1965) صفحة 46

(31) تشومسكي (1975- ب) صفحة 14

(32) تشومسكي (1975- ب) صفحة 23

(33) تشومسكي (1975- ب) صفحة 39

اذا ما قارنًا، في الواقع، بين عملية التكلم وبين عملية السير على القدمين التي هي مهارة فطرية ومن ثم (اذا قارنًا بين عملية التكلم) وبين عملية الكتابة التي هي نشاط يُعلَّم، يبدو لنا، بصفة اساسية، انَّ التكلم يُمكن تشبيهه بالسير على القدمين اكثر مما يُمكن تشبيهه بالكتابة. فيمكن القول ان الانسان يتعلَّم اللغة كما يتعلم السير على قدميه وذلك بالاستعانة بقدرات فطرية وبيولوجية.

اذاً تقود ملكة الانسان الفطرية عملية تعلمه في المجال اللغوي. ويصرّ تشومسكي على ضرورة اكتناه البنى الفطرية عند الانسان:

«ليست المسألة هي في التساؤل هل انَّ التعلم يقتضي، مسبقاً، وجود البنى الفطرية ـ انه دون شك يقتضي ذلك ـ انما هي في (ادراك) ماهية هذه البنى الفطرية في المجالات الخاصة (34)»

«المسألة المهمة هي التالية: ما هي المسلمات الاولية المتعلقة بطبيعة اللغة والتي يأتي بها الطفل الى عملية تعلم اللغة؟ وما عدا دقَّة الرسم التخطيطي أو القالب التصوري الفطري الذي يصبح، تدريجياً، اوضح واميز عندما يتم الطفل اكتسابه اللغة. (35)»

اذاً لا بد من محاولة تحليل البنية الفطرية التي تقود الطفل في عملية تعلمه في المجال اللغوي. يُحدِّد تشومسكي الفرضية الفطرية على النحو التالي:

«يُمكن صياغة الفرضية على النحو التالي. النظرية اللغوية ـ نظرية القواعد الكلِّية ـ هي ميزة فطرية للعقل الانساني فمن حيث المبدأ يُمكن تحليلها في اطار البيولوجيا الانسانية (36)»

وتنص الفرضية الفطرية على:

«انَّ احدى ملكات العقل العامة في الجنس (البشري) هي ملكة لغوية تقوم بالوظيفتين الاساسيتين في النظرية العقلانية. فهي تُوفِّر تنظيمًا حسِّياً للتحاليل اللغوية الاولية ورسمًا تخطيطياً يُحدد بصورة دقيقة فئة معيَّنة من القواعد (37)»

يكتسب الطفل البشري الالمام باللغة، من دون ان يقوم، في الواقع، بجهد

(34) تشومسكي (1975 ـ ب) صفحة 13

(35) تشومسكي (1965) صفحة 27

(36) تشومسكي (1975 ـ ب) صفحة 34

(37) تشومسكي (1975 ـ ب) صفحة 12

ملموس ويتمكّن من استعمال بنى اللغة القائمة على قواعد مختصة ومبادىء موجّهة يندرج ضمنها التعبير الكلامي. يملك هذا الطفل قدرات فطرية تؤهله لتقبل المعلومات اللغوية، ولتكوين بنى اللغة من خلالها. فهو، في الحقيقة، يبني لغته بصورة ابداعية، وبالتوافق مع قدراته الباطنية.

لا بد من الاشارة هنا الى أنّ الطفل ليس، في الحقيقة، مهيّأً لاكتساب لغة معيّنة بدلاً من أيّة لغة اخرى، بل هو يكتسب بصورة طبيعية لغة البيئة التي يترعرع فيها. فلا بد، بالتالي، من ان تكون الملكة الذهنية التي تؤهله لاكتساب لغته ميزة من ميزات العقل الانساني:

«بامكاننا ان ننص على وجود بنية فطرية تكون غنية بصورة كافية لأن تحُلّ التخالف بين الخبرة والمعرفة ولأن تفرض بناء القواعد التوليدية الممكن تبريرها بصورة تجريبية، ضمن الحدود المعطاة من حيث الولوج الى المعطيات (38)»

فالملكة اللغوية الفطرية تحُدِّد نوعية التنظيمات المعرفية التي بمقدورها ان تتعلمها بمعنى انَّ هذه التنظيمات لا بد من أن تتناسب مع القدرات اللغوية الفطرية ومن هذه الزاوية، بالذات، من الطبيعي ان نفترض وجود علاقة وثيقة بين الملكة الذهنية الفطرية وبين التنظيم اللغوي :

«ففي ما يختص باللغة فانه من الطبيعي ان نتوقَّع قيام علاقة وثيقة بين خصائص الذهن الفطرية وبين سمات البنية اللغوية وذلك لانَّ اللغة لا وجود لها، في الحقيقة، خارج تصورها العقلي. فمهما كانت خصائصها فهي تختصّ بها عبر المسار العقلي الفطري للجهاز العضوي الذي اوجدها ويوجدها في كل جيل (39)»

بل لا نستغرب وجود قيود أو ضوابط معرفية يضعها الطفل على التنظيم اللغوي، في خلال اكتسابه اللغة، ويضعها ايضاً الكبار حين يستعملون اللغة. ومن هنا فقط نفهم قول تشومسكي هذا في أنّ المسار العقلي الفطري يوجد اللغة عبر كل جيل من الاجيال التي تكتسبها وتتكلّمها.

يجدر بنا، هنا أن نلفت الانتباه مجدَّداً الى انَّ الطفل يكتسب ايَّة لغة انسانية، من دون اي تمييز وانطلاقاً من المظاهر اللغوية الناقصة التي تمده بها البيئة التي يترعرع فيها. والتفسير الذي يمكن اعتماده، في هذا الصدد، هو أنّ الطفل يمتلك

(38)تشومسكي (1968_ ب) صفحة 117

(39)تشومسكي (1968_ ب) صفحة 135

الاشكال العامة المشتركة بين كل اللغات الانسانية كجزء من كفايته الذاتية الفطرية.

بما اننا نعلم انّ التنظيم اللغوي بالغ التعقيد للغاية، ولا سيما المكوَّن التركيبي التوليدي (40) يستحيل على الطفل أن يتعلَّم اللغة ما لم تتبرمج في ذهنه مسبقاً معلومات تامة بقواعد كلية:

«انَّ انظمة اعتقادنا هي التي يُصمم العقل، من حيث هو بنية بيولوجية، لبنائها. فنحن نُفسِّر الخبرات كما نفسرها وفقاً للتصميم الخاص بعقلنا. فنصل الى المعرفة عندما تتلاءم افكار العقل الذاتية والبنى التي يخلقها، مع طبيعة الاشياء (41)»

وتكون، بالتالي، عملية اكتساب اللغة كما سبق ان اشرنا اليه، بمثابة اجراء يقوم به الطفل لاكتشاف قواعد لغته بالذات من ضمن القواعد الكلية الكامنة ضمن كفايته اللغوية الفطرية. ومن الطبيعي، والحال هذه، ان لا تعمل المبادىء الفطرية إلا من خلال تفاعلها مع المادة اللغوية المختبرة.

يُشير تشومسكي الى هذا التفاعل بين المادة اللغوية وبين الكفاية الفطرية:

«الملكة اللغوية عندما تتوافر لها الاثارة الملائمة تبني القواعد (42)».

«الشرط الذي ينبغي توافره للآليات الفطرية لكي تعمل هو تقديم الاثارات الملائمة (43)».

كما انه لا يغفل نمو الطفل الطبيعي خلال عملية تعلمه في المجال اللغوي وتأثيره في هذه العملية:

«المسائل الاساسية التي هي ذات اهمية علمية يجب ان تتعامل مع مخطَّط النمو والتطور الذي يحُدِّده الجنس والذي هو ميزة النوع والذي يُكوِّن، في الحقيقة، بنى مدهشة التعقيد(44)».

فالمراحل التي نلاحظها في لغة الطفل تتلاءم، في الواقع، مع مراحل نموه الطبيعي:

---

(40) انظر الفصل السابع من كتابنا هذا

(41) تشومسكي (1975 - ب) صفحة 8

(42) تشومسكي (1975 - ب) صفحة 13

(43) تشومسكي (1965) صفحة 48

(44) تشومسكي (1975 - ب) صفحة 9

«تقوم علاقة تناسبية بين القواعد التي يبنيها الطفل في مرحلة معيّنة من مراحل نموه العقلي وبين الخبرة اللغوية كما تحُللها في هذه المرحلة آليات العقل»[45]

يتبينّ من هذا كله انَّ نظرية التعلّم في المجال اللغوي، كما يرسم تشومسكي خطوطها الاساسية، تُشير الى انَّ الطفل يكتسب ايَّة لغة انسانية انطلاقاً من المظاهر اللغوية الناقصة التي يسمعها من حوله بالاستناد الى ملكة لغوية فطرية تحُوِّل الخبرة اللغوية الى قواعد كامنة في ذهن الطفل. وتمر لغة الطفل.بعد ذلك، بمراحل تتناسب مع نموه العقلي الى ان يتم له اكتساب اللغة. وفي كل ذلك تقوم وظيفة العائلة والبيئة في أن توفِّر للطفل المادة اللغوية اللازمة والتي يتم من خلالها اكتشافه قواعد لغته الام.

(45) تشومسكي (1975 ـ ب) صفحة 53

الفصل الرابع

القواعد الكلية

1ـ ارتباط اللغة الكلِّية بالملكة اللغوية .

يقتصر عمل الطفل،خلال عملية اكتسابه اللغة، على تحديد لغته من ضمن مجموعة اللغات المحتملة اي من ضمن ما يُمكن تسميته باللغة الكلية. ولا نبتعد عن جدِّية الصواب حين نقول، هنا، بأنَّ اللغة الكلية تتساوى والقدرات الفطرية الكامنة عند الطفل على نحو يخُوِّله التزوُّد بها، بصورة طبيعية، ومن دون أي مجهود يُلحظ أو ايَّة تمارين تُطلب منه. فمقدرة الطفلِ الفطرية على اكتساب اللغة تحُدد، في الواقع والى حدٍّ كبير،اسسٍ قواعد اللغة الكلِّية. وبكلام آخر انَّ الكليات اللغوية التي تسترعي انتباهنا والتي يمُكن اعتبارها، بالتالي، ذات مغزى في الدراسة الألسنية هي التي يُفترض توفّرها عند الطفل خلال عملية اكتسابه اللغة والتي تتلاءم.بطبيعة الحال، مع قدراته الطبيعية الفطريّة .

من هذا المنطلق، تتَّسم فئة اللغات الانسانية بميزة محدَّدة وراثيّاً ومختصَّة بالنوع الانساني :

«فاذا ما اعتبرنا ان قواعد اللغة تُكوِّن تصور المعرفة المكتسبة أو اقلّه تُؤلِّف مكوِّنا أساسياً من مكوِّنات هذه المعرفة، فإن الملكة اللغوية يمُكن اعتبارها خاصيَّة راسخة في الجنس الانساني، ومكوِّناً من مكوِّنات العقل الانساني وخاصيَّة تحوِّل الخبرة الى قواعد:

« ونعتقد بأنّ النظرية الألسنية العامة أو نظرية القواعد الكلِّية هي كناية عن فرضيّة مختصَّة بخاصيَّة الاكتساب هذه (1)»

فمن هذه الزاوية بالذات، نعتبر أن كل نظرية ألسنية يمُكن اقتراحها

---

(1)تشومسكي (1977 ـ ب) صفحة 81

(وبخاصة النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية) تهدف، في الواقع، الى البحث، وإن بصورة جزئية، في هذه الميزة الخاصة بالنوع الانساني:

«هكذا بمقدورنا أن نفهم النظرية الألسنية من حيث هي نظرية ملتصقة بالتجهيز البيولوجي القائم ضمن عملية اكتساب اللغة واستعمالها، وبكلام آخر أن نفهمها من حيث هي نظرية خاصة بالقواعد الكلية وهادفة الى تبيان مزايا اللغة الانسانية اللازمة بيولوجيًا (2)»

ففي ظل هذا التصوّر.ننظر الى القواعد الكلّية نظرتنا الى النظرية التي تدرس الملكة اللغوية عند الانسان من حيث هي خاصية انسانية.

فنحن حين نُسلِّم جدلاً بأنّ الملكة اللغوية الانسانية متجانسة برغم تنوع الجنس البشري يستلزم اقرارنا هذا، على صعيد منهجيتنا الألسنية، اعتبار انّ كل مبدأ عام قد اثبته البحث التجريبي في اطار لغة معيَّنة (شرط أن ينتفي وجود اي دليل يحثّنا على الاعتقاد بأن هذا المبدأ قد أكتسب عبر تعليم ما) يرتقي الى القواعد الكلية وذلك لأنّه جزء من التنظيم المعرفي الكامن بصورة مسبقة عند الانسان والذي يجعل، بصفة اساسية، عملية التعلّم عملية يُمكن انجازها.

انّ اللغات الانسانية وإن تنوَّعت الى حدٍّ كبير تبقى، في جوهرها، الوسيلة المتيسِّرة للانسان لتحقيق عملية التواصل في المجتمع. فكل اللغات البشرية تسند عناصرها الى خصائص العالم الطبيعي المحيط بالانسان والى معانيه واشيائه. فهذا العالم يُدركه أساساً وبصورة كلِّية وعلى المنوال نفسه، كلّ انسان سوي من الناحية الفيزيولوجية والسيكولوجية.زد الى ذلك انَّ اللغات البشرية كلها تقوم بأداء الوظائف نفسها في عمليات التكلم. فهي تسرد الاحداث وتطرح الاسئلة وتأمر وتتعجَّب وتنفي وتقرّ وتجزم... كما انّ كل اللغات تستعمل الاجهزة الفيزيولوجية والسيكولوجية الواحدة الموجودة لدى الانسان.

انَّ ما يلفت انتباه الباحث، بالرغم من تنوع اللغات، هو وجود بعض المظاهر المتشابهة بين لغات لا جامع بينها تاريخيّاً. كما انَّ الدراسات اللغوية التي اجريت على اللغات المتنوعة قد اظهرت انَّ التماثل بين اللغات هو، بصورة اساسية، في المستوى العمقى،في حين انَّ التباينات هي في مستوى يقارب المستوى السطحي.

---

(2)تشومسكي (1977 - ب) صفحة10

يُقرر تشومسكي في هذا المجال انّ اللغات وان تنوَّعت الى حدِّ كبيرٍ فهي تنتظم، في الحقيقة، في نفس العمليات الشكلية التي تُكوِّن الجمل النحوية. فيتَّخذ من هذا النوع من التماثل الملحوظ بين اللغات البشرية دليلاً كافياً لدعم نظريته الألسنية العقلانية.

ولئن كان هذا التماثل الشكلي والوظيفي الذي نلمحه في اللغـات يُشير من بعض نواحيه الى وجود قواعد وضوابط كلّية تجمع بين اللغات رغم تنوّعهـا وتعدّدهـا على هذا الشكل الذي نعهده في لغات العالم المختلفة ، إلا أننا نُعزي ، بصفة اساسية وجود هذه الضوابط أو الكلّيات اللغوية الى الملكة اللغوية الوراثيّة التي هي بالذات ، خاصية انسانيّة يمتاز بها الجنس البشري . فالكلّيات اللغوية لا يُمكن فهمها إلا في اطار الخاصية الانسانية هذه التي تمدّها في الواقع ، بمبررات ومسوّغات وجودها .

تُؤكِّد الكفاية اللغوية الفطرية عند الطفل وجود هذه الكلّيات وذلك لأنَّ اللغة التي يُفلح الطفل في اكتسابها هي ، بالضرورة ، اللغة التي تتناسب قواعدها مع قواعد الكفاية الفطرية المحدَّدة . وقواعد الكفاية الفطرية، بالذات ، بالامكان ان تُكوِّن بحدّ ذاتها ، نظريّة اللغة الكلّية التي تُقدِّم للطفل المعلومات حول شكل ومضمون القواعد التي ، من خلالها ، يُنظِّم المعطيات اللغوية التي يتعرَّض لها ومن ثم يكتسب لغته بصورة نهائية .

لا بد من الاشارة ، هنا ، الى انّ القواعد الكلّية تحُدّد ميزات الاصوات والدلالات اللغوية وانتظامها البنياني :

« ومن الطبيعي ان نتوقَّع أنَّ هذه القواعد تفرض شروطاً تُقيِّد ، الى حدٍّ كبير تنوّع اللغات . فكل قواعد عائدة الى لغة معيَّنة تلتزم بمبادىء القواعد الكلّية وإن تكن تبرز ، زيادة عليها ، قضايا عرضية تُميِّز هذه اللغة[3] » .

فاللغة الكلّية تُزوّدنا ، والحال هذه ، برسم تخطيطي تمثل له ، بصورة عامة ، القواعد الخاصة :

«لنفترض اننا نضفي على الفكر، كسمة فطرية له، نظرية لغوية عامة نسمّيها بالقواعد الكلّية. فهذه النظرية تحُدِّد تنظيم قوانين مُتفرّع يخصِّص الهيكلية البنيانيّة لكل لغة ويُقدِّم تشكيلة شروط ينبغي أن تتقيّد بها كل صياغة تضع القواعد على

---

(3)تشومسكي (1977 ـ ب) صفحة10

نحو متعمّق. وعلى هذا الشكل، تُوفِّر القواعد الكلّية رسمًا تخطيطياً تتقيّد به كل قواعد خاصة بلغة معيّنة [4]»

تغترف كل لغة رموزها الاساسية من مخزون تُحدِّده، بالفعل، القواعد الكلّية. فتنحصر، بالتالي، فئة اللغات البشرية المحتملة، بصورة اضيق مما لو كانت اللغات المتنوعة تأخذ رموزها الاساسية من مجموعات كيفية ومتباينة

انطلاقاً من القضايا السابقة، يمكن القول بأنّه يتعينّ على الألسنى ان يُولي اهتمامه عملياً الى دراسة القواعد الكلّية، بالمقدار نفسه الذي يتولىّ به دراسة قواعد لغة معيّنة. ولا بد له من أن يتحقّق، عند وضع القواعد الكلّية، من أنّ هذه القواعد تُحدِّد فئة «اللغة»- أي الفئة التي تحتوي على كل اللغات الطبيعية-ومن انها تُقصي كل ما هو غير هذه اللغات. فيتمّ حصر هذه الفئة ضمن حدود ضيِّقة ومحدّدة ترسمها النظرية الالسنية العامة ويتم، في الوقت ذاته، اكتشاف الرسم التخطيطي الفطري الذي يميِّز هذه الفئة.

2- القواعد العامة أو الفلسفية .

يظهر الاهتمام بالقواعد الكلّية، بصورة جليَة وواضحة، في المدرسة اللغوية الديكارتيّة التي احتذت اراءها من اراء الفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت الذي حصر اهتمامه بالمبادىء الكلّية للبنية اللغوية وبالطرق الطبيعية التي يُعبِّر الانسان بها عن افكاره والذي أوضح انَّ المسار اللغوي والمسار العقلي متماثلان بالقوة.

يحُدِّد «دي مارسيه» Du Marsais (1729) القواعد الكلّية أو القواعد العامة كما يُسميها، على النحو التالي [5]:

«نجد في القواعد بعض الملاحظات التي توافق كلّ اللغات، هذه الملاحظات تكوِّن ما نسميه بالقواعد العامة. منها الملاحظات التي وضعت حول الاصوات الملفوظة وحول الأحرف التي تُشير الى هذه الاصوات وحول طبيعة الكلمات ومختلف طرق ترتيبها لتشير الى الدلالات»

ويعتقد «بوزه» Beauzée (1767):

«انَّ القواعد التي تهدف الى ايضاح الفكر، بمعاونة الكلام الملفوظ أو

---

(4)تشومسكي (1968- ب) صفحة 127

(5)تشومسكي (1966 - أ) صفحة86

المكتوب، تُقرّ صنفين من المبادىء: مبادىء ذات حقيقة ثابتة واستعمال كليٍّ تتوقّف على طبيعة الفكر بالذات وتتّبع طرق تحليله وليست، بالتالي، سوى نتيجة له. ومبادىء اخرى ذات حقيقة فرضيّة ومرتبطة باصطلاحات طارئة وكيفيّة وغير دائمة والتي اوجدت مختلف اللغات. المبادىء الاولى تكوّن القواعد العامة والمبادىء الثانية هي موضوع القواعد الخاصة المتنوعة [6]»

يشير هنا «بوزه» الى انّ القواعد الكلّية (أو القواعد العامة كما يُسمّيها الديكارتيّون) تدرس مبادىء اللغة الثابتة والدائمة والعامة بينما تهتم قواعد اللغات الخاصة بالانظمة البنيانية والمستعملة في لغة معيّنة.

ويُضيف بوزه القول:

«القواعد العامة هي العلم العقلاني الذي يختص بالمبادىء الثابتة والعامة للغة (الكلّية) الملفوظة أو المكتوبة في ايّة لغة من اللغات. القواعد الخاصة هي فن تطبيق الانظمة الكيفية والمستعملة والعائدة الى لغة خاصة، على المبادىء الثابتة والعامة للغة (الكلّية).

القواعد العامة هي علم لانّ هدفها الوحيد وضع التحديد العقلاني للمبادىء الثابتة والعامة للغة (الكلّية). القواعد الخاصة هي فن لانها تتوخّى تطبيق الانظمة الكيفية والمستعملة العائدة للغة خاصة على المبادىء العامة للغة (الكلية).

فالعلم اللغوي سابق كلّ اللغات. وذلك لانّ اسسه تفترض، فقط، احتمال وجود اللغات، ولأن اسسه هي نفس الاسس التي تُسيرٌ العقل الانساني في عملياته الفكرية [7]»

يُحدّد ألمبر Alembert، بدوره، القواعد الكلّية على الشكل التالي:

«إن القواعد من عمل الفلاسفة، فالفكر الفلسفي وحده يُفلح في أن يرتقي الى المبادىء التي توضع القواعد على اساسها... فهذا الفكر يُلاحظ، في بداءة الامر، في قواعد كل لغة، المبادىء العامة التي تشترك بها مع كل اللغات الاخرى والتي تُكوّن القواعد العامة [8]»

نلاحظ النظرة نفسها الى اللغة **الكلّية** عند بيتي Beattie (1788)

(6)تشومسكي 1966ـ أ) صفحة 87

(7)تشومسكي (1966ـ أ) صفحة 87

(8)تشومسكي (1966ـ أ) صفحة 87

«من هذه الزاوية تشابه اللغاتُ البشر. فلئن كان لكل لغة خصائصها التي تميّزها عن اللغات الاخرى، إلا انّ اللغات كلها تختصّ بميزات مشتركة. وهذه الميزات المشتركة بين كل اللغات أو التي هي لازمة لكل لغة، تُدرس ضمن علم قد سمّاه البعض بالقواعد الكلّية أو الفلسفية [9]».

فعبر هذه الاراء المتنوعة،تتلمّس النظرة الديكارتيّة الاساسية الى اللغة ومفادها انّ السمات العامة للبنية اللغوية تشترك بين كل اللغات، بصورة جامعة، وتعكس بعض خصائص الفكر ومزاياه الاساسية.من هذا المنطلق،بالامكان ان نفهم اصرار علماء اللغة المتأثّرين بالمذهب الفلسفي الديكارتي، على التركيز على القواعد الكلية بدل التركيز على القواعد الخاصة.

ويبدو هذا التفكير واضحاً.من جهة أخرى.عند الالماني وليم همبولد الذي يُشير الى:

«ان التحليل اللغوي العميق يُبينّ «شكلاً لغوياً» مشتركاً وقائماً وراء التباينات الملحوظة بين أمة واخرى وبين فرد وآخر... والقواعد العامة هي دراسة الشروط الكلّية التي تنصّ على شكل كل لغة انسانية [10]».

نلاحظ، اذاً، عند الديكارتيين وعند همبولد كما في النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية.بروز هذا الاعتقاد بأنّ لغات العالم رغم تباينها وتنوعها تمتاز كلها بنظام مشترك يعكس الطبيعة الانسانية عبر خصائصها المنطقية والفكرية التي تميِّز الفصيلة الانسانية عن سائر المخلوقات. وهذا النظام المشترك يُمكن لحظه في مستوى اعمق من مستوى الكلام الملحوظ اي في ما يُمكن تسميته ببنية الكلام العمقية. وفي هذا الصدد يقول تشومسكي:

«انَّ البنية العمقية التي تحُدِّد المعنى- كما يؤكد (الديكارتيون وهمبولد)- مشتركة بين كل اللغات وذلك لانها ليست سوى انعكاس لاصول الفكر. والقواعد التي تحوِّل البنية العمقية الى بنية سطحية تختلف من لغة الى اخرى.... إنَّ البنية العمقية القائمة ضمن الكلام الفعلي والتي هي عقلية صرفة هي التي تحمل المحتوى الدلالي العائد الى الجملة [11]»

---

(9)تشومسكي (1965) صفحة 5

(10)تشومسكي (1966 - أ) صفحة 95

(11)تشومسكي (1966- أ) صفحة 64

يستتبع ذلك اقرار مفهوم تكون بمقتضاه البنى العمقيّة مشتركة بين كل اللغات وذلك بالرغم من تنوّع الوسائل التي تُعبِّر عنها [12]»

انَّ الاعتقاد بوجود قواعد كلّية اعتقاد متأصّل في التقليد الفلسفي. وتشومسكي عندما يُصرّ على اهمية دراسة القواعد الكلية لا يأتي اصراره على ذلك عن رغبة ذاتية في البقاء مخلصاً لهذا التقليد الفلسفي أو عن عجز عن التخلص من المفترضات والمسلّمات الفلسفية التي يأنف البعض من الارتكاز عليها في الدراسات العلمية. بل ينمّ اصراره هذا عن اعتقاد راسخ لديه بأنَّ القواعد الكلّية مثيرة للاهتمام من حيث هي فرضيّة تُنظِّم المعطيات التجريبيّة وتُساوي بينها وبين النظريّات التي تفسِّرها. فتشومسكي يعود مجدّداً الى الاهتمام بالقواعد الكلّية، بصفته عالماً ومُنظِّراً ألسنياً يعتمد المنهج الألسني العلمي التنظيري وليس بتأثير من المذهب الفلسفي الديكارتي.

3 ـ تحديد الكلّيات اللغوية :

« إنَّ القواعد الكلِّية هي التنظيم المؤلَّف من مبادىء وشروط وقواعد تكوِّن عناصر أو خصائص كلّ لغات العالم. ولا تقوم هذه الخصائص عرضاً انما بالضرورة، طبعاً، عنينا، هنا، الضرورة البيولوجية وليس المنطقية[13] ».

فالقواعد الكلية هي، اذاً، مجموعة المبادىء المنظَّمة التي ينبغي أن يلحظها البحث الألسني من حيث هي مشتركة بين اللغات وتلتزم بها اللغات، بصورة عامة :

« نعني بكلمة القواعد الكلية تنظيم الشروط الذي تقوم عليه القواعد (قواعد اللغات) . . . تحتوي القواعد الكلية على الشروط التي يجب أن تتوفَّر في كل لغة انسانية وعلى المبادى التي تُفصِّل كيفية تفسيرها[14] ».

والسؤال الذي يجب ان نطرحه الآن هو الآتي: ماذا تتضمَّن القواعد الكلّية؟ او بالاحرى ما هو موضوع القواعد الكلّية؟

تحتوي القواعد الكلّية على كل المعلومات والقضايا التي يأتي بها الطفل الى مسار عملية اكتسابه اللغة. وبما أنّ اكتساب اللغة يقتضي تعلّم قواعدها، بصورة ضمنية، فانه ينبغي أن تقوم القواعد الكلّية بتحديد الشكل الذي تتخذه قواعد اللغة وانواع القوانين التي تندرج فيها والنمط الذي تُصاغ عليه هذه القواعد والعلاقات

(12) تشومسكي (1966ـ أ) صفحة 77

(13) تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 29

(14) تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 97

التي تتشابك فيها .

ومن زاوية أخرى ومعادلة، يمكن القول بأنَّ القواعد الكلّية تحتوي على المبادىء الكلّية القائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أيَّة لغة من اللغات الانسانية. فهي صورة معبِّرة عن جوهر اللغة البشرية وتحتوي على المبادىء الدائمة والثابتة والقائمة ضمن الفكر الانساني والتي لا تتغير نسبة لتنوع البشر.

فبدل أن نقول بأنَّ كل اللغات تُبرز، بالضرورة، بعض المظاهر الفونولوجية والتركيبية والدلالية المشتركة نشير الى انَّ قواعد كلّ لغة خاصة، كي تكون ملائمة للمعطيات اللغوية، يتعينّ عليها أن تتّخذ شكلاً معيَّناً أي ينبغي ان تحتوي على نوع معين من القواعد وأن تلجأ الى نمط محدَّد من العناصر ومن الفئات.

ففي ظل هذا التصوّر، بالذات، تحتوي القواعد الكلّية على مجموعة كلّيات لغوية هي كناية عن ضوابط نوعيّة تُقيِّد شكل القواعد، بصورة عامة. وهذه الضوابط تتّسق في قوانين بعيدة التأثير من حيث نظام اللغة وترتدي اهمية قصوى في الدراسة الألسنية مما يستدعي عادة اثباتها والتحققّ من صحتها وشموليّتها من خلال استيفاء البراهين التجريبية التي تُراعي اكبر عدد من اللغات المتنوّعة والتي يتيسّر للبحث الألسني تحليلها.

ولقد اتاحت الابحاث الألسنية التي اجريت، وفقاً للخطوط التي رسمتها النظرية الألسنية، لحظ بعض الضوابط والخصائص الكلّية وتحديدها. ونجد من الضرورة ان نتناول بعضها. لذا نعرض، هنا، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فرضية الارتباط البنياني، ومبدأ الألف فوق الألف الذي يُرمز اليه ب A /A.

1ـ الارتباط البنياني [15] .

يُحدّد تشومسكي اللغة من حيث هي مجموعة من الجمل. والسؤال الذي يطرح نفسه، هنا، هو التالي. مما تتكون هذه المجموعة؟ وبكلام آخر هل بالامكان تصنيف هذه المجموعة في مجموعات متفرّعة كل منها تمتاز بخصائص محدَّدة؟

في الواقع، يمكن تصنيف جمل اللغة الى فئات متفرّعة فئة الجمل المنفيّة، وفئة الجمل المبنية للمجهول وفئة الجمل المثبتة.ومما لا شك فيه انّ هذه الفئات المتفرعة يرتبط بعضها ببغض. لنأخذ على سبيل المثال الجمل الآتية:

(15) لا بد من ان يعود القارىء الى الفصلين السادس والسابع من كتابنا هذا لكي يتفهَّم المقاطع لتالية .

(1) يذهب زيدٌ الى الجامعة.

(2) هل يذهب زيدٌ الى الجامعة؟

(3) لم يذهب زيدٌ الى الجامعة.

انَّ صيغة الجملة في(2) وفي(3) ترتبط بصيغة الجملة في(1) والتحويلات(16) التي تربط بين الجمل المتنوعة هي مرتبطة بنيانياً بمعنى أنَّ اجراءها يتم على مسلسلة كلمات ونسبةً الى ترتيب هذه الكلمات في الجمل.

لنتأمل الجملتين الآتيتين:

(4) اكل الرجلُ التفاحة

(5) التفاحة اكلها الرجل

تتحوَّل الجملة (5) من الجملة (4) بواسطة اجراء تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء.وهذا التحويل يتناول الركن الاسمي الذي يقع على يسار الفعل فينقله الى موقع .الابتداء تاركاً ضميراً عائداً اليه في الموقع الذي كان يشغله(الركن الاسمي) ويرتبط اجراء التحويل، بالتالي، بالوصف البنياني الذي يحلل الجملة التي تخضع لعملية اجرائه وهذا بالذات ما يعنيه تشومسكي بـالترابط البنيـاني. فتحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء يرتبط بموقع الاسم الذي يخضع له في الجملة(17). يظهر هذا بوضوح اذا ما تأملنا الجملتين التاليتين:

(6) سافر الرجل اليوم.

(7) اليوم سافره الرجل.

ان جملة (7) هي جملة غير اصولية مما يستتبع القول انَّ تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء يتناول الركن الاسمي نسبة الى مـوقعه ووظيفتـه في الجملة.

2 ـ « قاعدة الألف فوق الألف » .

تَكوِّن هذه القاعدة شرطاً اساسياً يتعلَّق بالعمليات التحويلية وتنص على عدم جواز اجراء التحويل الذي يتم اجراؤه عادة على ركن معيَّن، على ركن مماثل

---

(16)انظر مفهوم التحويل في ميشال زكريا (1980) صفحة 206.

(17)يرتبط هنا اجراء التحويل هذا بموقع الاسم في البنية العمقية.

يندرج ضمن هذا الركن . او بكلام آخر انّ التحويل الذي يتناول ركناً معيَّناً « ألف » وفي حال انَّ تتابع العناصر الذي يخضع لهذا التحويل يتضمَّن ركنين « الف » احدهما ينتظم في الآخر او يتركَّب فيه ، يطال التحويل فقط الركن « ألف » الموسَّع اي الركن « الف » الذي يُشرف على الركن « ألف » المماثل . من هنا نرمز الى هذه القاعدة على الشكل الآتي : أ/ أ . للايضاح نأخذ الجملتين التاليتين :

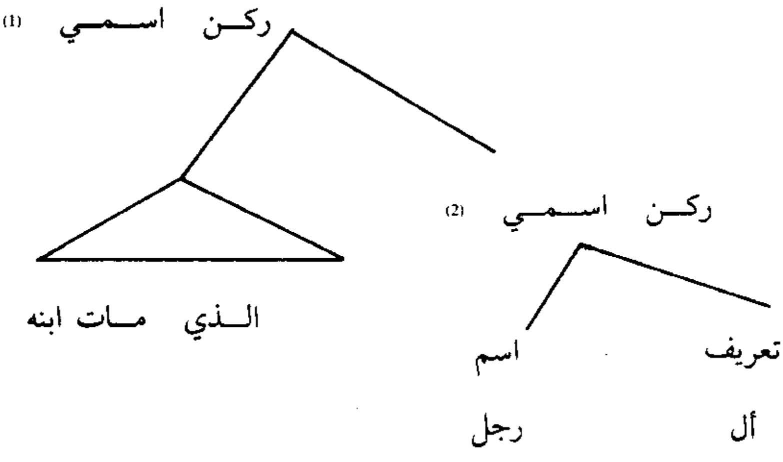
(8) زرتُ الرجل الذي مات ابنه

(9) الرجلُ الذي مات ابنه زرتُه

نلاحظ انَّ الجملة (9) متحولّة من الجملة (8) بواسطة اجراء تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء في الجملة .

وهذا التحويل يتناول هنا الركن الاسمي الموسَّع : « الرجلُ الذي مات ابنه » والجدير بالذكر انَّ هذا الركن يتضمَّن ايضاً ، ركناً اسمياً هو « الرجل » . نشير لمزيد من الايضاح الى بنية الركن الاسمي الموسع بواسطة المشجر التالي :

(10)

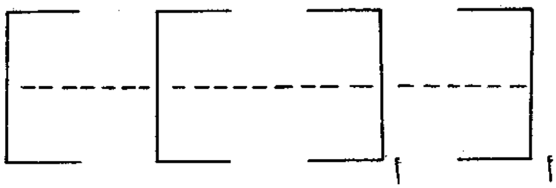


يُشير المشجَّر بوضوح الى وجود مؤلفين « ركن اسمي » متماثلين احدهما يتركَّب في الآخر وتنص قاعدة« الألف فوق الألف » على عدم جواز اجراء تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء على الركن الاسمي « الرجل » . في الواقع ، لا يُمكن اجراء هذا التحويل بالذات على الركن الاسمي « الرجل » . يشهد على ذلك عدم اصولية الجملة التالية :

(11) * الرجل زرته الذي مات ابوه

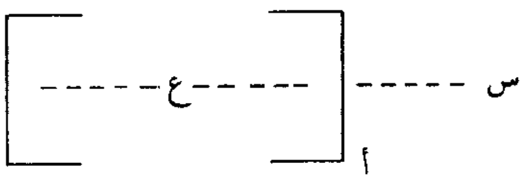
وفقاً لقاعدة الألف فوق الألف كل تحويل ينقل ركناً ما او يحذفه او يتعامل معه يتم اجراؤه على الركن الموسَّع الذي يشرف على ركن مماثل له وقد اظهرت الدراسات الألسنية المتطورة ان هذه القاعدة تُفسِّر معطيات لغوية متعددة وعائدة الى لغات متنوعة ، وقد أُخضعت هذه القاعدة الى بعض التعديلات من حيث صياغتها نتيجة للابحاث التي وُضعت لتأكيدها ووفقاً لمقتضيات البحث . صيغت هذه القاعدة اولاً على النحو الآتي :

(12) تجُمَّد بعض التحويلات فيما لو اجريت على مؤلَّف « ألف » هو نفسه قائم في مؤلَّف « ألف » مماثل . لا يمُكن اجراء هذه التحويلات على المؤلَّف « الف » الذي هو اكثر الى داخل البنية :



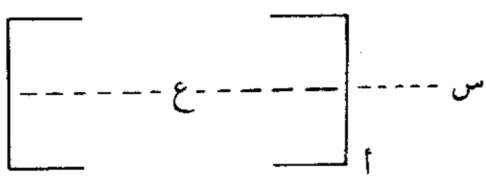
يُشير المشجَّر (10) كما سبق ان قلنا الى هذه البنية . ومن ثم عدِّلت القاعدة في (12) على النحو التالي :

(13) ما من تحويل بامكانه نقل المؤلف « ع » الى موقع « س » في البنية التالية :



فيما لو كان المؤلَّف « ع » هو « ألف » منتظم في « ألف ». كما عدِّلت القاعدة(13) على النحو التالي :

(14) اذا اقتضي تحويلُ لنقل المؤلف «ع» الى موقع المؤلَّف «س» في البنية:



واذا كان المؤلف « ع » هو « الف » منتظم ضمن « ألف »؛وجب اعتبار هذا التحويل جارياً على المؤلَّف « الف » الحاوي المؤلَّف « ألف » المماثل .

وجملة القول انَّ هذه القاعدة تُساعد في تفسير قضايا لغوية متعددة الا انَّ اقرارها لم يتم بصورة نهائية وبشكلها النهائي .

4 ـ اهمية دراسة الكلّيات اللغوية .

تُفرد النظرية الالسنية التوليدية والتحويلية مكاناً بارزاً وواسعاً لدراسة القواعد الكلية ولتطوير معرفتنا بالكلِّيات اللغوية التي يُمكن اثباتها على نحو لا يتنافى مع تنوّع اللغات . اذ يكفي ان يُظهِر احد المبادىء العامة عدم تناسقه مع لغة انسانية ما كي تنتفي عنه صفة انتسابه للكلِّيات اللغوية . هذا من جهة ومن جهة ثانية لا بد ان تكون الكليات على قدر من الوفرة والوضوح لكي تناسب سرعة وانتظام عملية اكتساب اللغة التي تتم بصورة متَّسقة ومتساوية دون ان يكون لتنوع اللغات المكتسبة اي تأثير على هذه العملية .

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا ، هنا ، هو : ما هي العناصر والمبادىء اللغوية المرشحة لان تندرج ضمن القواعد الكلّية ؟

ليس لهذا السؤال جواب مفصَّل ودقيق . وذلك لأنَّ الجواب عليه يرتبط بالمحاولات التي يتصدَّى لها البحث الألسني في اطار دراسة أكبر عدد ممكن من اللغات البشرية من ناحية،وفي مجال دراسة نمو الطفل اللغوي،من ناحية اخرى .

لا نجانب الصواب إذا قلنا ان تحديد الكلّيات اللغوية بصورة نهائيّة مسألة لم تصل بعد الى غايتها المنشودة الا انّ حدود الكليات اللغوية يُمكن رسمها منذ الآن وقبل ان يتم بصورة اساسية لحظ هذه الكلّيات.فهذه الحدود تنتظم بين مجال تنوّع اللغات ومجال اكتساب الطفل اللغة . ففي هذا الصدد يقول تشومسكي :

« انَّ تنوّع اللغات يكشف عن حدٍّ اعلى في ما يتعلَّق بوفرة وبنوعية الميزات التي يُمكن الصاقها بالقواعد الكلّية (في حين) انَّ ضرورة تفسير عملية اكتساب القواعد الخاصة تكشف عن حدٍّ أدنى . وبين هذين الحدَّين تقع نظريَّة التعلّم الذي يقوم به الانسان في مجال اللغة (18) » .

انَّ دراسة الكلّيات اللغوية دراسة تجريبية قد اتاحت صياغة فرضيَّات

(18)تشومسكي (1975ـ ب) صفحة 153

مستساغة تُقيِّد تنوع اللغات الانسانية وتحدّ من تباينها . وهذه الفرضيّات تساهم الى حدٍّ كبير ، في وضع وتطوير نظرية اكتساب المعرفة التي تُراعي ، بصورة اساسية ، النشاط الذهني الذاتي . كما انّ هذه الفرضيات التي يتقيَّد بها كل تنظيم لكي يستقيم لغة بشرية محتملة، هي راسخة ومتأصلة ضمن مقدرة الانسان اللغوية . فدراسة الكليات اللغوية ، في ظل هذا التصور بالذات ، تتوافق مع دراسة طبيعة قدرات الانسان الفكرية .

تزوّدنا مبادىء القواعد الكلية برسم تخطيطي محدّد تلتزم به اللغات الانسانية والجدير بالذكر انَّ هذا الرسم التخطيطي يُقصي، من زاوية اخرى، القواعد التي تُنافي ميزات اللغة الكلّية المعلومة . فتقوم القواعد الكلّية ، والحالة هذه ، بدور مصفاة تعزل كل قاعدة لا تتلاءم وخصائص اللغة الانسانية .

كما انَّ الملاحظة الموضوعية ترينا احياناً تحليلين (او اكثر) متعادلين وملائمين لبعض القضايا اللغوية . فحيث تتوفّر لنا حلول متعادلة ومقبولة ظاهراً بمقدورنا في هذه الحالة ، ان نتبنىً التحليل الذي بالامكان تبريره على صعيد القواعد الكلّية . وذلك لأنَّ هذه القواعد ، كما نعلم قائمة ضمن كل لغة من اللغات . ولانَّ كل قواعد خاصة تحتوي على جزء من القواعد الكلّية . فمن البديهي والحالة هذه ، اعتبار انَّ القواعد التي يجب تفضيلها بالنسبة للغة معيّنة هي القواعد التي يُمكن تفضيلها بالنسبة لكل اللغات .

5 ـ مكوِّنات القواعد الكلية .

« اذا كانت القواعد تقرن الاشارات الصوتية بتفسير دلالي فهذا يعني ، في التحليل الاخير ، إنّ كل جملة ، يجب تمثُّلها في مرحلة من مراحل وصفها ، في حدود نظرية فونتيكية كلِّية من جهة، ومن جهة اخرى في حدود نظرية دلالية كلّية. وهاتان النظريتان تندرجان في اطار النظرية الالسنية العامة [19] » .

تحُدِّد النظرية الفونتيكية الكلّية والنظرية الدلالية الكلّية مجموعة الاشارات الصوتية ومجموعة التمثيلات الدلالية المحتملة في كل لغة انسانية :

« يُمكننا ، بالتالي ، ان نعرِّف اللغة بأنها تقرن ، بصورة خاصة، بين الاشارات الصوتية وبين التفسيرات الدلالية وأن ندرس القواعد التي تقوم بهذه العملية . فتنقسم دراستنا لخصائص اللغة العامة الى دراسة :

(19)تشومسكي (1964) صفحة 5

أ ـ الفونتيكا الكلّية .

ب ـ علم الدلالات الكلّية .

ج ـ التنظيم الأساسي للقواعد الكلِّية (علم التركيب) [20] » .

تتضمّن ، اذاً ، القواعد الكلية ، شأن القواعد الخاصة ، **المكوِّنات الثلاثة :** الفونولوجي والتركيبي والدلالي . ويعتقد تشومسكي بأنَّ بعض الوحدات الفونولوجية والتركيبية والدلالية هي كلِّية ليس بمعنى انها قائمة، بالضرورة، في كل اللغات ولكن بمعنى انَّه يمكن تحديدها بمعزل عن ورودها في لغة خاصة معيَّنة . بل تُلحظ ، بصورة عامة ، عندما ترد في لغة ما ، انطلاقاً من التعريف الذي يُعيِّنها في اطار النظرية العامة .

1 ـ المكوَّن الفونتيكي الكليِّ .

يختصّ المكوَّن الفونتيكي الكليّ بلحظ كل العناصر الصوتية التي تقوم بدور ملائم في اللغات الانسانية كما يهتم بتحديد قوانين تنصّ على طرق توافق هذه العناصر المحتمل :

« انّ النظرية الفونتيكية الكلّية تحُاول ان تضع ابجدية فونتيكية كلّية وتنظيم قوانين [21]

تحُدِّد الابجدية الفونتيكية الكلية مجموعة الاشارات المحتملة والتي تستعار منها الاشارات الصوتية العائدة للغة خاصة . وتقدِّم وسيلة كتابة الكلام كتابة فونتيكية . فتشير الى كيفيّة انتاج الاشارات الصوتية وتعيِّن الاشارات التي تطابق الجمل المحتملة في اللغة مستبعدة ، في نفس الوقت ، بقيّة الاشارات الصوتية كأصوات المناغاة عند الطفل والتأوهات والصياح،والصرخات التي نلحظها عند الحيوان .

ليست عناصر الابجدية الفونتيكية الكلية العناصر الاساسية للمكوَّن الفونتيكي الكليِّ وذلك لأن العناصر الاساسية ، في الحقيقة ، هي ما نسمّيها بالسمات الفونولوجية المميَّزة التي يتكوّن الفونام ، على العموم، من بعضها والتي تحُدَّد من زاوية مطلقة وبمعزل عن اللغات الخاصة .

انّ عدد السمات الفونولوجية المميَّزة محدود ومحدّد ومع هذا فهي تُزوّدنا بأسس

---

(20)تشومسكي (1967ـ أ) صفحة 132

(21)تشومسكي (1967ـ أ) صفحة 133

تنسيق التنظيمات الفونولوجية كلها ونظمها. فمعلوم ، مثلاً ، وجود مجموعة مكوَّنة من حوالي عشرين سمة فونولوجية مميِّزة (مثلاً سمة الجهر التي تميِّز بين / ت/ و/ د/ وسمة الغنَّة التي تميِّز بين / ب/ و/ م/) . ولا نجد هذه السمات بصورة كاملة في كل اللغات . إلا أن كل لغة تختار فوناماتها من خلال توافق «هذه» السمات .

انَّ ما لا شك فيه ان هذه السمات تتناسب ، في الواقع ، مع قدرات الانسان الصوتية .

« انَّ مجموعة السمات العامة هي مجموعة الخصائص الفونتيكية التي بامكاننا ، من حيث المبدأ ، تفحصها في الكلام ، وهذه المجموعة تُمثل قدرات الانسان الفونتيكية وهي ، بالتالي ، ـ هذه هي الفرضية التي نضعها ـ ذاتها في كل اللغات (22) »

لا يقتصر المكوَّن الفونتيكي الكليّ على السمات الفونولوجية العامة بل يحتوي ايضاً على القواعد الفونولوجية العامة :

« يعرض المكوَّن الفونتيكي الكليّ ، زيادة على السمات العامة المميَّزة بعض القوانين التي تخضع لها التتابعات الكلامية وتشكيلة الاختيارات المسموح بها في لغة معيَّنة . وقد لاحظ جاكبسون، على سبيل المثال ، وفي ما يتعلَّق باضفاء سمة الشفوية Labialisation والطبَقية Vélarisation انّ ما من لغة تستعمل السمتين معاً للتمييز بين فونامين مختلفين . وقد اقترح وضع صيغة اكثر عمومية تنص على امكانية اعتبار هاتين السمتين كمتغيِّرين لسمة واحدة اكثر تجريداً . ويقدَّم هذا النوع من التعميم ـ لا سيما حينما تتوفَّر لنا امكانية دعمه بالادلّة العقلية ـ كقوانين ترتدّ الى الفونتيكا الكلّية (23) . »

انَّ الفونتيكا الكلّية قد ثُبِّتت واستقرَّت بعض الشيء بفضل ابحاث كل من جاكبسون وتشومسكي وهال Halle. كما انّ ابجدية الفونتيكا الكلّية مأخوذ بها منذ مدة طويلة نسبياً ، في الكتابات الفونتيكية التي تصف اللغات وتحلُلها من الناحية الصوتية :

2 ـ مكوّن الدلالة الكليّ .

لم يحظ هذا المكوّن حتى الآن بالدراسات الدلالية المتطورة التي بامكانها ان تُفصّل القوانين الدلالية المشتركة والمقبولة في اللغات المختلفة :

---

(22) تشومسكي (1968 ـ أ) صفحة 113

(23) تشومسكي (1967 ـ أ) صفحة 135

« انَّ المسائل التي يطرحها علم الدلالة الكليّ تبقى محجوبة في غموضها التقليدي [24] » .

لا يجب ان نفهم من هذه الملاحظة انه لا يُمكن لحظ الكلّيات الدلالية . فالدراسات المتطورة في مجال علم الدلالات قد تصل بالألسنية الى وضع هذه الكلّيات . إلا انّ الدراسات التي أجريت حتى الآن غير كافية وقد إنحصرت ببعض النواحي الخاصة (الالوان ، الامراض ، علاقة القرابة) . . . واظهرت صعوبة في التوصّل الى الكلّيات الدلالية . وترتد هذه الصعوبة الى اختلاف الحضارات التي تعكسها اللغات وتعبِّر عنها الكلمات [25] .

يلحّ تشومسكي على ضرورة وضع الدراسات المتطورة في هذا المجال :

« وكما في حال الفونتيكا الكلّية ، نأمل في ان نضع مبادىء عامة تتعلق بالتنظيمات الممكنة والعائدة للمفاهيم الممكن تمثّلها في اللغة الانسانية ونأمل في ان نكتشف العلاقات الذاتية الممكن وجودها في ما بينها . فاذا تم اكتشاف تنظيمات كهذه يصبح مكوَّن الدلالة الكليِّ علمًا له مضمون فعلي [26] » .

يزداد حالياً الاهتمام بهذا المكوَّن في اطار النظرية التوليدية والتحويلية اذ نشطت الدراسات الدلالية التى تتناول بصورة عامة،مجموعة المفاهيم التي يُحتمل وجودها في اللغات الانسانية وتتناول تنظيماتها ، مركّزة ، بالذات ، على دراسة العلاقات النحوية والمداخل المعجمية .

3 ـ مكوَّن التراكيب الكليِّ .

يحتوي هذا المكوَّن على القواعد التركيبية التي يُمكن تحديدها بمعزل عن ورودها في لغة معيَّنة . تندرج،ضمن هذه القواعد،الفئات النحوية (كالاسم والفعل وصيغة الماضي . .) التي يتم من خلالها وصف التراكيب اللغوية . يدرس هذا المكوَّن شكل القواعد التركيبية وعلاقاتها المتبادلة والشروط التي تخضع لها (مثلاً مبدأ الالف فوق الألف) . ولن نتوسَّع هنا في هذا الموضوع وذلك لاننا سنفرد فصلاً خاصاً بشكل القواعد التوليدية والتحويلية .

---

(24)تشومسكي (1964) صفحة 5
(25)لمزيد من التوسيع انظر ريفات (1967) وكاتز (1966)
(26)تشومسكي (1967ـ أ) صفحة 136

6 ـ انواع الكلّيات اللغوية .

مفاد ما سبق انَّ القواعد الكلية تكوِّن الهيكلية العظمية لبنية القوانين التي تخضع لها كل لغة انسانية كما انهـا تحتوي ،بصفـة اسـاسية ، على الـكليّات اللغوية الواجب توفرها في قواعد اللغـات . وبامكاننـا ، الآن ، أن نميِّز بـين ثلاثـة انـواع من الكلّيات اللغوية :

1 ـ الكلّيات الجوهرية : تتكوَّن الكلِّيات الجوهرية من مجموعة فئات مثبتة ومجرَّدة تُؤخذ منها العناصر الخاصة بكل لغة . نذكر منها على سبيل المثال : السمات الفونولوجية المميِّزة في مجال الفونولوجيا وفئتي الاسم والفعل في مجال علم التراكيب والسمات الدلالية مثل [+ انسان] [+ ذكر] في مجال علم الدلالات .

2 ـ الكلّيات الصورية : تتكوَّن هذه الكلِّيات من مجموعة الشروط والقوانين المشتركة بين اللغات وتنص على طرق توافق الكليات الجوهرية وفق انواع متنوعة من القواعد وعلى المبادىء التي تُنسِّق اجراء القواعد :

« انَّ الميزة التي تختص بها القواعد من حيث انها تخضع لشروط مجرَّدة يمُكن تسميتها بالكلِّية اللغوية الصورية وذلك فيها لو تبيَّن لنا انهَّا ميـزة عامـة للغات الطبيعية (27) » .

3 ـ الكلّيات التنظيمية : تُظهر الكليات التنظيمية الطريقة التي تنتـظم بها قواعد كل مستوى من مستويات اللغة كماانها تبيِّن ترتيب اجراء القوانين في كل مستوى بالنسبة للمستوى الآخر وبالنسبة لقوانـين من نوع آخـر . وتحُدِّد هـذه الكلِّيات تداخل العلاقات بين القـواعد في ما بينها . ويـنـدرج ، ضمن الكلّيات التنظيمية هذه ـ الشكل الـذي تتخـذه قواعـد اللغـة ، بصـورة عامـة ، وانقسامهـا الى مكوَّنات ثلاثة : الفونولوجي والتركيبي والدلالي ، وتقسيم المكَّون التركيبي بالـذات الى بنية عمقية مكوَّنة من قواعد التكوين والمعجم ، والى مكوَّن تحويلي متفرع .

وجملة القول انّ الكليات الجوهرية تختص بالمفردات المتعلقة بوصف اللغات في حين تتناول الكلّيات الصورية خصائص القوانين المؤلفة قواعد اللغة . اما الكلّيات التنظيمية فهي تتناول كيفية ارتباط القوانين بعضها ببعض وعلاقة المستوياتَ اللغوية في ما بينها ،

يرتكز تشومسكي على هذه الكلّيات اللغوية حين يُقرّر انَّ اللغات منسوجة

---

(27) تشومسكي (1965) صفحة 29

من مادة واشكال واحدة دون ان يعني ذلك وجود مطابقة تامة ودقيقة بين اللغات الخاصة المعروفة. ويذهب الى القول بأن هدف الألسني هو اكتشاف ما هو مشترك بين اللغات وما هو متغيرّ بين لغة واخرى . وما لا شك فيه هو ان هذين الهدفين يلتقيان تلقائياً :

«في الواقع، لا يمُكن الوصول الى هذين الهدفين بصورة مستقلة. ففي بناء القواعد الخاصة يرتكز الألسني، الى حدٍّ كبير، على تصوّر اوّل للبنية اللغوية. وينبغي على كل تمييز عام للبنية اللغوية ان يتلاءم مع وصف اللغات الخاصة. مع هذا لا يتّصف (التحليل) ، هنا ، بالدائرية. فقط جلّ ما يتّفق حصوله هنا هو احتواء النظرية على مظهرين مستقلّين. وفي كل نقطة من نقاط تطور (هذه النظرية) نستطيع ان نبرهن بشكل غير دائري، كيف انَّ كل قواعد، فيما لو فكّرنا في مدى نظرية عامة، تظهر مظهر تنظيم صوري مجرَّد، هي تحقيق خاص لهذا التنظيم. تدخل التعديلات عبر احد الشكلين التاليين: اما تحسين الناحية الصورية وايجاد وسائل جديدة تُؤيِّد النظرية العامة وإمَّا اكتشاف معطيات جديدة في اللغات ووسائل اكثر وضوحاً لوصفها »(28) .

7ـ القواعد النواة **Core - grammar**.

انَّ السؤال الّذي يجب ان نطرحه الآن هوالآتي:ما السبيل الى وضع القواعد الكلّية ؟

للجواب عن هذا السؤال نُشير الى اتجاهين متمايزين في دراسة القواعد الكليّة

أـ اتجاه المقارنة بين اللغات. ويتوسَّل هذا الاتجاه تحليل لغات متعددة ولحظ المبادىء والخصائص المشتركة بينها عبر المقارنة ورد هذه المبادىء والخصائص المشتركة الى القواعد الكلّية وقد عُرف هذا الاتجاه بالألسنية التاريخية والمقارنة (29).

ب- النظر الى اللغات كلها من زاوية انها تمظهر «اللغة الانسانية» وتحديد الاطر والمجالات التي بالامكان ان تندرج ضمنها كل القواعد الخاصة باللغات المتنوعة .

تأخذ النظرية التوليدية والتحويلية بالاتجاه الثاني اذ تعود، عامة، الى المبادىء اللغوية الخاصة وترتقي، من خلالها، الى المبادىء الكلّية فتحاول، بالتالي، صياغة الفرضيّات التي تنص على الخصائص العامة التي تخضع لها كل لغة انسانية محتملة

(28)تشومسكي (1975ـ ج) صفحة 79

(29)في ما يتعلّق بالألسنية التاريخية والمقارنة انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 106 -120

الوجود والتي هي عائدة الى النشاط اللغوي الانساني بصورة عامة. وتضع الفرضيّات، من خلال القيام بملاحظات معيَّنة ومحدودة. وتقارن بينها وبين ملاحظات اخرى بهدف اثباتها أو التخلّي عنها.

يميل تشومسكي وذلك من دون أن يجزم بوجود ركيزة كلِّية للّغات الانسانية، الى التأكيد بأنَّ التنوّع في التنظيمات اللغوية المختلفة، ينحصر في المكوِّن التحويلي، فيعمل في مؤلفاته الاخيرة (30) باتجاه وضع مبادىء كلّية (مرشّحات Filters أو شروط التركيب الصحيح) تتيح حصر عمل القواعد بالقضايا المطلوبة. فبعض البنى المركّبة تركيباً صحيحاً من زاوية علم التراكيب، تُستبعد بواسطة هذه المبادىء الكلية كمثل شروط العطف (31) ومرشّح الحالات الاعرابية (32). ويُسمّي تشومسكي مجموعة الخصائص والمبادىء هذه والتي لا يمكن تبيانها إلا من حيث هي كلّية، بالقواعد النواة (33).

يبقى السؤال التالي: ما هي العلاقة القائمة بين القواعد النواة والقواعد الخاصة بكل لغة؟

ندرس هذه العلاقة من خلال دراسة الصلة بين القواعد الخاصة باللغات المتنوعة وبين القواعد النواة . فالقواعد الخاصة قد :

أـ تحتوي على قوانين أو تحويلات لا تنتمي الى القواعد النواة فتحلّ هذه المسألة من خلال الاشارة الى انّ القاعدة تتلاءم، بصورة عامة، مع المبادىء الكلّية التي تندرج ضمن القواعد النواة، في حال لا توجد ايّة تأشيرة تنصّ على عدم ملاءمتها لهذه القواعد. نذكر، هنا، على سبيل المثال، تصرُّف قاعدة نقل «كل» Tous الى اليسار في اللغة الفرنسية. هذه القاعدة لا تتلاءم مع قاعدة نقل «س» او نقل المؤلف الكلامي في القواعد النواة (34).

بـ لا تحتوي على بعض مبادىء القواعد النواة كما يُلاحظ، على سبيل المثال لا الحصر، في اللغة البرتغالية والايطالية، سلوك موقع الفاعل عندما لا يحتل هذا الموقع عنصر تام من الناحية الدلالية (35).

---

(30) انظر تشومسكي (1977ـ أ) و (1979ـ ج) و (1980)
(31) انظر تشومسكي (1980)
(32) انظر تشومسكي (1977ـ أ)
(33) انظر تشومسكي (1979ـ ج)
(34) انظر (1977) R. kayne صفحة 13 -69
(35) انظر صفحة 85-108 Alain Rouveret dans Langages 60 (1980)

الفصل الخامس

المنهجية الألسنية

يُحدِّد تشومسكي اللغة في اوَّل كتاب صدر له (1) على النحو التالي :

« من الآن فصاعداً نعتبر أنَّ اللغة كناية عن مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل ، كل جملة منها طولها محدود ومكوَّنة من مجموعة متناهية من العناصر . وكل اللغات الطبيعية ، في شكليها المكتوب والمحكي تتوافق مع هذا التعريف . ذلك لانَّ كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه ، من الفونامات (أو من الحروف الابجدية) وكل جملة بالامكان تصورها كتتابع فونامات علمًا بأنَّ عدد الجمل غير متناهٍ (1) » .

تُحدِّد اللغات الطبيعية في شكليها المحكي والمكتوب ، بحسب هذا التعريف . فهي تحتوي على عدد محدَّد من الاصوات (أو الحروف الابجدية) . وتُخصِّص كل جملة بعدد محدَّد من العناصر الصوتية أو الحرفية بالرغم من أنَّ عدد الجمل غير متناهٍ . فيقتضي عمل الألسني تحديد ايَّة عناصر صوتية متتابعة تكوِّن جملة في اللغة التي يدرسها .

نلاحظ انَّ تعريف تشومسكي للّغة يُركِّز على خصائصها البنيانية التي بالامكان دراستها الدراسة العلمية الواضحة . فهو لا يُحلِّل اللغة من زاوية انها وسيلة التواصل أو التعبير بل من زاوية انها :

« مجموعة جمل كل جملة منها تحتوي على شكل فونتيكي وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به . وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يُفصِّل هذا التوافق بين الصوت والدلالة (2) »

لا بد من الاشارة ، هنا ، الى انَّ تنظيم القواعد هذا هو الذي يوليه الباحث جلَّ اهتمامه . فالظاهرة الاساسية التي يركِّز عليها تشومسكي والتي لا بد للباحث اللغوي من الوقوف عندها وتفسيرها ، تكمن في الفرضية التالية :

---

(1) تشومسكي (1957) صفحة 15

(2) تشومسكي (1968 ـ أ) صفحة 25

انَّ كل انسان يتكلم لغة معيَّنة قادر ، في كل آن ، وبصورة عفوية ، على صياغة عدد غير متناه من جمل هذه اللغة وعلى تفهمها وادراكها ، بالرغم من أنَّه لم يسبق له أبداً لفظ اكثرها أو سماعه من قبل . وهذا الانسان يستطيع ، بموجب ترعرعه في بيئته ، أن يُعبر ، في كل لحظة ، بهذه اللغة ، باتباعه قواعد معيّنة . يضاف الى ذلك أنه يستطيع ان يفهم أيضاً وبالعودة الى تلك القواعد نفسها عدداً غير متناهٍ من الجمل يسمعها أو يقرأهـا ، في الحقيقة ، لاوَّل مرَّة . وليست مقدرة الانسان هذه محدودة إذ على اساسها يتمكَّن ، في تقديرنا ، من صياغة عدد غير متناهٍ من الجمل كما يتمكَّن من فهمه (3) .

انَّ دراسة اللغة تقتضي ، بطبيعة الحال ، دراسة هذا التنظيم من القواعد الذي يُتيح للانسان تكلم اللغة وتفهمها . وهذا التنظيم كائن ضمن كفايته اللغوية كما اشرنا سابقاً في الفصل الثاني . وينبغي التشديد ، في هذا المضمار ، على انَّ تنظيم القواعد هذا يكوِّن ، بالذات ، بنية اللغة وواقعها القائم ؛ اذ يقرن بين مادة اللغة الدلالية الذهنية وبين مادتها الصوتية .

1 ـ غاية البحث الألسني .

« في دراسة اللغة ، كما في كل بحث غير ركيك ، تُعمي الظاهرات غالباً بسبب تعقّداتها وتنوّعاتها الظاهرة . وليس بامكان بصيص ادراكنا ان يُنير سوى مجـالٍ ضيق . واذا رغبنا ان نتخطّى التصنيف ، من الضروري ان نختار وأن تستبعد ، وأن نفكِّر مليًّا في القضايا التي تبدو ملائمة للمبادىء التفسيرية التي نتوصل الى صياغتها تاركين على حدة قضايا أخرى كثيرة على امل تفسيرها لاحقاً من خلال نظريات اعمق وقد تكون مختلفة تماماً . هذه هي الامثولة التي تعلّمنا اياها المبادىء الذهنية ، وبخاصة كل العلوم التي توصّلت الى نتائج مهمة فكرياً . هذه الامثولة منسية أحياناً في المجالات التي هـ بدء تطورها ولكن على حساب هذه المجالات بالذات (4) »

يصرّ تشومسكي على القول بأن اللغة ظاهرة بالغة التعقيد وبأنّ دراستها تقتضي بناء نظرية بامكانها أن تُفسِّر القضايا اللغوية . ويتضّح من كلامه ، هنا ، انَّ هدف البحث الألسني الاساسي محاولة بناء نظرية متكاملة تتناول اللغة بصورة شاملة . وهذا الهدف هدف كل العلوم ، بصورة عامة ، وبعكس ما يعتقده البعض وبخاصة الالسنيون البنيانيون فإن هدف الألسنية لا ينحصر في تجميع المعطيات اللغوية وتصنيفها وترتيبها . بل

---

(3) انظر تشومسكي (1965 ، 1972 ، 1975)

(4) تشومسكي (1977 ـ ب) صفحة 32

يقتضي وضع النظريات . وهذا ليس بالسهولة كما قد يعتقد البعض وذلك بسبب تداخل المعطيات العائدة الى اللغة . ولا بد لنا من أن نميِّز هنا بين النشاط العلمي التصنيفي وبين النشاط العلمي التنظيري الذي يدعونا تشومسكي الى اعتماده .

في الواقع يقتضي النشاط العلمي التصنيفي لحظ أكبر عدد ممكن من المعطيات المعدَّة للدراسة وتصنيفها وفق ترتيب معينٍ وبهدف تبيان الصلات أو العلاقات القائمة في ما بينها. ويقتصر عمل الباحث الألسني ، في ظل النهج التصنيفي ، على ملاحظة اكبر عدد ممكن من الكلام الخطِّي أو الشفوي وعلى دراسة عناصره المؤلفة (المورفامات والفونامات) وعلى تصنيفها وفق فئات متنوعة .

انَّ النهج العلمي التصنيفي نهج قديم جدّاً ومعروف ، في هذا المجال ، أنّ الانسان منذ كوَّن مجتمعاته ، قد اعتاد تجميع الملاحظات التي يقوم بها في المجالات المختلفة وتصنيف معلوماته المتوافرة . وفي مجال الألسنية تعتمد المدارس البنيانية المختلفة النشاط العلمي التصنيفي وتسعى الى وضع وصف للّغة يحُدِّد عناصرها المؤلفة ويدرس العلاقات القائمة في ما بينها .

يتخطّى النشاط العلمي التنظيري هدف التصنيف فيسعى الى وضع نظريات عامة أو نماذج فرضية واستنباطية ، من خلال عدد محدود من الملاحظات أو الاختبارات . وتهدف هذه النظريات الى تحليل المعطيات المتوافرة وتفسيرها . اضافة الى ذلك ، انها تلتزم ، في الحقيقة بتكهن معطيات جديدة من خلالها .

غني عن الذكر انّ كل علم يمر بمرحلة تجميع المعلومات وتبويبها وترتيبها كمرحلة اولى ، بهدف تحديد موضوعاته . وذلك لانه من المستحيل وضع النظريات والافتراضات التفسيرية والتعميمات المثيرة الاهتمام ، من دون البدء بترتيب المعطيات وإن بصورة اوَّلية . إلا انه من الخطأ الاعتقاد بأنّ مرحلة التنظير تقع فقط كامتداد لمرحلة التصنيف . وذلك لانّ الانتقال من النشاط التصنيفي الى النشاط التنظيري نهج نوعي وليس كمِّي وهو بطبيعة الحال عمل تجديدي تطويري .

تندرج نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية في اطار النشاط العلمي التنظيري فتضع انموذجاً متكاملاً يمُكِّن الباحث الألسني من اعتماد تفسير جلي وواضح ، يُبينِّ كيف يستطيع الانسان أن يصيغ عدداً غير متناهٍ من جمل لغة معيَّنة ، وفق طريقة مختصة ، ومن خلال عدد محدود من القواعد .

يُفسِّر النشاط التنظيري ، اذاً ، الواقع الذي نريد دراسته ، وفي مجال الألسنية هذا

الواقع هو اللغة الانسانية . فنحن نرغب في أن نتفهمها وفي أن نتفهَّم عملها. والنشاط العلمي التنظيري هو الذي يُتيح لنا التوصل الى غايتنا هذه .

2 ـ مقتضيات بناء النظرية العلمية .

انّ بناء النظرية العلمية يمرّ ، بصفة اساسية ، بالمراحل التالية :

أ ـ التحسس بوجود ظاهرة معيَّنة : يُظهر الألسني دهشة في ما يختص بظاهرة لغوية معيَّنة وينتابه حبّ الاطلاع على هذه المسألة التي لم يسبق له الالمام بها .

ب ـ وصف هذه الظاهرة بدقة والتوسع في معطياتها والتعبير عنها بصورة فكرية : وتُقارب هذه المرحلة النشاط العلمي التصنيفي اذ تقتضي وصف المعطيات وترتيب عناصرها مما يساعد ، بالتالي ، على وضع الفرضيات الملائمة لتفسيرها .

ج ـ وضع الفرضيات التفسيرية : تمتاز هذه المرحلة بالتفكير الجدّي بوضع الفرضيات التفسيرية التي تُفسر هذه الظاهرة . بحيث يجب الاتيان بأكبر عدد ممكن من الادلّة لاقرار هذه الفرضيات . وهذا الاتجاه نلاحظه الى حدٍّ كبير في النظرية التوليدية والتحويلية ونسميه باعتماد الادلة المتنوعة في التحليل الألسني . ويمتاز بصورة واضحة عن منهجية الألسنية البنيانية التي تعتمد مفهوم التغاير أو المفارقة في التحليل اللغوي (5) .

في الواقع ، يقوم التحليل الألسني ، في ظل النظرية التوليدية ، على اعتماد الادلّة والحجج المتنوعة بهدف وضع الفرضيات التي تدرس اللغة . فالباحث ، في هذا الاطار ، أصبح يلجأ الى اكثر من افتراض يُمكن اثباته والى اكثر من مقولة ملائمة المعطيات اللغوية . مما يُظهر تنوعاً في اساليب الدراسة .

لمزيد من الايضاح ، نأخذ ، على سبيل المثال ، التأكيدات التالية التي تكوِّن بعض المبادىء الاساسية في النظرية التوليدية والتحويلية . تقول هذه النظرية بوجود بنية عمقية تختلف عن البنى الممكنة ملاحظتها مباشرة . وتُقر بوجود تحويلات تعمل على تحويل جملة معيَّنة الى جملة اخرى . وتتبنىً فئة الاسم والفعل والنعت . فهذه التأكيدات لا تُمكن برهنتها ، ضمن النظرية ، بصورة مباشرة . مع ذلك لا تقوم النظرية إلا عبر تقبّل هذه التأكيدات وإن بصورة مؤقّتة . وتُعتبر هذه التأكيدات كافية وضرورية حين تؤخذ بمجملها ، بهدف تبيان عمليات التحليل اللغوي . جُلّ ما يطلب الى هذه التأكيدات ينحصر بأن تكون ملائمة المعطيات ومُنتجة ، اي بمعنى آخر ، أن تُساعد على استنباط القضايا اللغوية .

(5) لمزيد من الايضاح انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 167 - 170

من النادر جداً أن يكتفي التحليل الألسني بايراد الحجَّة الواحدة ، بل غالباً ما يقوم هذا التحليل على تراكم الأدلّة وتلاقيها . فالحجة تكتسب قدرتها الاقناعية حين تندرج ضمن مجموعة من الحجج تُبرهن ، مجتمعة ، ملاءمة التحليل للقضايا المدروسة [6] .

د ـ اخضاع الفرضيات للتجربة : على ضوء اخضاع الفرضيات للتجربة ، يتبينّ للألسني أيَّة فرضيات هي ملائمة الظاهرات اللغوية أو أيَّة فرضيات يجب رفضها واستبعادها أو أيَّة فرضيات لا يُمكن حلّها في هذه المرحلة من مراحل التحليل بسبب صعوبات تقنية معيَّنة أو أيَّة فرضيات هي جزء من مسألة معيَّنة يجب التعمق بها . وهذه المرحلة تتَّخذ اهمية قصوى إن من الناحية الايجابية أو من الناحية السلبية ايضاً :

« فمن خلال دفع فرضية دقيقة ولكن غير ملائمة ، باتجاه نتيجة غير مقبولة ، نصل غالباً الى اظهار مكامن نقصها أو تقصيرها الحقيقية . وبالنتيجة نصل الى تفهم المعطيات بصورة اعمق [7] » .

هـ ـ وضع الفرضيات الجديدة : بعد اقرار بعض الفرضيات واستبعاد بعضها الآخر يصبح بالامكان تعديل الفرضيات أو وضع فرضيات جديدة . في هذا الاطار يقول تشومسكي :

« انّ اكتشاف المعطيات التي لا تطابق النظرية الموضوعية لا اهمية لها ما لم تُساعد على صياغة نظرية جديدة اعم من النظرية الحالية وقادرة على تفسير هذه المعطيات الجديدة . وباستطاعتنا ان نتصوَّر تطور المعارف العلمية كتتابع فرضيات نظرية تكون أكثر فأكثر شاملة ، وكل منها تجعل سابقاتها لاغية وليس كتراكم ملاحظات [8] »

فالنظرية التوليدية والتحويلية اذ تتَّخذ هذه المنهجية تُحاول ، بالتدرج ، التماس الحقائق اللغوية الموضوعية . وهنا تتبادر الى ذهننا الانتقادات التي يُطلقها ، بصورة اعتباطية بعض الباحثين المنتمين الى المدرسة اللغوية التقليدية أو الى الألسنية البنيانية ومفادها انَّ النظرية التوليدية والتحويلية تتناقض عندما تُعدِّل بعض مفاهيمها الذاتية . فهذه الانتقادات عارية من الصحة من زاوية المفاهيم العلمية الموضوعية . وذلك لأن المنهجية العلمية الصرفة تقتضي المحافظة على الانفتاح على كل فرضية جديدة والتحقق الدائم من صحَّة الفرضيات المعمول بها واخضاعها للتجربة والتدقيق في المجالات اللغوية المتنوعة .

---

(6) لمزيد من الايضاح انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 170 -173

(7) تشومسكي (1957) صفحة 7

(8) ورد في نيقولا ريفات (1967) صفحة 14

لا نستغرب ، في ظل هذا التصوّر ، أن نكتشف أنَّ بعض الفرضيات التي أُثبتت صحتها حتى الآن تظهر في النهاية غير صحيحة وفقاً لتحليلات لاحقة ومتطورة . امام هذا الواقع يشعر الألسني الذي يعتمد المنهجية العلمية بأنّ اكتشاف خطأ بعض المقولات أو الفرضيات هو في النهاية يخدم النظرية الألسنية اذ انه يعلمنا اشياء جديدة تتعلّق باللغة . فالفرضيات ضمن النظرية التوليدية والتحويلية تمتاز من حيث انها قابلة لأن تُثبت عدم صحتها . ولا يعني كلامنا هذا بتاتاً انها غير صحيحة أو غير موثوق فيها . جلّ ما في الامر انها ليست قائمة بمعزل عن المعطيات اللغوية . وما من تناقض ضمن النظرية فيما لو اظهرت الدراسات اللاحقة والمتطورة انَّ بعضها غير صحيح أو يلزمه بعض التعديلات لكي يُوافق المعطيات اللغوية الملحوظة .

تجدر بنا الاشارة ، هنا ، الى أن النظرية التوليدية والتحويلية تعتمد النهج الاستنباطي في التحليل أي تُحلِّل اللغة عن طريق وضع الفرضيات التي تُفسِّر القضايا اللغوية الممكنة ملاحظتها والتي تدرس العلاقات القائمة في ما بينها .

يُكوِّن النهج الاستنباطي وسيلة برهنة . لذلك ينطلق من المقدمات المنطقية الاولية والمباشرة والمفترضة صحتها والمفترض صوابها ، للتوصل الى التحقق من النتائج الحاصلة . ويتبينَّ الباحث في نطاق النهج الاستنباطي ، البنية اللغوية ومختلف العلاقات القائمة ضمنها بين عناصر اللغة فيضع انموذجاً (9) نظرياً أو تفسيرياً يُراعي هذه العلاقات ، ويتأكّد عن طريق الاستنتاج ، من القضايا التي يستطيع هذا الانموذج تفسيرها .

يُركِّز تشومسكي كما هو معلوم على انّ متكلِّم اللغة يستطيع أن ينتج عدداً غير متناه من جمل لغته مما يجعل وصف جمل اللغة عملاً مستعصياً لذلك يُحاول تشومسكي وضع النظريات اللغوية التي تُفسِّر النتاج الكلامي :

« ففي الالسنية نعتقد انَّ تفسيراً قد تم الحصول عليه عندما نستبطن ظاهرات من خلال مجموعة مبادىء عامة وبعض الملاحظات اللغوية الخاصة ومن ثم من خلال سلسلة استدلالات تنطلق من هذه المبادىء (10) »

3 ـ النظرية الألسنية والحدس اللغوي .

لا يحتاج الباحث الى وقت طويل لكي يتبينَّ له وجود علاقة متبادلة بين النظرية وبين المادة التي ندرسها . فالنظرية التي نعتمدها قد تؤثِّر في اسلوب معالجتنا المادة . وفي المقابل

مفهوم الانموذج في الفصل اللاحق .

1977 ـ ج) صفحة 121

يُعدِّل تحليل المادة المتواصل في النظرية . ومن البديهي القول بأنَّ الباحث الألسني لا يُعالج المادة من دون أن يعتمد ، بتاتاً ، بعض الآراء النظرية . وهو لا يبدأ التحليل وذهنه خال من أي افتراض مسبق .

انَّ موقف تشومسكي من اللغة الانسانية قد تأثّر الى حدٍّ كبير بمبادئه العقلانية . فالألسنية في نظره ، نظرية أو مجموعة تقنيات تُساعدنا على تفهم العقل الانساني وتندرج ، بالتالي ، في اطار السيكولوجيا المعرفية . ومن هذا المنطلق العقلاني يعتمد تشومسكي ، بصفة اساسية ، **الحدس اللغوي العائد الى متكلم اللغة والكامن ضمن كفايته اللغوية ، كمادة التحليل الألسني الاساسية .**

تعني كلمة الحدس اللغوي العائد الى متكلم اللغة ، في ظل النظرية التوليدية والتحويلية ، مقدرته على الحكم باصولية الجمل بصورة بديهة . وقد سبق الاعتماد على الحدس اللغوي كمادة التحليل الألسني ، الاعتماد على ما يُدعى بالمدوَّنة الكلامية ، في ظل الألسنية البنيانية .

تتكوَّن المدوَّنة من مجموعة جمل يفهمها كل متكلم اللغة التي يرغب الباحث في دراستها . وتحتوي ، في الواقع ، على عيِّنات من اللغة ، تُستقرأ القواعد من خلالها . وينبغي ان تكون للمدوَّنة صفة تمثيلية كافية وأن تكون نصوصها متماسكة بحيث تتوافر للباحث امكانية القيام ، بواسطتها ، بدراسته اللغوية .

واضح الآن انّ ما من مدوَّنة بامكانها ان تتضمَّن امثلة جمل اللغة المتنوعة . لذلك يرى تشومسكي انه من الطبيعي ان نتخلّىَ عن اعتماد المدوَّنة وأن نلجأ بدلاً منها ، الى الحدس اللغوي .

يُحدد تشومسكي موضوع النظرية اللغوية بالانسان المتكلم المستمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماماً والذي يعرف جيداً لغته . فهو من هذا المنطلق يعتبر انّ متكلم اللغة هو موضوع دراسة اللغة وفي الوقت نفسه هو مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته اللغة في اداء كلامي . بمعنى آخر يوجد ترابط بين المادة اللغوية (موضوع الدراسة) وبين معرفة الانسان بلغته (مصدر اللغة) .

امام هذا الواقع لا بد للألسني لكي يُحلِّل اللغة من التوصّل الى المعرفة الضمنية باللغة والخاصة بالمتكلم . ويتم له هذا ، انطلاقاً من الفرضية التالية :

ان الانسان الذي يتكلم لغة معيَّنة يستطيع ان يفهم جمل لغته هذه كما انه يستطيع ان يحكم على الجمل الجديدة من حيث الخطأ أو الصواب في التركيب .

ان الاحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة اقرارها في ما يختص بجمل لغته هي ، بالذات ، التي تقود الباحث الألسني الى التوصل الى وضع قواعد اللغة . وتُسمّى مقدرة المتكلم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعة متعاقبة من الكلمات من حيث هي تُؤلف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة ، بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة .

لا بد ، في هذا الاطار ، من أن نميِّز بين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة وبين حدس الألسني الذي يقوم بتحليل اللغة . فمتكلم اللغة نلجأ اليه فقط من حيث انَّه يُقدِّم لنا المعلومات حول ما يشعر بأنّه قائم في لغته ولا يُمكن ، بالتالي ، اللجوء اليه ليقدِّم لنا الآراء حول طرائق تحليل المادة اللغوية ، فالألسني يُحلِّل المادة بالاستناد الى تقنياته ونظريته العلمية ، في حين ان متكلِّم اللغة يُدلي امامنا بالمعلومات حول الجمل التي نُسائل حدسه حولها . فنتوصَّل من خلال مساءلة حدس المتكلم اللغوي الى كفايته اللغوية .

يجدر التنويه هنا بأنّ اللجوء المنظَّم الى الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ، يُتيح للباحث الألسني ملاحظة القضايا المثيرة الاهتمام كما يُتيح له ، بالاضافة الى ذلك ، استنباط القوانين اللغوية من خلال هذا الحدس اللغوي .

4 ـ عمل الألسني .

يُركِّز تشومسكي . في مجمل ابحاثه ، على الظاهرة التالية :
أنَّ كل إنسان ترعرع في بيئة معيَّنة قادر في كل لحظة أن ينتج عدداً غير متناهٍ من الجمل كما أن يتفهمه . ولا بد للألسني من أن يبني نظرياته الألسنية انطلاقاً من هذه الظاهرة الأساسية .

والاسئلة التي تطرح نفسها ، علينا هنا ، هي :

(1)ما هي طبيعة الكفاية اللغوية التي تتيح للانسان تكلم اللغة .

(2) كيف يستعمل المتكلم كفايته اللغوية هذه في الاداء الكلامي .

(3) كيف يتم اكتساب الكفاية هذه .

للجواب عن هذه الاسئلة ينبغي على الألسني ان يضع ثلاث نظريات :

1 ـ نظرية تتناول الكفاية اللغوية أو تنظيم القواعد الكامنة ضمنها . وهذه النظرية هي ما يُعرف عادة باسم قواعد اللغة .

2 ـ نظرية تبحث في الاداء الكلامي وتنقسم الى نظريتين:نظرية الارسال التي تختص بمتكلم اللغة ونظرية الالتقاط التي تختص بالمستمع .

3 ـ نظرية اكتساب اللغة التي تحدِّد ضمن الكفاية اللغوية الخاصة بالمتكلم القضايا الفطرية والقضايا المكتسبة (الفصل الثالث) وترتبط هذه النظرية بالقواعد الكلّية (الفصل الرابع) . وهذه النظرية ترتدي اهمية كبرى بالنسبة لتشومسكي وبالرغم من أنّ الابحاث ، في هذا المجال ، لا تزال في أولها. يُشير تشومسكي الى هذه النظرية على النحو التالي :

« انّ المسألة الاساسية في دراسة اللغة ، برأيي ، هي أن نُفسِّر كيف بالامكان اكتساب المعرفة باللغة ، هذه المعرفة التي لا تكفي التجربة ، بالتأكيد ، لتحديدها.فعلى نحوٍ ما ومن خلال مدِّ التجربة اللغوية العادية المشوَّش ، ينمو في الدماغ وبشكل محدَّد تنظيم كفاية قواعدية غني وواضح . هذا بالاضافة الى انّ هذا التنظيم ينمو بشكل متناسق في مجتمع لغوي معينٍ بالرغم من تنوع التربية والمحيط تنوعاً ظاهراً كما ينمو التنظيم البصري أو بقية اعضاء الجسم وفقاً لشروط تضعها الخبرة على نحو محدَّد بصورة سابقة ، مع وجود شروط انطلاق ملائمة . لتحليل هذا الانجاز الطبيعي ، ينبغي علينا ، على ما يبدو ، الاقرار بأنّ القواعد الكلِّية تُقدِّم رسمًا تخطيطياً مقيَّداً جداً يجب ان تتوافق معه القواعد (الخاصة) . والمسألة لا تبدو لي مختلفة وإن تكن مفهومة اقل مما هي في حال بقية البنى المعرفية (11) » .

« بالامكان تصور النظرية الألسنية العامة أو نظرية القواعد الكلّية كفرضية متعلقة بخاصية الاكتساب (12) . »

سبق أن اشرنا في الفصل السابق الى انَّ تشومسكي يُميِّز بين القواعد الكلّية أو النظرية الألسنية العامة وبين القواعد الخاصة باللغات المتنوعة . ولا بد من القول ، هنا ، أنَّ عمل الألسني يقتضي وضع النظرية الألسنية العامة كما يقتضي وضع القواعد الخاصة باللغة التي يرغب في دراستها .

تهدف النظرية الألسنية العامة الى وضع اسس صياغة القواعد الخاصة باللغات المتنوعة كما تسعى الى ان تُقدِّم الادوات التي تتيح صياغتها .

لن نستطرد هنا في هذا الموضوع وذلك لاننا توسّعنا به في الفصل السابق . نكتفي فقط بالقول انّ الالسني حين يضع النظرية الألسنية العامة يقوم بالاعمال التالية :

---

(11) تشومسكي (1977 ـ ب) صفحة 28

(12) تشومسكي (1979 ـ ب) صفحة 81

أ ـ يقدِّم وسيلة كتابة فونتيكية اي يقدِّم نظرية فونتيكية عامة تميِّز الاصوات اللغوية عن بقية الاصوات .

ب ـ يقدم وسيلة تمثيل الدلالات اي يُقدّم نظرية دلالية عامة .

ج ـ يُقدِّم وسيلة وصف بنياني للجمل اي يقدّم نظرية اقران الصوت اللغوي بالدلالة .

د ـ يحُدِّد الشكل الذي يجب ان تتخذه القواعد الخاصة باللغات المتنوعة القائمة ضمن كفاية متكلم اللغة .

هـ ـ يحُدِّد طرائق التحقق من القواعد التي تصف وتُفسر اللغات المتنوعة بصورة افضل .

5 ـ صياغة القواعد الخاصة .

« نستعمل كلمة « قواعد » بالتباس منهجي . فمن جهة تُشير هذه الكلمة الى النظرية التوضيحية التي يبنيها الألسني ويتقدَّم بها كوصف يختص بكفاية متكلم اللغة . ومن جهة اخرى نستعمل هذه الكلمة لنشير الى هذه الكفاية اللغوية نفسها . فالاستعمال الاوَّل استعمال عادي والاستعمال الثاني ، وإن يكن اقل استعمالاً الا انَّه ايضاً ملائم . فكل انسان اكتسب معرفة اللغة قد استبطن تنظيم قواعد يحُدِّد ترابط الصوت والدلالة في عدد لا متناه من الجمل . . . . . . خلاصة القول، نستعمل كلمة « قواعد » لنشير ، في الوقت نفسه الى تنظيم القواعد القائم في ذهن المتكلم ـ المستمع أي التنظيم المكتسب بصورة طبيعية في مرحلة الطفولة الاولى والمستعمل في انتاج الكلام وتفهمه ، والى النظرية التي يبنيها الألسني من حيث هي فرضية تتعلّق بقواعد المتكلم ـ المستمع المستنبطة والحقيقية . لا ينجم عن الاستعمال النموذجي هذا اي لُبس فيها لو ابقينا في ذهننا هذا التمييز (13) »

انّ موضوع الدراسة الألسنية كما نلاحظ مما سبق ، هو اللغة نفهمها عبر مفهوم الكفاية اللغوية اي عبر مجموعة قواعد متناهية تتيح توليد عدد غير متناه من الجمل . فتكون القواعد التوليدية والتحويلية بمثابة انموذج لمجموعة القواعد هذه . ويصرّ تشومسكي على تحديد موضوع الدراسة الألسنية على النحو الآتي :

« انّ موضوع النظرية اللغوية الاولي هو انسان متكلم ـ مستمع locuteur - auditeur

---

(13) تشومسكي (1968 ـ أ) صفحة 25 -26

مثالي ينتمي الى بيئة لغوية متجانسة تماماً ، ويعرف جيِّداً لغته . وحين يستعمل هذا الانسان معرفته اللغة في اداء كلامي فعلي ، لا يكون مصاباً بحالات غير ملائمة من الناحية اللغوية ، كالحد من الذاكرة والشرود أو السهو وانتقال الاهتمام أو الانتباه والاغلاط (العرضية أو المميزة) » [14] .

نلاحظ ان تشومسكي يسعى الى صياغة القواعد القائمة ضمن الكفاية اللغوية العائدة الى متكلمي اللغة ولا يسعى ، بالتالي ، الى الزامهم بقواعد أو مقاييس استعمال اللغة الاستعمال الصحيح كما اعتدنا ان نلاحظ في القواعد التقليدية . فالقواعد التقليدية ترى من ضمن عملها صياغة القواعد المقياسية والصحيحة وفرضها إن لزم الامر على متكلمي اللغة . في حين انّ القواعد التوليدية والتحويلية تسعى الى وصف القواعد الكامنة ضمن الكفاية اللغوية والى تفسيرها التفسير العلمي الدقيق .

انَّ القواعد التوليدية والتحويلية قواعد علمية تتناول وصف كفاية متكلم اللغة . وليست ، بالتالي ، قواعد تربوية تهدف الى تقديم التعريفات والرسوم التخطيطية والتمارين والقواعد التي تُساعد المتعلّم على اكتساب المعرفة باللغة والبلاغة في استعمالها . فالقواعد التربوية تقوم على اختيار مواد من ضمن القواعد العلمية ولا ترتبط مباشرة بالمسلّمات الألسنية .

تقوم القواعد التوليدية والتحويلية على الاساليب العلمية في البحث فتعتمد الى حد كبير ، التجريد في الصياغة وتتبنىً لغة صورية قائمة على رموز متعاقبة تُفسّر المعطيات اللغوية وتسهم ، بصورة مباشرة ، بتعميم التحاليل اللغوية واختبارها . وغني عن الذكر انّ هدف التحليل الألسني ، في هذا المجال ، لا يقوم على التصرف ببنية اللغة بل على تحديد هذه البنية ووصفها . فالتحليل الألسني ، من هذه الزاوية ، يتناول اللغة كمادة قائمة بصورة ذاتية ومستقلّة عن نشاط الألسني . فنحن ننتج الكلام لاننا اكتسبنا القواعد القائمة ضمن كفايتنا اللغوية والتي تقود عملية تكلمنا . فهذه القواعد لا تخضع للملاحظة المباشرة انما بالامكان استنباطها من خلال الجمل اي من خلال المادة التي تنتجها هذه القواعد .

6 ـ عمل القواعد التوليدية والتحويلية .

انّ تنظيم القواعد الذي يقرن الاصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والذي قلنا انّه يكمن ضمن الكفاية اللغوية هو بالذات ما ندعوه بالقواعد التوليدية والتحويلية . ننظر اليه

---

(14) تشومسكي (1965) صفحة 3

نظرتنا الى اوالية يمكنها توليد جمل اللغة أو تعدادها . نقصد هنا بكلمة « توليد » المعنى نفسه الذي نقصده حين نتكلم عن الاوالية الحاسبة على سبيل المثال . ويرتبط تفسير الجملة الدلالي ببعض الشروط الشكلية أو الصورية التي تؤلِّف تراكيب اللغة أو مجموعة الروابط المجرَّدة التي تلعب دور الوساطة بين التمثيل الدلالي والتمثيل الصوتي .

تلتزم النظرية التوليدية والتحويلية بوضع وصف بنياني يُقدِّم كافة المعلومات عن الجمل عبر القواعد ذاتها التي تُولِّدها. فيكون هذا الوصف البنياني بمثابة تحليل الجمل هذه يميِّز في آن واحد الجمل الاصولية من الجمل غير الاصولية. بمعنى آخر يتضمَّن لائحة غير متناهية من التراكيب الصورية التي تكوِّن جمل اللغة شرط ألا تحتوي هذه اللائحة على جمل ليست من جمل اللغة. يقول تشومسكي في هذا الصدد:

«يجب اعتبار القواعد التي يطرحها الألسني كنظرية تفسيريـة، فهي تقترح تفسير كيف انّ متكلم اللغة موضوع البحث يفهم الكلام ويُفسِّره ويُكوِّنه ويستعمله على نحو ما دون غيره [15]» .

لا بد لنا من أن تناول هنا، بصـورة مفصَّلة، عمل القـواعد التـوليديـة والتحويلية :

1 ـ ينبغي ان يكون بمقدور القواعد التوليدية والتحويلية ان تولِّد جمل اللغة الاصولية وان تولِّد فقط هذه الجمل وأن تقرِّر في الوقت نفسه اية جمل هي اصولية وايَّة جمل هي غير اصولية .

2 ـ ينبغي ان يكون باستطاعة القواعد التوليدية والتحويلية ان تُحلِّل العلاقات القائمة بين عناصر الجملة ، فمثلاً يجب ان يكون باستطاعتها ان تنص على انّ العلاقة بين « الرجل » وفعل « أكل » في الجملة التالية :

(1) اكل الرجل التفاحة

هي نفس العلاقة القائمة بين «الولد» وفعل «سافر» في الجملة الآتية:

(2) سافر الولد

في حين تختلف عن العلاقة بين «الرجل» وفعل «قُتل» في الجملة التالية:

(3) قُتل الرجل

(15)تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 47

كما ينبغي ان يكون باستطاعة القواعد هذه ان تُشير الى انّ بعض العناصر التي تختلف، في الظاهر، من حيث تركيبها الصوتي وتعقيداتها، تتماثل من حيث انها تُظهر نفس البنية في مستوى معينً. لنتأمل الجمل التالية:

(4) سافر الرجل.

(5) سافر الولد الذي مات ابوه.

(6) سافر الرجل الذي اسس الجريدة الاوسع انتشاراً والأكثر مبيعاً في العالم العربي.

« فالرجل » في(4) و« الولد الذي مات ابوه » في(5) و« الرجل الذي اسس الجريدة الاوسع انتشاراً والاكثر مبيعاً في العالم العربي » . في(6)، تتماثل من حيث انها تكوِّن ركناً اسمياً.

3ـ يجب أن تُحدِّد القواعد مختلف الفئات النحوية التي تتشابك في العلاقات الركنية. مثلاً تُميِّز بين الفعل والاسم استناداً الى وظيفة أو الى توزيع كل من هاتين الفئتين (16)

كما يجب أن تُحدِّد القواعد كيف انَّ هذه الفئات تتفرَّع الى فئات متفرعة. فمثلاً في ما يختص بفئة « الاسم » ينبغي ان تُمَيِّز القواعد بين الاسم الذي يحتوي على سمة [+ متحرك] (الرجل) وبين الاسم الذي يحتوي على سمة [ـ متحرِّك] (الطاولة) وبين الاسم الذي يحتوي على سمة [+ معدود] (الطالب) والاسم الذي يحتوي على سمة [ـ معدود] (الماء).

وأخيراً، يجب ان تُحدِّد القواعد ايضاً السمات الانتقائية التي يحتوي عليها الاسم والفعل. (17).

4ـ ينبغي أنْ تصف القواعد شكل اللغة الصوتـي أي الفونامات كما ينبغي ان تصف دلالات الجمل.

5ـ ينبغي ان تشرح القواعد خصائص اللغة الانسانية ولا سيما ميزة الابداعية في اللغة اي كيف يستطيع الانسان من خلال استعمال تنظيم قواعد محدودة عناصره ان ينتج عدداً لا متناهياً من الجمل (18).

---

(16) قواعد اللغة العربية التوليدية والتحويلية تُظهر، على سبيل المثال، انّ الفعل والنعت فئتان متفرعتان تعملان عمل الفعل. انظر الجزء الثاني من كتابنا هذا.

(17) لمزيد من الايضاح انظر، في الجزء الثاني من كتابنا هذا: الفصل الرابع والفصل الخامس.

(18) انظر الفصل الثاني: الكفاية اللغوية والاداء الكلامي

6 ـ ينبغي ان تُفسّر القواعد كيف ان الجملة الواحدة تحتمل اكثر من دلالة واحدة اي ينبغي ان تُزيل اللبس الناجم عندما تُعبِّر الجملة الواحدة عن أكثر من معنى واحد . للتوضيح نأخذ الجملة التالية :

(7)سمعت الحب يهمس بشفتي سلمى في آذان نفسي

فالجملة في(7) قد تعني انّ الحب يهمس كلمة « سلمى » في آذان نفس الكاتب . كما قد تعني ان الحب يهمس ان سلمى موجودة في آذان نفس الكاتب كما قد تعني انَّ الحب يهمس بواسطة شفتي سلمى في اذان نفس الكاتب .

7 ـ يجب ان تُفسرِّ القواعد كيف أنَّ بنيتين مختلفتين يتضمَّنان نفس الدلالة :

(8) اكل الرجل التفاحة .

(9) التفاحة اكلها الرجل .

كما ينبغي ان تُحلِّل العلاقات القائمة بين الجمل بصورة عامة .

8 ـ يجب أن تفسرِّ القواعد كيف انَّ البنية التركيبية نفسها يُمكن ان تتَّخذ قراءة واحدة أو قراءتين أو لا تتَّخذ بتاتاً اية قراءة . لنأخذ الجمل التالية :

(10) سألت يوسف أن يذهب .

(11) سأل زيدٌ يوسّف ان يذهب .

(12) * قررتُ يوسف أن يذهب .

فالجملة في(10) تتخذ قراءة واحدة بينما تتَّخذ الجملة في(11) قراءتين :

(13) سأل زيدٌ يوسف ـ أن يذهب زيد ـ

(14) سأل زيدٌ يوسف أن ـ يذهب يوسف ـ

في حين انَّ الجملة(12) هي جملة غير اصولية ولا تحتمل بتاتاً أية قراءة .

ينبغي أن تكون القواعد التي تقوم بالاعمال التي اشرنا اليها واضحة ، والقواعد الافضل هي التي تُحلِّل أكبر عدد ممكن من المعطيات بطريقة واضحة وبسيطة وشاملة . وقد اشار تشومسكي الى هذه الناحية بالذات :

« أنَّ مجموعة قواعد اعتباطية بامكانها ان تُعدّد عدداً كبيراً من المظاهر دون أن توضح المزايا الصورية التي تميِّز بين مجموعة الوصف البنياني الصحيحة وبين مجموعات اخرى محتملة قد توفرها قواعد مختلفة تماماً . . . .

وما نحاول ان نكتشفه هو قواعد مصاغة تُخصص الوصف البنياني الصحيح من خلال اللجوء الى عدد محدد بصورة كافية من المبادىء العامة المختصّة بتكوين الجمل (19) »

7 ـ تقييم القواعد.

تهتم النظرية التوليدية والتحويلية بموضوع تقييم القواعد والتأكد من صحتها . ويعود الفضل الى تشومسكي في وضع معايير ومبادىء عامة ودقيقة بالامكان، وفقها، اعتماد القواعد الملائمة التي بامكانها وصف المعطيات اللغوية فالسؤال الذي لا بد من ان يطرح نفسه على الباحث ، في مرحلة ما من مراحل بحثه في مجال الألسنية هو الآتي : كيف بامكان الباحث ان يختار بين عدة قواعد صالحة لتفسير المعطيات اللغوية ووصفها ؟ او بتعبير آخر ما هي المعايير التي بالامكان اعتمادها للتأكد من ان القواعد التي قد وضعناها هي القواعد التي بامكانها توليد جمل اللغة ؟

قبل الجواب عن هذا السؤال نشير الى الامرين التاليين :

اولاً : لا بد ، في اطار البحث العلمي من ان نتأكد بصورة دائمة ومتواصلة من انَّ الاساليب المعتمدة والفرضيات المثبتة هي صحيحة وملائمة المعطيات . ويصر تشومسكي ، في الواقع ، على الأخذ بعين الاعتبار هذه القضية بالذات :

« مهمٌّ جداً ان نُبقي في ذهننا انَّه ينبغي ، حين نقترح اجراءات عملية معينة ، ان نخضعها للتجربة بهدف التأكد من ملاءمتها المعطيات من خلال قياسها بالنسبة للمقياس المتوافر عبر المعرفة الذاتية الضمنية التي تحاول الاجراءات هذه تحديدها ووصفها (20) »

ثانياً : ليس بالامكان ان نبرهن أنّ قواعد ما هي جيدة . فقط بالامكان ان نبرهن انّ هذه القواعد هي غير صحيحة وذلك لانَّ القواعد شأنها شأن النظرية بصورة عامة ، يمُكن ، في الواقع ، تبيان عدم صوابها . في حين لا يمُكن بتاتاً تبيان صحتها بصورة مطلقة اذ اننا لا نستطيع من الناحية العلمية ، ان ننفي بصورة قاطعة وجود معطيات قد يتم اكتشافها في مرحلة لاحقة لاقرارنا واعتمادنا القواعد . وقد تُكوِّن هذه المعطيات ادلّة تُشير الى عدم صواب القواعد .

---

(19)تشومسكي (1962) صفحة 73

(20)تشومسكي (1965) صفحة 19

اصبحنا الآن في وضع يُتيح لنا الاجابة عن هذا السؤال . انَّ مسألة اختيار القواعد الملائمة اكثر من غيرها ، من بين عدَّة قواعد ، هي مسألة لاحقة مسألة معرفة كيفية بناء هذه القواعد او بتعبير آخر هي مسألة لاحقة مسألة اقامة الشروط التي يجب ان تخضع لها عملية وضع القواعد اي المعايير الدقيقة والواضحة التي بالامكان اعتمادها بهدف تحديد أيَّة قواعد يجب اعتمادها من بين القواعد المتنافسة على وصف اللغة .

نميِّز في هذا المجال بين الملاءمة الخارجية وبين الملاءمة الذاتية :

1 ـ الملاَءمة الخارجية : نعنى بالملاءمة الخارجية ملاءمة القواعد المادة اللغوية التي تُحللها هذه القواعد . فاذا ذكَّرنا هنا بأنّ القواعد التوليدية والتحويلية تتناول تحليل الكفاية اللغوية ووصفها تكون الملاءمة الخارجية ملاءمة القواعد الحدس اللغوي القائم ضمن كفاية المتكلم ـ المستمع اللغوية :

« يُمكن اعتبار القواعد بمثابة نظرية اللغة . فهي تكون ملائمة من الناحية الوصفية حين تصف بشكل صحيح الكفاية اللغوية الضمنية العائدة الى متكلم اللغة المثالي (21) : »

لنفترض ، لمزيد من الايضاح ، انّ احد الألسنيين قد وضع القواعد التي تولِّد فيما تولِّده الجمل التالية :

(15) * كريمٌ ابو الرجل .

(16) * جميلةٌ خطيبة الرجل .

(17) * يذهبون الرجال .

نقول انّ هذه القواعد غير صحيحة وبالتالي مرفوضة وذلك لانها لا تتوافق مع معيار الملاءمة الخارجية اي لا تتلاءم مع كفاية متكلم اللغة العربية الذي يرفض ، بالاستناد الى حدسه اللغوي، ان تكون الجمل في (15) ـ (17) جملاً اصولية في لغته .

2 ـ الملاءمة الذاتية : تكون القواعد ملائمة بصورة ذاتية عندما تتناسب مع بعض المعايير المنهجية نذكر اهمها هنا : البساطة والتعميم الألسني والشمول وسهولة التطبيق .

أ ـ البساطة والتعميم الألسني: يعتمدالألسني الى حدٍّ كبير القواعد التي تلائم المادة

(21)تشومسكي (1965) صفحة24

اللغوية والتي هي ، في الوقت نفسه اكثر بساطة . ولا نشير هنا بكلمة بساطة الى بساطة العرض او اناقة الصياغة بل نُشير ، في هذا المجال الى قدرة القواعد التعميمية والى درجة التعميم الألسني التي تقوم به . فالاتجاه الألسني العلمي والواضح يسعى الى ايجاد التعميمات القوية التي باستطاعتها تحليل أكبر عدد من المعطيات بواسطة اقل عدد من الوسائل المعتمدة . فالتعميم يتم عندما نجمع بين صياغتين (او اكثر) مختلفتين تحللان عناصر لغوية مختلفة ، في صياغة واحدة ويلعب هذا المعيار دوراً اساسياً في اختيار القواعد الملائمة وفي اثبات صحَّة اعتمادها . ومما لا شك فيه انَّ الوسائل والاجراءات التي نستخدمها في بناء القواعد التوليدية والتحويلية يجب ان تتيح ، بصفة اساسية، تلمُّس التعميمات المفيدة التي تُراعي البساطة والاقتصاد في صياغة هذه القواعد .

ب ـ الشمول : انّ القواعد التي تُحلِّل المادة المتوافرة بصورة شاملة افضل من القواعد التي بإمكانها فقط تحليل بعض هذه المادة . فالألسني يهدف ، بصفة اساسية ، الى بناء القواعد التي تُفسّر الكفاية اللغوية والتي تُعطي الصورة الواضحة عن البنى اللغوية والتي تُنظِّم العلاقات التي تربط بين مكوِّنات اللغة بصورة شاملة ومستنفدة القضايا اللغوية .

ج ـ سهولة التطبيق : تظهر اهمية هذا المعيار في مجال القواعد الموضوعة بهدف تطبيقي معينٍ نذكر ، هنا ، على سبيل المثال ، القواعد التربوية والقواعد المعتمدة في حقل الترجمة الآلية والقواعد التي تُحلّل الكلام . فمن الطبيعي ان يُطلب من هذه القواعد بالذات ان تخضع لمعيار سهولة امكانية تطبيقها في هذه المجالات المختلفة .

مما سبق يتبينً لنا انّ القواعد التي نسعى الى اعتمادها في اطار النظرية التوليدية والتحويلية هي القواعد الملائمة المادة اللغوية والتي تتناسب ايضاً مع معايير الملاءمة الذاتية . وفي هذا الصدد يقول تشومسكي :

« نتناول مسألة اثبات صحَّة القواعد التوليدية من زاويتين . ففي مستوى اوَّل (مستوى الملاءمة الوصفية) تُبرَّر القواعد من حيث هي تصف بصورة صحيحة مادتها اي الحدس اللغوي ـ الكفاية الضمنية ـ العائد لمتكلم اللغة . فبهذا المعنى تُبرَّر القواعد من زاوية خارجية اي من زاوية تطابقها مع المعطيات اللغوية . وفي مستوى اعمق نادراً ما نتوصَّل اليه (مستوى الملاءمة التفسيرية) تُبرّر القواعد من حيث هي تنظيم وصفي منتظم وملائم تختار النظرية الألسنية المقترنة بهذا التنظيم ، هذه القواعد من بين قواعد اخرى من خلال مادة لغوية متوافرة تتلاءم معها كل

هذه القواعد . فبهذا المعنى تُبرَّر القواعد من زاوية ذاتية او داخلية ، من زاوية علاقتها بنظرية السنية تُكوِّن فرضية تفسيرية تتناول شكل اللغة بالذات [22] »

بقي القول انَّ التركيز على قضية اخضاع القواعد لشروط الملائمة التي ذكرناها ينجم عنها تقليص عدد القواعد المحتملة ، الى حدٍّ كبير . بالاضافة الى ان هذه الشروط تقدّم اجراءات تقرير في ما يتعلّق باثبات صحة اعتماد القواعد التي يتوصّل اليها البحث الالسني .

8 ـ الجملة الاصولية .

سبق ان قلنا بأن اللغة مجموعة جمل لا متناهية وبأن القواعد التوليدية تُعدِّد جمل اللغة وفقط هذه الجمل وبأنَّ متكلم اللغة ، باستطاعته ان يُدلي باحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث هي تُؤلِّف جملة صحيحة او جملة غير صحيحة من جمل لغته . نُسمِّي الجملة الصحيحة بالجملة الاصولية (اي الجملة الموافقة قواعد اللغة) والجملة غير الصحيحة بالجملة غير الاصولية ونقول بأن قواعد اللغة تُولِّد فقط الجمل الاصولية او بكلام آخر تتيح انتاج وتعداد كل جمل اللغة الاصولية والجمل الاصولية لا غير . كما تحُدِّد القواعد كل الجمل المحتملة في اللغة وتمنع في الوقت نفسه الجمل غير الاصولية من ان تتكوّن .

انَّ الجملة اصولية ، في لغة معيَّنة اذا كانت مركَّبة على نحو جيد . وهي غير اصولية اذا انحرفت عن المبادىء التي تحُدِّد الاصولية في هذه اللغة اي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم والذي يطبّقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية .

انَّ الجملة ، لكي نعتبرها اصولية ، يجب الاَّ تنحرف بالنسبة لأيَّة قاعدة من القواعد التي تُعين توافق العناصر اللغوي في مستويات اللغة الثلاثة : المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي .

لا يقتصر الحكم باصولية الجمل ، في الواقع ، على قبول جملة معيَّنة او رفضها انما ينص على وجود درجات متباينة من حيث الحكم على الجمل وذلك لانَّ الجمل غير الأصولية تتباين نسبة لدرجة انحرافها عن قواعد اللغة . فترتبط درجة غير اصولية الجملة بالمستوى الذي ننتمي اليه القاعدة التي تنحرف عنها . لنتناول الجملة الآتية :

---

(22)تشومسكي (1965) صفحة 27

(18) * ابحر الاسكندرية من سعد اليوم الى باريس[23] .

نلاحظ انّ هذه الجملة لا يمكن اعتبارها مفيدة لمعنى معين ذلك ان كلمة « الاسكندرية » لا تقع فاعلاً لفعل ابحر الذي يحتوي على سمة [+ حركة] كما ان كلمة « سعد (سعد زغلول)لا ترد بعد التعبير « ابحر من ـ » فالجملة (18) وان تكن تتناسب مع ترتيب العناصر اللغوية الاصولي في اللغة العربية :

(19) « فعل ، اسم ، حرف جر ، اسم ظرف زمان ، ظرف مكان »

إلا انها جملة غير مقبولة . وذلك لانها لا تخضع لقاعدة الملاءمة بين سمات الفاعل والفعل . ففعل أبحر يقتضي فاعلاً يحتوي على سمة [+ متحرك] وهذه القاعدة موجودة في المستوى التركيبي .

انَّ تصحيح جملة (18) يقتضي ادخال كلمة «سعد» بعد أبحر في موقع كلمة الاسكندرية وكلمة الاسكندرية في موقع كلمة سعد. فنحصل على الجملة الاصولية التالية :

(20) ابحر سعد من الاسكندرية اليوم الى باريس . نلاحظ نفس الحالة في الجملة الآتية :

(21) سيعود حاملاً مصر الى الاستقلال.لتصحيح جملة (21) يجب استبدال الكلمتين «مصر» و «الاستقلال» بصورة متبادلة :

(22) سيعود حاملاً الاستقلال الى مصر.

لناخذ الجملتين التاليتين

(23) الرجل جاء الى المدينة .

(24) *رجل جاء الى المدينة .

انَّ جملة (24) جملة غير اصولية لغياب التعريف عن الاسم «رجل» . ومن الواضح اننا حين نقارن بين الجملة(24) وبين الجملتين(18) و(21) نلاحظ انَّ درجة الانحراف عن الاصولية تختلف في الجملة(24) عما هي في الجملتين(18) و(21) .

لنأخذ الآن الجملتين التاليتين :

(25) *ثم يبحر الى الدعوة تلبية للندن التي تلقاها من .

(26) *ـ الرجل الى جاء المدينة .

---

(23)نجيب محفوظ قصر الشوف ص. 7

فالجملتان(25) و(26) لا تنتميان بتاتاً الى جمل اللغة العربية وذلك لأن ترتيب عناصرهما لا يخضع لقاعدة الترتيب الاساسي المعتمد في اللغة العربية في(19)، وما من تحويل ، بعلمنا ، يتيح تبديل العناصر على النحو الذي نلاحظه فيهما . فدرجة الانحراف عن الاصولية في الجملتين(25) و(26) اعلى من درجة انحراف الجمل في(18) (21) و (24) . وذلك لأنَّ الجملتين(25) و(26) لا تخضعان لقاعدة ترتيب العناصر اللغوية وهي قاعدة بناء في مستوى البنية العميقة .

تجدر بنا الاشارة الآن الى انّ مسألة الجملة الاصولية تتمايز عن المسائل التالية :

أ- مسألة الجملة الممكن تفسيرها .

ب- مسألة الجملة الملحوظة في المدوّنة .

ج- مسألة الجملة الصحيحة نحويّاً .

د- مسألة الجملة الملائمة لمعرفتنا بالعالم.

أ-الجملة الممكن تفسيرها : لا يجب ان نخلط بين مفهوم الاصولية وبين مفهوم امكانية اعطاء الجملة تفسيراً دلالياً. لنتبينَّ هنا المثل الشهير الذي اعطاه تشومسكي [24]:

Colorless green ideas sleep furiously (27)

إنّ افكاراً خضراء لا لون لها تنام بغضب

Furiously Sleep ideas green colorless(28)

بعنف تنام افكار خضراء لا لون لها .

فالجملتان(27) و(28) لا تحتويان على دلالة ما إلا ان كل انكليزي ،كما يقول تشومسكي، بامكانه ان يحكم باصولية الجملة (27) فقط مما يُبين بوضوحٍ انَ لا مجال لربط مفهوم الاصولية بالدلالة . ولا يجب ان يُفهم من كلامنا هذا انه لا توجد ايَّة صلة بين دلالة الجمل وبين اصولية الجمل . ففي الواقع يرتكز التفسير الدلالي بصورة اساسية على بنية الجملة اي على ما يُحدِّد اصولية الجملة .

يصر تشومسكي على الفصل بين الدلالة والاصولية . فبعد ان يورد الجملة التالية :

(29) جان نعت ماري بأنهّا « جمهورية » فأهانته .

---

(24)تشومسكي (1957) صفحة 17

يُحدِّد « الأصولية » على النحو التالي :

1 ـ يجب تحديد « الأصولية » بحيث تكون الجملة(29) اصولية مستقلّة عن افكار « جان » و « ماري » أو المتكلم .

2 ـ يجب توكيل مكوّن اللغة الدلالي بدور الابانة عن ان الجملة (29) تعبِّر عن الافتراض التالي : بالنسبة لجان ان نعت ماري بأنها منتمية الى الحزب الجمهوري بمثابة اهانة لها [25] »

يتَّضح من كلام تشومسكي انّه يمُايز بكل وضوح بين اصولية الجملة وبين دلالة الجملة .

لنعد الى الجملة في(27) . لا بد هنا من ان نميِّز بين دلالة الجملة الحرفية وبين دلالتها غير الحرفية . فالجملة (27) يُمكن اضفاء دلالة عليها انما من خلال القيام بمجهود تخيلي خلاَّقٍ ومبتكر لتفسيرها وهذا المجهود التخيلي لا نحتاجه لتفسير الجملة في (20) على سبيل المثال . فتفسير الجملة (20) يتم ، بصورة عامة ، من خلال قواعد توافق معنى الكلمات الحرفي وفقاً للبنية النحوية التي تجمع بين هذه الكلمات .

ب ـ الجملة الموجودة في المدوَّنة : انّ الجملة الاصولية ليست بالضرورة ، الجملة الموجودة في المدوَّنة وذلك لاننا نعلم انّ جمل اللغة غير متناهية في حين انّ المدوَّنة مهما بلغ حجمها يبقى عدد جملها متناهياً . لذلك لا نستغرب وجود جمل يُمكن ان يحكم عليها متكلم اللغة من حيث انها اصولية من دون ان تكون هذه الجمل مندرجة في مدوَّنة معيَّنة . هذا بالاضافة الى ان المدوَّنة ترتد ، عند محاولة تحليلها ، الى الاداء الكلامي اي تحتوي على جمل قد تكون منحرفة عن القواعد القائمة ضمن كفاية المتكلم اللغوية .

انّ عدم وجود جملة في المدوَّنة لا يعني ان هذه الجملة غير اصولية . بل هناك جمل اصولية وحسنة التركيب لا توجد في مدوَّنة ما . وذلك لانهَّا قد تكون مركَّبة بصورة معقَّدة جداً وعدد مؤلفاتها المباشرة كبير جداً . ولقد قدَّمنا في الفصل الثاني[26] بعض الأمثلة عن جمل بالغة التعقيد ، نستبعد ، في الواقع ، استعمالها وبالتالي لحظها في مدوَّنة ما .

---

(25)تشومسكي (1972) صفحة 134

(26) في الفصل الثاني ، من الصعب ، بل من المستحيل لحظها في مدونية بالرغم من أنّ تركيبها هو تركيب الاضافة ولا تظهر ، بالتالي ، اي تعقيد من حيث يثنيها .

ج ـ الجملة الصحيحة نحوياً : لا تماثل الجملة الاصولية الجملة الصحيحة نحوياً لارتباط مفهوم الجملة الصحيحة 'نحوياً ، بالقواعد التقليدية . فالقواعد التقليدية تقرِّر صحَّة الجمل انطلاقاً من المعايير المقياسية المتنوعة التي تعتمدها وتضع البنى النحوية التي تقبلها انطلاقاً من عدد من القضايا غير المتجانسة التي قد لا تدخل في اطار قواعد التنظيم اللغوي انما تُراعي قضايا المنطق ومتطلبات الاناقة في التعبير . فالتعامل ، في اطار القواعد التوليدية والتحويلية مع مفهوم الاصولية لا يعني بتاتاً اننا نتّخذ اتجاهاً مقياسياً ، كما هو الحال في القواعد التقليدية .

د ـ الجملة الملائمة لمعرفتنا بالعالم : لا يجب ان نخلط بين مفهوم الاصولية وبين مفهوم معرفتنا بالعالم المحيط بنا وبالخبرة الاجتماعية الثقافية لدى افراد مجتمعنا اللغوي . للايضاح نأخذ الجمل التالية :

(30) ـ نجح الاديب الكبير جبران خليل جبران صاحب «كتاب النبي» في امتحانات البكالوريا اللبنانية سنة 1978

(31) ـ يُحبّ زيدُ الجَمَـلَ الاحمر .

(32) ـ في كل حديقة من حدائق بيروت سبعة اسود .

فالجمل (30) ـ (32) لا يقبلها اي انسان عاقل ينتمي الى المجتمع اللبناني لاسباب تتعلّق بواقع الحال القائم في مجتمعنا ولا يرتبط رفضها بالتالي ، بقواعد الغة .

تندرج ، ضمن هذه الجمل ، الجمل غير المعقولة كما في المثلين التاليين .

(33) ـ الجدران تأكل الاحلام(27) .

(34) اكلت السيّارة التفاحة

من الصعب ان تتضمّن الجملتان (33) (34) أيّة دلالة بالرغم من ان تركيبهما جيد .

انَّ التمييز بين الاصولية وبين معرفة متكلِّم اللغة بالعالم المحيط به امر طبيعي في اطار القواعد التوليدية والتحويلية اذ انّ هذه القواعد تُحلِّل كفاية المتكلم اللغوية اي معرفته بلغته ولا تُحلِّل، بالتالي، معرفته بالعالم المحيط به.

---

(27) الياس الديري «الفارس القتيل يترجل» دار النهار صفحة 64 .

اصبح بامكاننا الآن استناداً الى ما سبق ان نفهم التمييز بين اصولية الجملة (أو تركيبها الجيد) وبين قبول الجملة وهذا التمييز يركّز عليه تشومسكي:

«انَّ الجملة التي يقبلها المتكلم اكثر مما يقبل غيرها هي الجملة التي يُحتمل ورودها اكثر من غيرها، ويُسهولة اكثر، والتي هي اقلّ خشونة من غيرها وبمعنى آخر التي هي طبيعية أكثر من غيرها ويتجنّب المتكلم استعمال الجمل التي لا يقبلها ويستبدلها في كلامه بجمل معادلة قدر الامكان...

لا يجب ان نخلط بين مفهوم «قبول الجملة» وبين مفهوم اصولية الجملة. فمفهوم قبول الجملة عائد الى مجال دراسة الاداء الكلامي في حين انّ مفهوم اصولية الجملة يرتد الى مجال دراسة الكفاية اللغوية. فالاصولية هي عامل من بين عوامل متعدِّدة تترابط لتحديد قبول الجمل[28].

(28)تشومسكي (1965) صفحة 11

الفصل السادس

الانموذج اللغوي

1ـ بناء النظرية .

يقتضي العلم الحديث وضع النظريات العامة من خلال القيام بعدد محدود من الملاحظات والاختبارات. وتهدف هذه النظريات الى تحليل المعطيات اللغوية المتوافرة وتفسيرها والتكهّن بمعطيات جديدة من خلالها.

مما لا شك فيه انَّ كل علمٍ يمر بمرحلة تجميع المعلومات وتبويبها وترتيبها بهدف تحديد موضوعاته. وذلك لأنَّه من المستحيل وضع النظريات والافتراضات التفسيرية والتعميمات المثيرة الاهتمام من دون البدء بترتيب المعطيات وإن بصورة اوَّلية. إلا انه من الخطأ الاعتقاد بأنّ مرحلة وضع النظريات تقع فقط كامتداد لمرحلة تصنيف المعطيات وذلك لأنّ النشاط التنظيري هو، في الحقيقة وكما سبق ان اشرنا اليه (1)، عمل نوعي وهو بطبيعة الحال، عمل تطويري. يرى تشومسكي انَّه اصبح متوافراً لدينا عدد وافر من الملاحظات التي تتناول اللغة وتلحظ اكبر عدد ممكن من المعطيات المعدَّة للدراسة وتصنّفها وفق ترتيب معيّن وبهدف تبيان الصلات أو العلاقات القائمة في ما بينها. لذلك آن الاوان للانتقال الى مرحلة بناء نظرية تفسِّر عمل اللغة.

تجدر بنا الاشارة، هنا، الى انّ النظرية في مفهومها العام ليست فقط تلخيصاً للمعطيات وللملاحظات كما انها ليست فقط تفسيراً لمقتطفات خاصة من اللغة (كما في المدوَّنة) انما هي، في الحقيقة، تفسير شامل يتناول المعطيات اللغوية ويتخطّاها باتجاه تفسير التنظيم القائم ضمن هذه المعطيات وباتجاه التكهن بأن معرفة هذا التنظيم هي التي سوف تُفسِّر كل المعطيات اللاحقة. وترتبط صحة النظرية بمقدار صحة هذا التكهن.

---

(1) انظر الفصل السابق

يحتمل كل تنظير، على العموم، بعض المخاطرة الفكرية في ذاته ويكوِّن تحدِّياً علمياً، وذلك لانَّ الاختبارات والملاحظات المدروسة يمكنها بصورة دائمة أن تُؤكِّد صحة النظرية المعتمدة أو ان ترفضها. فهي جديرة باهتمام الباحث الألسني بقدر ما يكون لها تأثير في عملية الاختيار بين النظريات العلمية المتنافسة.

لا بد من أن نطرح، هنا، السؤال التالي: كيف تُفسِّر النظرية المعطيات؟ جوابنا عن هذا السؤال هو من خلال أن تضع النظرية انموذجاً توضيحياً. والجدير بالتنويه انَّ النظرية التوليدية والتحويلية تضع انموذجاً متكاملاً يُتيح للباحث الألسني اعتماد تفسير واضح وجلي يُبين كيف يستطيع الانسان أن يصوغ عدداً غير متناه من جمل لغة معيَّنة، وفق طريقة مختصة، ومن خلال عدد محدود من القواعد.

2ـ خصائص الانموذج اللغوي .

في مجال الدراسات العلمية، حيث لا تتعدّى المادة المتوافرة للباحث، النصوص، كما هو الحال في الدراسات اللغوية، وحيث لا يمكن لحظ اوالية اللغة لحظاً مباشراً، يرى الباحث نفسه مضطراً الى بناء انموذج لتفهم اواليّة اللغة.

تُشبَّه اوالية اللغة «بعلبة سوداء» بالامكان فقط تبيان المواد الاوّلية التي تدخل اليها والمواد النهائية التي تخرج منها. وتكمن مشكلة الباحث الذي يرغب في تحليلها، الى حد كبير، في صعوبة امكانية اكتشافه بنية «العلبة السوداء» أو الأوالية الكامنة فيها والتي تحوِّل الموادَ من مواد تستقبلها الى مواد مختلفة تنتجها الأوالية. ففي حين يتعذَّر علينا ان نسبر غور هذه «العلبة» من دون القضاء على عملها الوظيفي. لا يبقى لنا، في هذا المجال، سوى أن نبني صورة عنها، من خلال المقارنة بين المعطيات الاولية التي يمكن أن تدخلها والمعطيات النهائية التي تصدر عنها.

تجدر بنا الاشارة الى انه فقط عندما تقوم الصورة المبنية هذه بالعمل نفسه الذي تقوم به اوالية هذه العلبة، نكون قد وضعنا انموذجاً للعلبة. فيكون الانموذج، حينئذ، بمثابة صورة طبق الاصل عن موضوع دراستنا ويُكوِّن نظرية واضحة تتناول دراسة البنية المتوقع استنباطها.

تتم عملية استنتاج قواعد اللغة عن طريق الاستعانة بالانموذج المبني ومن خلال قياس اللغة على هذا الانموذج الموضوع خصيصاً لهذه الغاية. ذلك شرط ان يتوافق الانموذج مع اوالية اللغة بشكل جلي وواضح. ولئن ذكَرنا بأن جمل اللغة غير

متناهية من حيث عددها وعدد عناصرها نلاحظ انّ على الانموذج وصف هذه الجمل وتعدادها وتحديد انتسابها الى اللغة.

للانموذج خصائص عديدة نكتفي هنا بذكر بعضها.

أ- ارتباط الانموذج ببنية اللغة.

يرتبط بناء الانموذج ببنية اللغة وبسماتها وبوظائفها ولا يرتبط، بالتالي، بطبيعتها الفيزيائية. فيُقصد بالانموذج كل تركيب يوازي الموضوع المدروس من حيث المحتوى الوظيفي. وتختلف المادة التي يتكون منها الانموذج عن المادة التي يتكون منها الموضوع الذي نريد دراسته. من هذا المنطلق، بالامكان استعمال الانموذج الواحد لدراسة اكثر من موضوع واحد وإن اختلفت مادة هذه المواضيع. فالشرط الاساسي الواجب توفره، على هذا الصعيد، يكون في أن تُؤدِّي هذه المواد المدروسة وظيفة متشابهة. بعبارة أخرى أن تشترك هذه المواد في طرق تأدية وظيفتها. وقد برهن تشومسكي انَّ عدداً كبيراً من «القواعد التوليدية» التي وضعت من قبل بالامكان تصورها كأوالية محدودة الحالات automates finis [2]

في ضوء هذه الملاحظات يُشترط لاقرار الانموذج في الدراسات الألسنية ان تتوافق نتائجه، بصورة متكاملة، مع عملية التكلم.

ب- اعتماد المثالية.

ينحو الانموذج الى جعل موضوع الدراسة موضوعاً مثالياً بعض الشيء ويتعامل مع مخططات هي ضرورية لاتمام وصف المعطيات المدروسة الوصف العلمي. فعلى ضوء هذا النهج، يرى الباحث نفسه احياناً ملزماً بأن يهمل بعض الظواهر الملحوظة وبأن يفترض وجود بعض الظواهر غير المحسوسة وذلك بهدف التوصل الى القاء اضواء جديدة على العوامل التي تسترعي الانتباه ومن ثم التوصل الى تفسير هذه العوامل.

نأخذ كمثال على هذا النهج المثالي في مجال الدراسة الالسنية فرضية تشومسكي التالية: إن جمل اللغة هي غير متناهية من حيث عددها ومن حيث عدد عناصرها المؤلفة». فاذا عدنا الى واقع الحال لاحظنا، في الحقيقة، انَّ عدد الجمل المكتوبة مثلاً في اللغة العربية يُمكن تحديده وإن يكن عدداً بالغ الاهمية ويتعدَّى ملايين الملايين من الجمل. وإن عدد العناصر المؤلفة الجملة يمكن تعداده بسهولة.

---

(2)انظر تشومسكي (1956)

إلا اننا حين نلتزم بتفسير كفاية العربي اللغوية التي تؤهله على ان يكوِّن جملاً جديدة لم يسبق له سماعها من قبل، لا بد لنا حينئذ من أن ننطلق من مفهوم نظري مثالي لتفسير هذه المقدرة اللغوية. وطالما انَّه لا توجد ايَّة قوانين تحد من الناحية المبدئية، من عدد العناصر المؤلفة الجملة، مثلاً، فاننا نستبعد بعض العوامل المؤثرة في عملية الأداء الكلامي والتي تحد من الكفاية اللغوية. نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، قصر عمر الانسان، محدودية الذاكرة، الشرود الذهني. ومن ثم نقول بانّ جمل اللغة غير متناهية من حيث عدد عناصرها المؤلفة.

ما لا شك فيه هو أنَّ الالتزام بمثالية كهذه، في البحث اللغوي، يحقق وضع قوانين ثابتة ومطردة كما يؤدّي الى نتائج ظاهرة وملموسة في حدود ما يُمكن التوصل اليه من قواعد ثابتة تبتعد عن الخاص وتنبثق عن العام.

وليست المثالية غائبة عن الابحاث اللغوية التقليدية كما يُشير اليه تشومسكي:

«انَّ كل فرد يتكلم، طبعاً، لغة ليست محدودة بصورة جيدة. فمفهوم اللغة في ذاته تجريد على مستوى عال. فكل فرد يتكلم، في الواقع، مجموعة تنظيمات لغوية. كيف بامكاننا ان نصف ذلك؟ الالسنيون قاموا، دائمًا وبحق، بمراعاة المثالية. فلنتصوَّر- يقولون- مجتمعاً ألسنياً متماسكاً. ومع انهم لا يعترفون بذلك فهم يتّبعون هذا النهج وذلك لأنَّ هذا النهج هو النهج الوحيد منطقياً كما اعتقد. تدرسون التنظيمات المثاليّة ومن ثم تتساءلون بأيَّة طريقة تتفاعل هذه التنظيمات المثالية عند الافراد الحقيقيين (3)»

ج- اعتماد المصطلحات الافتراضية.

يستعمل الانموذج مصطلحات لا تتعلَّق باشياء حقيقية، ومصطلحات لا يُمكن استقراؤها، بصورة مباشرة، من المعطيات الاختبارية. نضع هذه المصطلحات، في الواقع، لمقتضيات البحث العلمي. فمصطلح «العنصر الموضوع أو المبني» يُعتمد، أساساً، عبر اعتماد بعض الفرضيات العامة المستلهمة من خلاصة الابحاث والتصورات الألسنية، من دون ان يعني اعتماده بأي حال من الاحوال، انَّ هذا العنصر حقيقة قائمة في اللغة، ضمن المواد الصوتية أو الدلالية. انما اعتماده يساعد، في هذا المضمار، على دراسة المواد الألسنية بالذات. وما قضية اللجوء الى العنصر الفارغ « ∅ » على سبيل المثال، إلا من القضايا التي تُظهر فائدة اللجوء الى

(3)تشومسكي (1977- ج) صفحة 72

مفهوم «العنصر المبني» بغية وضع الانموذج. يتحصَّل من كل هذا أنَّ الانموذج يُؤلِّف بناء مستنبطاً، بصورة منطقية، من افتراضات موضوعة.

د ـ طبيعة الانموذج الصوريّة.

يكون الانموذج صورياً. ويحتوي بصورة واضحة على المنطلقات الأساسية وعلى العلاقات التي تربط في ما بينها وعلى قوانين استعمالها. ويُعتبر الانموذج الصوري، من الناحية المبدئية، تنظيمًا رياضياً وذلك لأنَّه يعتمد لغة شكلية قائمة على مجموعة رموز متعاقبة ومتكوّنة من أبجدية محدَّدة.

يختص الانموذج الشكلي بالمعطيات التجريبيَّة بواسطة قوانين تفسيرية تستبدل عناصر الانموذج أو الرموز بأشياء لغوية. نأخذ، على سبيل المثال هنا، القواعد التي تحدِّد شكل الجمل وتفاسيرها في النظرية التوليدية. فهذه القواعد مجرَّدة اي انَّ البنية التي تتناولها هذه القواعد لا ترتبط بشكل مباشر بمظهر المعطيات المادي، انما يقوم ارتباطها بهذه المعطيات من خلال سلسلة قوانين تفسيرية:

«ما نطلبه من النظرية الألسنية هو أن تُحلِّل بصورة عامة ملامح القواعد الصورية التي تتكهَّن،بصورة صحيحة بحدس المتكلم اللغوي والتي تُظهر التعميمات ذات المعنى بالنسبة للألسني (4)»

هـ ـ القدرة التفسيرية الذاتية.

يحتوي الانموذج على قدرة تفسيرية ذاتية وذلك لأنَّه يناط به تفسير معطيات تجريبية لم تستطع تحليلها النظريات الاقدم عهداً.

ويُركِّز تشومسكي على انَّ الانموذج يجب أن يُفسِّر ايضاً المعطيات اللغوية المحتمل وجودها بصورة نظرية وأن يتكهَّن بقضايا لغوية يتم اثباتها، في مرحلة لاحقة، عن طريق الملاحظة واجراء الاختبارات التجريبية:

«انَّ قواعد اللغة تعتبر بمثابة نظرية بنية هذه اللغة وتقوم كل نظرية علمية على مجموعة ملاحظات محدودة. تحاول النظرية ان تُحلل الملاحظات، عبر وضع قواعد عامة تستند على مفاهيم افتراضية، وأن تُبين ارتباط هذه الملاحظات بعضها ببعض وأن تتكهَّن بظاهرات جديدة (5).»

---

(4)تشومسكي (1962) صفحة 98

(5)تشومسكي (1956) صفحة 52

انّ الانموذج اللغوي يساهم ايضاً بصورة ذاتية في تأكيد فرضياته. فالانموذج يجب ان يصف جمل اللغة ويُعددها وأنّ لا يصف سوى جمل اللغة هذه. وللتأكد من صحّة الانموذج نجعله يعمل وينتج جملاً ومن ثم نتأكد من انتماء هذه الجمل الى اللغة. والجدير بالذكر هنا انَّ الفرضيات التي يثبت التحقيق عدم صحتها هي ذات فائدة في البحث الالسني:

«فمن خلال دفع تحليل دقيق ولكن غير ملائم حتى نصل الى خاتمة غير مقبولة نستطيع غالباً تبيان مصدر عدم الملاءمة وبالتالي تعميق تفهمنا المعطيات»(6)

و- الوضوح والدقة.

انَّ قيمة الانموذج تتَّضح عبر وضوح ودقة العلاقات التي يُقدمها. فعلى ضوء الانموذج نسبر اللغة ونفسِّر التنظيم القائم ضمنها والذي يقود استعمالها. لذلك لا يحتمل الانموذج اي غموض في مفاهيمه قد ينعكس على قدرته على تحليل اللغة. فالانموذج المفضل من الناحية العلمية هو ذلك الذي يُحلِّل اكبر عدد ممكن من المعطيات اللغوية ويُحللها بالطريقة الاكثر بساطة وشمولاً ودقّة.

ويركِّز الانموذج على بعض القضايا اللغوية ويهمل بعضها الآخر ليتسنىً له تتبّع القضايا التي يركِّز عليها بوضوح تام وبدقة متناهية بمعزل عن القضايا التي تتشابك معها وتُضفي عليها الغموض.

بقي القول انَّ بناء الانموذج يتقيَّد بمتطلبات وضعية عديدة:

أ- يجب تحديد العوامل اللغوية التي يجب تفسيرها بدقة ووضوح.

ب- يجب ايجاد الافتراضات اللازمة لتفسير هذه العوامل.

ج- يجب ان يكون باستطاعة الانموذج توقّع اشياء يُمكن لحظها فيما بعد والتحقق منها.

د- يجب التأكد، بصورة دائمة، من صواب وصحّة الانموذج.

فالانموذج يرتبط، بصورة عضوية، بمدى امكانية تطبيقه. فيتعينً اما الأخذ به واما تعديله واما تطويره واما تغييره وفقاً لمطابقته المعطيات الحقيقية والواقع الذي يتصدّى لتفسيره والتكهّن به. وبديهي القول انّه حين تتطابق نتائج الانموذج مع

---

(6) تشومسكي (1957) صفحة 7

معطيات سلوك تنظيم اللغة الممكن ملاحظته وحين لا يتم هذا التماثل إلا بالعودة الى فرضيات الانموذج يمُكننا حينئذ القول انّ هذه الفرضيات تفسر سلوك التنظيم اللغوي الذي لا يمُكن ملاحظته بصورة مباشرة.

لا يحتاج الباحث الى وقت طويل لكي يلاحظ انَّ بناء الانموذج الواضح والمتطور هو في صلب اهتمامات النظرية التوليدية والتحويلية:

«يتطلب كل بحث جدي التجريد والمثالية إلا ان الاطار الخاص المعتمد يُقيَّم على ضوء نتائجه: هل يجيز التفسير بصورة مُرضية؟ هل يُضفي اضواء جديدة على المظاهر الملائمة، بواسطة مبادىء تفسيرية عميقة وشاملة؟ المثالية هي عنصر ضروري للبحث العقلي.

لا تتكشف الظاهرات لنا، بطبيعة الحال، عبر تنظيم مُتكوّن، كلّياً من فئات ومبادىء تفسيرية. فعلى ضوء نظرية خاصة نستخلص فقط النتائج المختصة بالطريقة الصحيحة لتفسير ظاهرة ما (7).

انّ اللغة الانسانية، يُردد دائمًا تشومسكي، تنظيم بالغ التعقيد. ولا يمُكن دراسة هذا التنظيم ما لم نعتمد النشاط العلمي التنظيري القائم على المبادىء الواضحة والملائمة المعطيات اللغوية وما لم نركِّز على المعطيات المتناسبة مع الانموذج التفسيري بغية تسليط الاضواء على بقية المعطيات:

«في دراسة اللغة، كما في كل بحث غير ركيك، تُعمي الظاهرات العيون غالباً، بتعقُّدها وبتنوعها الظاهرين. فبصيص ادراكنا لا يمُكنه أن يوضح سوى مجال ضيِّق. فاذا رغبنا في تخطِّي النشاط التصنيفي، يجب ان نختار وأن نستبعد، أن نُفكّر مليّاً في القضايا التي تبدو ملائمة المبادىء التفسيرية التي نتوصَّل الى صياغتها تاركين على حدة نقاطاً اخرى كثيرة على امل تفسيرها لاحقاً من خلال نظريات اعمق وقد تكون مختلفة تماماً (8).

3ـ اللغة الصورية **Langage Formel**.

انّ المنحى العلمي الذي يعتمده تشومسكي في تحليل قضايا اللغة وتفسيرها قد صبغ الدراسة الألسنية بالطابع الصوري. وقد قام هذا المنحى، الى حد كبير،

---

(7) تشومسكي (1977ـ ب) صفحة 12

(8) تشومسكي (1977ـ ب) صفحة 32

على وضع مجموعة مسلَّمات Axiomes ومجموعة قوانين صورية استنباطية تنطلق من المسلَّمات وتُتيح اشتقاق قضايا معيَّنة. وفي المجال اللغوي تكون القواعد الاستنباطية بمثابة قواعد اللغة والقضايا بمثابة جملها. إلا انّ ما يجدر التنويه به هو انَّ المتطلبات العلمية لبناء الانموذج تقتضي بصفة اساسية، تحديد الوحدات بواسطة اشكال رياضية ومنطقية. ولا تندرج الوحدات في الانموذج ما لم تتَّخذ شكل مقاطع من المعلومات بالامكان التعامل معها بواسطة لغة صورية. في هذا الاطار يُحدِّد تشومسكي اللغة على النحو التالي:

« اللغة هي مجموعة (منتهية أو غير منتهية) من الجمل كل منها طولها محدود أو مكوَّنة من عناصر عددها منتهٍ[9] »

نلاحظ انَّ هذا التعريف هو تعريف صوري وعام يشمل اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية على حد سواء.

وبالامكان تحديد اللغة الصورية على النحو التالي:

(1) انّ اللغة الشكلية هي المجموعة «ل» المنتهية أو غير المنتهية، من الجمل المحدودة من حيث الطول والمبنية على تتابع عناصر مأخوذ من مجموعة منتهية «م» من المفردات التي تُقدم انموذجاً للغات الطبيعية وللغات المنطقية الاصطناعية أو للغات البرمجة الآلية على حد سواء.

نأخذ على سبيل المثال، المجموعة (م) والتي تحتِوي في ما تحتوي عليه على علامات فصل نرمز اليها بالرموز التالية:

(2) و(1)= ،/

و(2)= ./

وتحتوي على المفردات

(3) ت= أل/

ح(1) = في/ . ح(2) = الى

أ(1) = رجل/ . أ(2) = واقــع/ . أ(3) ح سفــر/ . . أ(4) = ببيروت

ف= اراد/.

---

(9) تشومسكي (1957) صفحة 15

يُمكن تمثيل الجملة العربية التالية:

(4) اراد الرجل، في الواقع، السفر الى بيروت.

بالكلمة (بمعنى الكلمة الآلية) التالية:

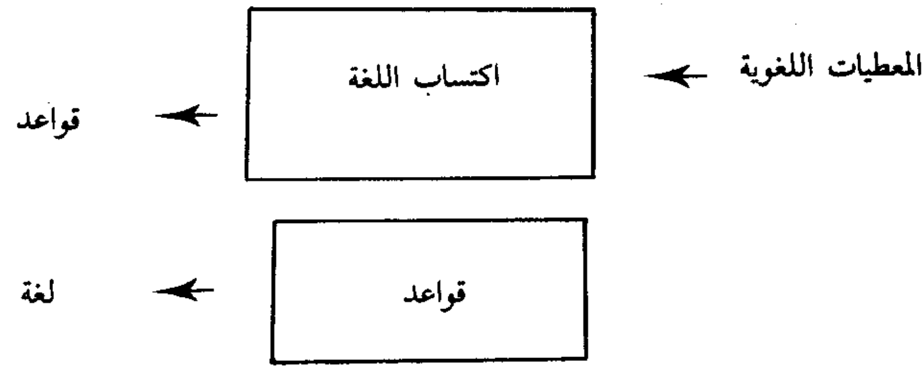
(5) «ف ت أ (1) و (1) ح (1) ت أ (2) و (1) ت أ (3) ح (2) أ (4) و (2)».

4ـ الانموذج التوليدي .

الانموذج التوليدي كناية عن جهاز يحتوي على ابجدية رموز هي بمثابة معجمه، وعلى عدد محدَّد من قواعد تكوين (وتحويلات تضع التعابير بواسطة عناصر هذه الابجدية. وهذا الجهاز قادر على بناء مجموعة غير متناهية من الجمل الصحيحة العائدة الى اللغة موضوع التحليل وعلى اقران كل منها بوصف بنياني.

لا بد من التذكير هنا ببعض اسس النظرية التوليدية والتحويلية التي تكلمنا عنها. قلنا انَّ الانسان الذي يترعرع في بيئة معيَّنة يكتسب لغة هذه البيئة. بكلام آخر يكتسب كفاية لغوية بهذه اللغة تتيح له ان ينتج جملها. ويتم اكتسابه اللغة من خلال تعرضه للجمل التي يسمعها من حوله، والتي يمكن اعتبارها بمثابة عيِّنات تمثِّل لغة البيئة. وباكتسابه اللغة يكون الانسان قد اكتسب معرفة ضمنية باصول اللغة هي التي تقوده في عملية تكلمه اللغة وتفهم جملها. واصول اللغة هذه هي مجموعة القواعد التي تحُدِّد صيغ بناء جملها. يُشير المخطط التالي الى هذا المسار اللغوي:

(6)



تجدر بنا الاشارة هنا الى انّه ينبغي على القواعد ان تُتيح ليس فقط توليد جمل اللغة بل ايضاً ان تقدِّم الوصف البنياني الذي يحُدِّد ترتيب وانتظام العناصر المؤلفة الجملة. وقد يفهم البعض من كلمة «توليد» انَّ هدف القواعد التوليدية وضع انموذج

انتاج الجمل فقط وهذا الامر يتعارض مع القواعد التقليدية التي تحُلِّل الجمل. فالانموذج التوليدي يرتبط، في الواقع، بانتاج الجمل وبتفهمها على حد سواء. وهو يُفسِّر الكفاية اللغوية التي تُتيح للانسان ان ينتج جمل لغته وأن يتفهمها وأن يحكم على اصوليتها.

نعرِّف القواعد التوليدية في اطار النظرية الالسنية التوليدية والتحويلية على النحو التالي:

(7) القواعد التوليدية هي مجموعة قواعد تولِّد، من خلال تعاملها مع معجم مفردات محدود، مجموعة متناهية أو غير متناهية من التتابعات الكلامية وتحدِّد كل تتابع كلامي على انَّه تركيب جيّد في اللغة التي تصفها هذه القواعد. وتقرن القواعد التوليدية كلَّ تتابع كلامي جيد التركيب (وكل جملة)، تولِّده بوصف بنياني ملائم.

تُفهم كلمة «توليد» التي استعملناها في هذا التعريف بالمعنى نفسه الذي تتخذه هذه الكلمة في مجال الرياضيات. لمزيد من الايضاح نأخذ المعادلة التالية:

(8) ع ⟵ س2 + س +1

فاذا كانت س تأخذ قيمة لها أياً من عناصر الأعداد الطبيعية [1، 2، 3، 4، ....] بالامكان ان تتصور الدالّة هذه كقاعدة أو عملية. فهي تولِّد المجموعة [3، 7، 13، 21، 31] فمن هذه الزاوية لا نعني بالتوليد انتاج الجمل كما في اية آلية مبرمجة انما نعني بكلمة القواعد التوليدية التحديد الرياضي والدقيق لبنية الجمل التي تولِّدها هذه القواعد.

لا تنحصر القواعد التوليدية فقط باللغات الطبيعية بل تتعداها وتشمل ايضاً اللغات الشكلية. لذا نلاحظ انَّ تشومسكي ينطلق، في مجال دراسة الانموذج اللغوي، من تعريف اللغة من حيث هي مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل كلها متناهية من حيث الطول ومبنيَّة، عن طريق التتابع، بواسطة مجموعة عناصر متناهية (10) . وينطبق هذا التعريف على اللغات الطبيعية وعلى اية لغة اصطناعية مستعملة كتعليمات للآلة المبرمجة.

---

(10) انظر لمزيد من الايضاح تشومسكي (1956)
تشومسكي (1957)
نيقولا ريفات (1967)

لنعد الى تعريف القواعد في (7) هذا التعريف يُجيز وجود انواع قواعد توليدية متنوعة .لنتعامل ، لاغراض منهجية ولتبسيط العرض ، مع بعض اللغات الاصطناعية البسيطة التي تشترك في ما بينها، في انها تتألَّف من مقطعين او شقين . لنرمز الى هذين العنصرين برمز « آ » ـ و « ـ ب ـ » . وليكن كل من هذين الرمزين معادلاً احد العنصرين دون تمييز ، ولنولِّد بواسطة هذين العنصرين ثلاث لغات ندعوها ل (1) ول (2) ول (3) .

1 تتألَّف اللغة ل (1) من كل الجمل الحاصلة منْ تتابع « ـ أ ـ» و « ـ ب ـ » شرط الا يتعدَّى عدد العناصر في كل تتابع الثلاثة عناصر . من الواضح ان مجموعة جمل ل (1) هي محدودة وتتكوَّن قواعدها من لائحة بسيطة او من مجموعة مغلقة يمُكننا اثبات جملها :

(9) ـ ل(1) = أ ؛ ب ؛ أب ؛ أأ ؛ ب أ ، ب ب ؛ أأأ ؛ أ ب أ ؛ أب ب ؛ أأب ؛ ب أأ ؛ ب أب ؛ ب ب أ ؛ ب ب ب

2 تتألف اللغة ل (2) من كل الجمل الحاصلة من تتابع عدد غير محدَّد من « ـ أ ـ » يتبعه العدد نفسه من « ب » ومن هذه الجمل فقط .

(10) ـ ل (2) = أب ؛ أأب ب ؛ أأأ ب ب ب ؛ أأأأ ب ب ب ب ؛ أأأأأ ب ب ب ب ب . .

ويتبينَّ لنا انَّ اللغة ل(2) تتضمن مجموعة لا متناهية ولا يمُكن ، بالتالي ، اثبات جملها أو تحديد طولها .

3 ـ تتألَّف اللغة ل (3) من كل الجمل الحاصلة من تتابع « ـ أ ـ » و « ـ ب ـ » ، ومن هذه الجمل ، فقط ، مع عدم تحديد عدد العناصر المتتابعة . ونضيف شرطاً آخر وهو الحاق تتابع من العناصر بتتابع مماثل ، ولكن بصورة عكسية فنحصل على التتابع التالي :

(11) ل(3) = أأ ؛ ب ب ؛ أب ب أ ؛ ب أأب ؛ أأب ب أأ ؛ ب أأأأب ؛ أأأأ ؛ ب ب ب ب ؛ أأب ب ب ب أأ ؛ ب ب أأأأب ب . . . .

يتبيّن لنا انَّ اللغة ل (3) هي ايضاً مجموعة لا متناهية ولا يُمكن اثبات جملها او تحديد طول هذه الجمل .

إذاً نحصل بهذه الطريقة على ثلاث مجموعات : مجموعة مغلقة ومجموعتين غير متناهيتين . و وانطلاقاً من تحديد الجمل في المجموعتين ل(2) و ل(3) الذي وضعناه نستطيع تركيب جمل لا حد لطولها ويستحيل تعدادها او ادخالها في لاشحة معيَّنة . لذا يجب اللجوء الى قواعد توليدية خاصة بمقدورها تحديد هذه الجمل . لنفترض أنَّ القاعدة يُمكن أن تُمثَّل على الشكل التالي :

(12) س ← ع

اي ـ « س ـ » تُكتب بواسطة « ـ ع ـ » ولنفترض انَّ « ـ س ـ » و « ـ ع ـ » تمثلان مجموعة من مقاطع الجملة . ولنفترض ايضاً انَّ رمز ـ ج ـ يعني جملة فنحن نستطيع ان نبني القواعد ق (2) التي تطابق اللغة ل (2) . تحتوي هذه القواعد على القاعدتين التاليتين :

(13) أ ـ قاعدة (1) : ج ← أ ب

ب ـ قاعدة (2) : ج ← أ ج ب

فقاعدة (1) تُعيد كتابة ـ ج ـ بواسطة الرمزين « أ » و « ـ ب ـ » وقاعدة (2) تُعيد كتابة ـ ج ـ بكتابة ـ ج ـ من جديد وداخل « ـ أ ـ » و « ـ ب ـ » . فمن خلال **تطبيق هاتين القاعدتين ، بصورة متتالية ، نستطيع توليد جمل ل(2) غير المتناهية وتوليد جمل ل(2) لا غير .**

لايضاح ما تقدم نقوم بتوليد المقاطع المتتابعة أأ ب ب ننطلق من الرمز ـ ج ـ وهو رمز اوَّلي . نطبِّق القاعدة (2) فنحصل على التتابع ـ أ ج ب ـ ومن ثم نطبِّق **القاعدة(1) أي نستبدل العنصر ـ ج ـ من التتابع السابق بالمقطع ـ أ ب ـ ، فنحصل على التتابع « أأ ب ب » . و تجدر بنا الإشارة هنا ، إلى أننا نحصل من خلال تطبيق القاعدتين(2) و(1) على ج ، على التتابع أ ب و أأ ب ب . تُسمَّى هذه العملية بعملية اشتقاق .**

في هذه الحالة يتم الاشتقاق على النحو التالي نطبق أولاً القاعدة(2) فنحصل على :

ج ← أ (ج) ب

ثم نطبق القاعدة(1) (أي : ج ← أ ب) فنحصل على :

ج ← أ . (أ ب) ب

وهكذا نحصل على التتابع أأ ب ب . واذا اردنا الحصول على التتابع أأأ ب ب ب نقوم بالاشتقاق التالي : نطبِّق اولاً القاعدة (2) فنحصل على :

ج ← أ (ج) ب

ثم نطبِّق للمرَّة الثانية القاعدة (2) فنحصل على

ج ← أ (أ ج ب) ب

ثم نطبِّق القاعدة (1) فنحصل على :

ج ← أ (أ ـ أب ـ ب) ب

اي نحصل هكذا على التتابع ـ أأأ ب ب ب ـ

تُسمى المقاطع الحاصلة من عملية الاشتقاق هذه بالمقاطع المشتقَّة . نقول انَّ القواعد قد ولَّدت الجمل التي نحصل عليها في خلال عملية الاشتقاق هذه :

انَّ العنصر الذي يظهر في الوقت نفسه على يسار السهم وعلى يمينه يُسمَّى عنصراً عائداً Récursif (ج في القاعدة (2)) . ويلعب مفهوم « العائد » الى حدٍّ كبير ، دوراً اساسياً في تحليل اللغات الطبيعية اذ يمكننا دائماً ، من خلال جملة اصولية ، توليد جملة ثانية تكون اطول من الجملة الاولى ، وذلك بادراج جملة اضافية في مواقع مناسبة من الجملة الاولى . .

السؤال الذي يجب ان نطرحه الآن والذي يُثير اهتمام الالسني هو اي نوع من القواعد التوليدية هو الاصلح لاعتماده لوصف اللغة الطبيعية ؟

اشار تشومسكي مراراً في مؤلفاته الاولى بأنَّ هناك بعض انواع القواعد التوليدية ذات قوى ذاتية اكثر من غيرها اذ بامكانها ان تُولِّد كل اللغات الصورية التي تولدها القواعد التوليدية الاخرى وان تُولِّد لغات اخرى ليس بامكان قواعد اخرى ان تولدها كما قد ركَّز ، بالذات ، على انَّ القواعد « المحدودة الحالات » اقل قوَّة من القواعد الركنية التي هي بدورها اقل قوَّة من القواعد التحويلية .

5 ـ الانموذج الماركوفي .

انَّ الانموذج الاكثر تبسيطاً والقادر على توليد مجموعة جمل لا متناهية بواسطة عدد من القواعد التي تتعامل مع ابجدية رموز محدودة هو الذي يندرج ضمن ما يُسمَّى بالآلية المحدودة الحالات . هذا الانموذج يُشتق من انموذج التواصل لشانون .

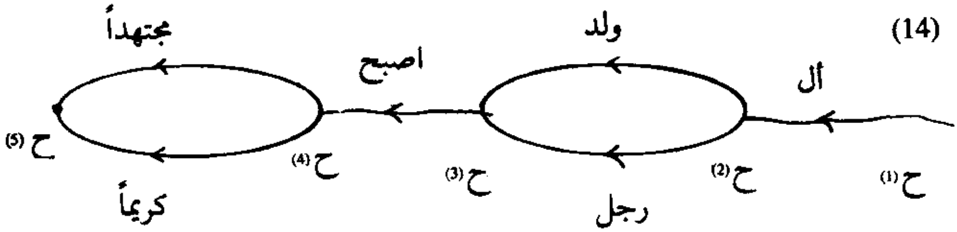
ويُشير تشومسكي الى الانموذج الماركوفي ـ المحدود الحالات ـ الذي يقوم على اساس انَّ الجمل تُولَّد بواسطة سلسلة اختيارات في السياق الخطي للكلام بمعنى انَّ

كل اختيار لاحق - تحدِّده ، بعد اختيار اوَّل عنصر اختيارات العناصر السابقة - قادر على ان يُضفي شكلية توليدية على التمثيل الألسني البنياني ، القائم على التمييز بين الخط الركني من جهة ، وبين الخط الاستبدالي من جهة اخرى . ويبدو هذا الانموذج كاوالية مبرمجة تستطيع ان تمر بعدد محدود من الحالات .

لنفترض انَّ هذه الاوالية ترسل رمزاً معيَّناً (كلمة عربية مثلاً) كلما انتقلت من حالة الى اخرى . ولنفترض انها تحتوي على حالة اوَّلية وعلى حالة نهائية . يُسمى تتابع الكلمات الحاصل خلال الانتقال من الحالة الاوّلية الى الحالة النهائية ، بالجملة ، وتُسمّى اللغات الحاصلة بهذه الطريقة التوليدية بلغات ذات حالات محدودة . كما تسمّى الاواليات التي تنتج هذه اللغات ، بقواعد ذات حالات محدودة .

لنتأمل على سبيل الايضاح الرسم التخطيطي التالي :

(14)



يمثّل الرسم التخطيطي في (14) القواعد التي تُولِّد الجمل التالية من دون غيرها من الجمل :

(15) الولد اصبح مجتهداً .

(16) الولد اصبح كريماً .

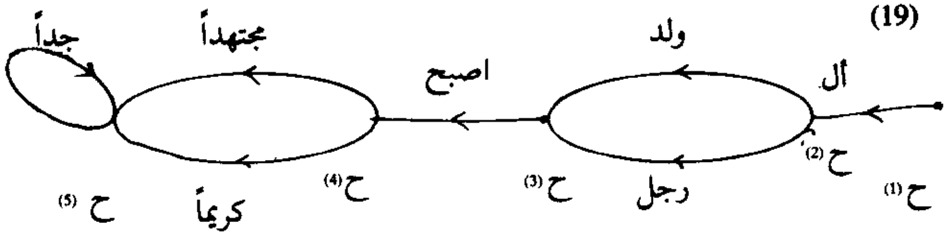
(17) الرجل اصبح مجتهداً .

(18) الرجل اصبح كريماً .

يمثّل الرمز ح (1) الحالة الاوّلية ويمثّل الرمز ح (5) الحالة النهائية ويتم انتاج الجمل (15) - (18) بصورة آلية وباتباع اتجاه السهم .

يحتوي الانموذج الماركوفي على اوالية بدائية يتم الحصول عليها عن طريق الانتقال من حالة معيَّنة الى الحالة نفسها . وتترجم هذه الامكانية بحلقة تضاف الى الرسم التخطيطي في (14) :

(19)



تولِّد القواعد الممثَّلة بهذا الرسم التخطيطي ، الجمل التالية :

(20) الولد اصبح مجتهداً جدًّاً .

(21) الولد اصبح كريماً جدًّاً .

(22) الرجل اصبح مجتهداً جدًّاً .

(23) الرجل اصبح كريماً جدًّاً .

يُبين تشومسكي انَّ الانموذج الماركوفي غير ملائم البحث وذلك لانّه قائم على افتراض انَّ توليد الجمل يتم عبر توليد الكلمة بعد الكلمة ومن اليسار الى اليمين مما يجعل هذا الانموذج غير قادر على التعامل مع بنى متعدِّدة من بنى اللغة الانسانية . هذا بالاضافة الى انَّ الانموذج الماركوفي لا يُفيد بأيَّة معلومات في ما يختص ببنية الجملة . وهو بالتالي لا يصلح لبناء قواعد اللغة الطبيعية (11) .

ارتبط بناء الانموذج الماركوفي بالألسنية البنيانية في الخمسينات والجدير بالذكر ان البنيانيين الذين ينظرون الى اللغة كلائحة من العادات الكلامية اعتمدوا هذا الانموذج . وهذه النظرة الى اللغة تتعارض مع مبادىء النظرية التوليدية والتحويلية التي ترى انَّ القواعد تتيح لمكتسبها ان ينتج عدداً غير متناه من الجمل وان يتفهمها . فطبيعي، في ظل النظرة هذه الى اللغة، ان لا يستعمل تشومسكي الانموذج الماركوفي . فهو يُشير على سبيل المثال ، الى انّ اللغتين « ل (2) » في (10) و « ل (3) » في (11) لا تندرجان ضمن اللغات المحدودة الحالات .

ينجم عن اعتماد الانموذج الماركوفي في البحث الألسني انّ قضايا متعدِّدة عائدة الى اللغة تبقى غير مدروسة وان البحث الألسني ينحصر فقط في مستوى

---

(11) تشومسكي (1956) صفحة 54-59

و تشومسكي (1957) صفحة 26-28 .

الكلام السطحي حيث تظهر الجمل بمثابة تتابع عناصر صوتية على البعد الخطّي . ويهمل بالتالي مستوى الكلام العمقي (12) .

واذا قارنّا بين الانموذج المـاركوفي وبين انموذج آخر هو الانموذج الركني،نلاحظ ان الانموذج الماركوفي لا يُمكنه ان يصف بعض القضايا اللغوية في حين ان الانموذج الركني قادر على وصفها . بالاضافة الى انّ الانموذج الركني مؤهل لأن يصف كل القضايا اللغوية التي بامكان الانموذج الماركوفي ان يصفها .

يتبينً لنا على ضوء الملاحظات السـابقة انّـه من الطبيعي تفضيـل اعتماد الانموذج الركني بدل الانموذج الماركوفي في البحث الالسني وذلك لملاءمته ، بصورة افضل ، المعطيات اللغوية .

6 ـ الانموذج الركني .

قلنا انَّ باستطاعة الانموذج الركني ان يولِّد كل الجمل التي بامكان الانموذج الماركوفي ان يُولِّدها والعكس ليس بصحيح اذ توجد جمل عديدة بالامكان توليدها بواسطة الانموذج الركني ولا يستطيع الانموذج الماركوفي ، بالمقابل ، توليدها . فمن الطبيعي والحالة هذه ان يرفض تشومسكي اعتماد الانموذج الماركوفي في البحث الألسني .

انَّ الانموذج الركني اكثر تعقيداً من الانموذج الماركوفي ، ويندرج ضمن هذا الانموذج « التحليل بالعودة الى المؤلفات المباشرة » الذي يدرس الجملة بالعودة الى مؤلفاتها المباشرة . ولكي نفهم هذا الانموذج يجب ان ننظر في مفهوم الجملة .

يُمكن النظر الى الجملة كتتابع كلمات . الا انه ليس بالامكان اعطاء لائحة كاملة بكل الجمل اي بكل امكانيات تتابع الكلمات في لغة معيَّنة ، ذلك انّ جمل اللغة ، كما هو معلوم ، غير متناهية .

لنأخذ الجملة التالية :

(24) سافر الرجل الى الجبل .

فان التحليل الخطّي لهذه الجملة يُعطي التتابع التالي :

---

(12) انظر ميشال زكريا(1980) صفحة 267 .

(25) (سافر + ماضي) (أل) (رجل + مفـرد) (الى) (أل) (جبل + مفرد)

لا يحتاج الباحث الى وقت طويل لكي يتبينّ انَّ هذا التحليل لا يُفيدنا بشيء يُذكر فيها يتعلّق بهذه الجملة . وهناك طريقة اخرى يُمكن اعتمادها في تحليل الجملة وهي ما يُسمّى « بالتحليل بالعودة الى المؤلفات المباشرة»تكوِّن هذه الطريقة امتداداً للتحليل التوزيعي (13) فالجملة (24) مكوَّنة من مؤلفات كلامية معيَّنة . نقول انها مؤلفة من ركن فعلي (سافر) ومن ركن اسمي (الفاعل الرجل) ومن ركن حرفي (الى الجبل) وكلِ مؤلف من مؤلفات هذه الجملة مؤلف بـدوره من مؤلفات اخرى . فالركن الاسمي مؤلف من التعريف « أل » ومن الاسم (رجل) . وقد اقترح هوكّت Hocket تمثيل الجملة برسم تخطيطي على شكل علبة ذات مداخل متعدِّدة (مخطَّط الخانات) :

(26)

سافر	الرجل		الى البلدان العربية	
سافر	أل	رجل	الى	البلدان العربية
فعل ماضي	تعريف	اسم	حرف	ركن اسمي
ركن فعلي	ركن اسمي		ركن حرفي	
جملة				

يُعادل مفهوم المؤلفات المباشرة مفهوم القوس المعقوف Crochet في الرياضيات والمنطق الرمزي . فاذا اخذنا معادلة على الشكل التالي :

(27) س × (ع + ف)

نقوم بعملية الجمع قبل عملية الضرب . بالمقابل اذا اخذنـا معادلـة على الشكل التالي :

(28) . س × ع + ف

(13) انظر ميشال زكريا(1980) صفحة192 .

نقوم بعملية الضرب قبل عملية الجمع لعدم وجود القوسين . ومما لا شكل فيه أنّ الترتيب الذي نقوم بحسبه بالعمليات الحسابية يُؤثر على الحاصل من هذه العمليات . فحين تساوي س =3 و ع =5 و ف =7 فإن الحاصل في(27) هو(36) بينما الحاصل في (28) هو(22) . نلاحظ الأمر نفسه في ما يتعلّق باللغة لنأخذ التعبير التالي :

(29) محطّة بيروت الكبرى

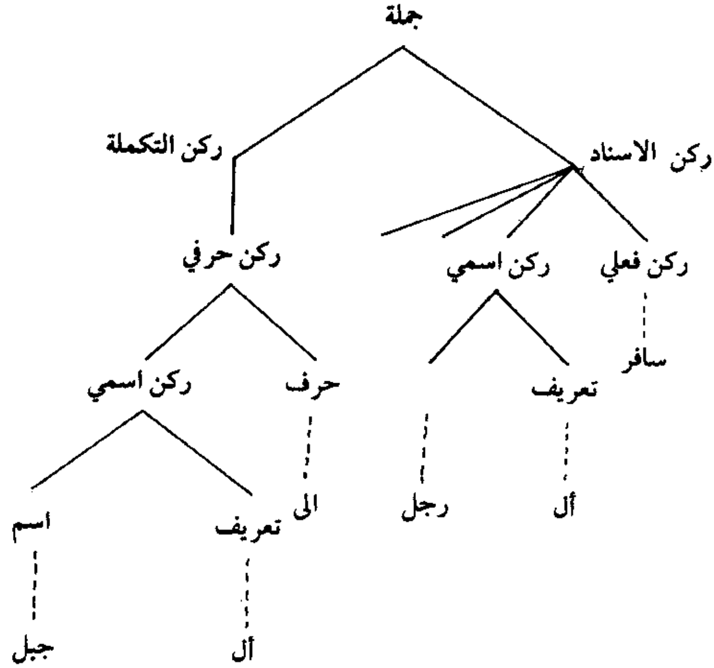
فهذا التعبير يتخذ معنين مختلفين في التحليل الى المؤلفات المباشرة كما في (30) وفي (31) :

(30) (محطّة بيروت) الكبرى

(31) محطّة (بيروت الكبرى)

يقترح تشومسكي القيام بالتحليل الى المؤلفات المباشرة بواسطة قواعد توليدية كما يقترح تمثيلاً مُلائمًا أكثر من مخطط الخانات ويُعرف بالمشجّر فيمثّل الجملة بالعودة الى مؤلفاتها المباشرة وبشكل مجرّد يُبينّ مختلف العلاقات القائمة بين عناصر التركيب وانتماء المؤلفات الى فئات معيّنة . يُشير المخطط التالي الى المشجّر الذي يمثل الجملة في (24) :

(32)



تُشير كل عقدة من عقد المشجَّر الى مؤلّف من المؤلفات المباشرة ويُشير رأس المشجَّر الى المؤلَّف الاعلى اي الجملة . وتُشير العقدة الاخيرة الى المورفامات. يُسمَّى المشجَّـر بالمشـير الركنـي Indicateur Syntagmatique وذلك لأنـه يتيح تمييز الفئات والمؤلفات المباشرة . فمن خلال هذا النوع من التحليل ، حيث تكمن الاهمية الاساسية في علاقة الكل بالجزء والتي تترجم عبـر لائحة محـدودة من المؤلفات المباشرة ، يعتمد تشومسكي قواعد توليدية على شكل اعادة كتابة من نوع س ← ع لترجمة العلاقات القائمة بين المؤلفات . فيحصل على ما يسمِّيه بقواعد ركنية .

ان توليد الجملة في (24) يتم عبر القواعد الركنية التالية :

(33)

قاعدة (1) جملة ← ركن الاسناد + ركن التكملة

قاعدة (2) ركن الاسناد ← ركن فعلي + ركن اسمي + (ركن اسمي) + (ركن حرفي)

قاعدة (3) ركن التكملة ← ركن حرفي

قاعدة (4) ركن فعلي ← فعل + زمن

قاعدة (5) ركن اسمي ← تعريف + اسم

قاعدة (6) ركن حرفي ← حرف جر + ركن اسمي

قاعدة (7) فعل ← سافر . . .

قاعدة (8) اسم ← رجل جبل . . .

قاعدة (9) تعريف ← آل . . .

قاعدة (10) حرف جر ← الى . . .

القواعد في (33) قواعد اعادة كتابة اي انها تُعيد كتابة رمز برمز آخر ، الى ان يتم توليد الجملة . وغني عن الذكر ان الهدف الاساسي هو توليد الجمل لذلك تبدأ القواعد الركنية برمز جملة . تقرأ المعادلة ، على سبيل المثال في القاعدة (1) في (33) على النحو التالي :

(34) اعد كتابة جملة بواسطة : ركن الاسناد وركن التكملة .

انّ السؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن هـو الآتي : هل القـواعد التي يتضمّنها الانموذج الركني هي مناسبة لوصف كل الجمل الاصولية في اللغة ؟

الجواب عن هذا السؤال انّ الانموذج الركني قادر ، الى حدٍّ كبير على توليد كل الجمل الاصولية في اللغة . إلا انّه يظهر بعض نقاط ضعف . فهو يصف بعض

الجمل بصورة معقّدة احياناً . كما إنّ القواعد الركنية لا تتضمّن قواعد باستطاعتها حذف العناصر او تبديل مواقعها فيما بينها ولا يمكنها من ثم تحليل العلاقات القائمة بين جمل مختفلة ، فالانموذج الركني لا يمكنه تخطّي الوصف البنياني العائد الى الجمل الظاهرة .

انّ الانموذج الركني ، اذاً ، لا يدرس العلاقات القائمة بين الجمل ، ومن المعلوم انّه توجد في اللغة جمل ترتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة . ولا يمكننا ، بواسطة القواعد الركنية، تبيان الصلة القائمة بينها .

لنأخذ الجمل التالية :

(35) كتب الرجل الرسالة الى الولد .

(36) الرجل كتب الرسالة الى الولد .

(37) الرسالة كتبها الرجل الى الولد .

(38) الولد كتب الرجل الرسالة اليه .

فالانموذج الركني لا يمكنه ان يُفسِّر كيف انَّ اكثر من جملة واحدة تشترك في نفس المعنى بالرغم من انّ وصفها البنياني مختلف .

لنأخذ ، ايضاً ، الجملة التالية :

(39) طلب زيدٌ من يوسف ان يذهب .

نلاحظ انّ هذه الجملة تعبِّر عن أكثر من معنى واحد :

(40) طلب زيدٌ من يوسف (يذهب زيد) .

(41) طلب زيدٌ من يوسف (يذهب يوسف) .

لا يستطيع الا نموذج الركني ان يُفسرً كيف ان جملة معيَّنة يُمكن ان تحتمل اكثر من تفسير واحد . وذلك لان هذا الانموذج لا يتخطّى وصف الجمل من حيث البنية ولا يقر ، بالتالي ، بوجود المستوى العمقي والمستوى السطحي في اللغة .

يجدر التنويه هنا بأنّ الانموذج الركني ، بالرغم من انّ باستطاعته ، الى حد كبير ، تحليل كل الجمل الاصولية في اللغة ، إلا انّه لا يفي ، بصورة تامة ، بمتطلبات البحث الالسني مما دفع تشومسكي الى الاقرار ، من الناحية النظرية ، بامكانية توافر اكثر من قاعدة واحدة يمكنها توليد جمل اللغة الاصولية كلها ومع

ذلك يُصر على وجود اسباب متعدِّدة تدفعنا لتفضيل قاعدة معيَّنة على اخرى ، فهو يُصرِّح بأن الانموذج الركني يجب استبداله بانموذج آخر يمُكنه ايضاً توليد كل جمل اللغة الاصولية . وهذا الانموذج هو الانموذج التحويلي . إلا انه ابسط من الانموذج الركني ولا يُظهر نواحي الضعف التي اشرنا اليها فيما يتعلَّق بالانموذج الركني .

7 ـ الانموذج التحويلي .

يتخطَّى الانموذج التحويلي الانموذج الركني . ويتم ذلك بواسطة اللجوء الى مفهوم جديد هو مفهوم التحويل . وتندرج القواعد التوليدية والتحويلية ضمن هذا الانموذج التحويلي الذي يُبقي على عمل القواعد الركنية في تأدية الوصف البنياني ويلجأ الى القواعد التحويلية التي تقدِّم الشكل النهائي للجملة .

تعالج القواعد التحويلية الصلة القائمة بين الجمل التي ترتبط بعضها ببعض ، من خلال علاقة معيَّنة. وتستند هذه المعالجة على ايجاد سلسلة من الحجج تختلف الواحدة منها عن الاخرى ولا تتطلَّب تحديداً اوَّلياً لعددها بل يقوم التحليل على اعتماد أكبر عدد من الميزات المختلفة بهدف برهنة الصلات القائمة بين الجمل وقد تكون عملية اثبات الصلة بين جملتين عملية طويلة قد تأخذ طرق برهنة متعرجة .

يقتضي التحليل ، في الواقع ، تعداد سلسلة ميزات : م(1) وم(2) وم(3) . . . وم ن لبنيتين : جملة ج(1) وجملة(2) فيبرهن ان هذه الميزات مشتركة بالنسبة ل ج(2) و ل ج(2) .

يُكوِّن الاكثار من اصناف هذه الميزات المستخدمة كحجج لاعتماد التحويلات ، احد مظاهر تطور النظرية الألسنية . ولا تكون الحجج في الواقع مقنعة وكافية الا بمقدار ما تكون متوافقة ومتماسكة في ما بينها . ويُعلِّق الانموذج التحويلي اهمية قصوى على تبيان العمليات التحويلية المسموح بها ضمن القواعد وتحديد عددها وترتيبها وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها .

السؤال الذي يجب ان نطرحه الآن هو التالي : ما هو الاطار العام الذي تعمل ضمنه التحويلات من الناحية الشكلية ؟

تُطَبَّق التحويلات على تتابع كلمات حاصل من خلال القواعد الركنية ويُمكن تمثيل هذا التتابع بواسطة مشيرات ركنية مجرَّدة .

تحوِّل التحويلات المشيرات الركنية المتتابعة هذه الى مشيرات ركنية متتابعة ايضاً . فيتم الحصول اذاً على مشيرات ركنية جديدة هي مشيرات ركنية مشتقة . وعدد المشيرات الركنية المشتقة يساوي عدد التحويلات التي يتم تطبيقها . ويتم في النهاية الحصول على مشير ركني مشتق نهائي عندما لا تعود المشيرات الركنية تخضع لتحويل جديد . وسنعود الى هذا الانموذج عندما نتكلم عن شكل القواعد التوليدية والتحويلية .

الفصل السابع

مكوِّنات القواعد التوليدية والتحويلية

تتكوَّن القواعد التوليدية والتحويلية من تنظيم قواعد بمقدوره توليد أو تعداد جمل اللغة. يتم تحليل هذا التنظيم من خلال مكوِّنات ثلاثة هي المكوِّن الفونولوجي والمكوِّن التركيبي والمكوِّن الدلالي. فاقامة المستويات اللغوية تتيح تحليل اللغة من خلالها وتساعد على تحقيق الوصف الدقيق والواضح والذي ما كان ليتوفر على نحو علمي من دون اعتماد هذه المستويات.

1ـ المكوِّن الفونولوجي.

تتم دراسة اصوات اللغة في المكوِّن الفونولوجي. ويُظهر تحليل الكلام بوضوح انّ اصوات اللغة لا تتحقق، في الواقع، من خلال تتابع اصوات منفصلة بل هي متتابعة ومطَّردة في السياق الكلامي كما ان مخارج هذه الاصوات متصلة ومتقاربة في جهاز الانسان الصوتي (جهاز التنفس) وما من حدود مرسومة تحدِّد كل مخرج من هذه المخارج. إلا انّ التحليل الألسني يضع الوحدات الصوتية ويلحظها ضمن السياق الكلامي المتتابع. فيميِّز الوحدات الصوتية المنفصلة التي تكوِّن عناصر الكلام. واعتبار الكلام كتتابع وحدات منفصلة ومميَّزة هو المبدأ الاساسي في التحليل الفونولوجي. وذلك لاننا بواسطة هذه الوحدات المميِّزة بامكاننا ان نحلِّل الكلام وأن نضع تمثيل الاصوات اللغوية بواسطة الرموز. وتعتمد، في هذا المجال، ابجدية من الرموز الفونولوجية الكلية مما يُوحِّد الرموز المستعملة في وصف مستوى اللغة الفونولوجي.

يبحث المكوِّن الفونولوجي في القواعد التي تصف الجملة بواسطة التمثيلات الفونتيكية المأخوذة من النظرية الألسنية العامة. ويتكوَّن من المعجم الفونولوجي ومن القواعد الفونولوجية .

أـ المعجم: يتكون معجم اللغة من لائحة المورفامات

ويُخصَّص المورفام من حيث طريقة التلفظ به كما يُخصَّص ايضاً من حيث دلالته وخصائصه التركيبية. لذا يختص المكوِّن الفونولوجي بتحديد المورفام من ناحية التلفظ به.

يمثَّل المورفام بواسطة مركَّب سمات فونولوجية مميَّزة Matrice. واختيار السمات هذه يتم من خلال اعتماد معايير متنوعة:

1ـ بالامكان ان تُستمد هذه السمات من الفونتيكا على ضوء وصفها النطقي اي وصفها بحسب انتاجها بواسطة اعضاء النطق عند الانسان كاللسان والشفتين والحلق والتجويف الانفي، أو على ضوء وصفها السمعي الذي يتناول الخصائص الفيزيائية التي تمتاز بها الموجات الصوتية.

2ـ يجب ان تكون السمة ملائمة تحديد الاختلافات الفونتيكية بين اللغات المتنوعة فمثلاً / ر/ في اللغة الايطالية هي أسنانية في حين انها في اللغة الفرنسية لهوية وفي اللغة العربية لثوية

3ـ تُشير السمات المميَّزة الى التضادات أو المفارقات القائمة بين العناصر الصوتية ضمن التنظيم اللغوي.

يقوم التمثيل بواسطة مركَّب السمات عبر تعداد السمات المميَّزة والاشارة الى وجودها في المورفام أو عدم وجودها.

ب ـ القواعد الفونولوجية.

تتناول هذه القواعد التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي وتُحدِّد القضايا التالية:

1ـ اي مقطع يتغير من الناحية الفونولوجية

2ـ كيف يتغير المقطع؟

3ـ في ظل ايَّة شروط يتم هذا التغيُّر؟

تشبه القواعد الفونولوجية، من الناحية الشكلية، القواعد المرتبطة بالسياق في المستوى التركيبي. فهي تُعيد كتابة مقطع في سياق معين. وتتخذ هذه القواعد التي تُسمَّى بقواعد بنية المورفام أو بقواعد التكرار، الشكل التالي:

(1) أ ← ي / س ـ ع

حيث الرموز «أ» و «ي» و «س» و «ع» هي مركَّب سمات.

تنص القاعدة في (1) على ما يلي:

(2) انَّ المقطع الصوتي «أ» يتغيرً فيصبح «ي» في السياق «س- ع»

نميِّز من ضمن القواعد الفونولوجية اصناف القواعد التالية (1):

أ- قواعد حذف مقطع معينً

ب- قواعد ادراج مقطع معينً

ج- قواعد تبديل موقع مقطع معينً

د- قواعد مماثلة

هـ- قواعد مخالفة

و- قواعد قلب مكاني.

تحلِّل هذه القواعد، بصورة عامة، اصولية المقطع من ناحية الفونولوجيا. وغني عن الذكر ان اعتماد هذه القواعد يتيح تحليل القضايا الصوتية بدقّة ووضع التمثيل الفونولوجي الذي يصف المقاطع بصورة محسوسة.

بقي القول ان تمثيل البنية الفونولوجية بصورة منظمة وبواسطة السمات المميَّزة وقواعد التكرار، في اطار النظرية التوليدية والتحويلية، يؤدي الى التخلّي عن مفهوم الفونام واستبداله بمفهوم المقطع الذي يحدّده تمثيل العناصر الفونولوجية بواسطة السمات الفونولوجية.

2- المكوِّن الدلالي.

يتناول المكوِّن الدلالي القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى فيدرس دلالات العناصر اللغوية ويستلزم وضع مجموعة قواعد متناهية بامكانها تحليل الجمل المحتملة واللامتناهية وتقديم التفسير الواضح الذي يشرح كيف يستطيع متكلم اللغة ان يفهم جمل لغته. واذا عدنا وذكّرنا بأن متكلم اللغة قادر على أن ينتج عدداً لا متناهياً من الجمل لم يسبق له التلفظ به أو سماعه من قبل وعلى أن يتفهمه يتبين لنا انه ينبغي على هذه القواعد التفسيرية تحليل كيف انّ بامكان متكلم اللغة أن يفهم جمل اللغة اللامتناهية والتي لم يسبق له ان سمعها من قبل.

(1) لن نتوسّع، هنا، في هذه الاصناف من القواعد لضيق المجال

لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلول الكلمة فقط انما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي وذلك لانَّ الكلمات، في الواقع، لا تتضمَّن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها، في السياق التي ترد فيه. وترتبط ايضاً دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وببنيتها التركيبية.

لنأخذ على سبيل المثال الجملة التالية:

(3) الّلهم عبدك يسألك المغفرة.

فاستناداً الى تركيب الجملة في (3) بمقدورنا القول انَّ كلمة «عبدُك» هنا تعادل ضمير المتكلم. فجملة (3) تشترك، في المعنى نفسه، مع الجملة التالية:

(4) اللهم (انا) اسألك المغفرة.

وبالتالي لا يُراد بتاتاً الجملة التالية:

(5) اللهم (طلب) عبدُك (يوسف مني ان اتضرَّع اليك واقول انه) يسألك المغفرة.

يتبينَّ لنا مما سبق ان المكون الدلالي يلتمس تحليل البنى التركيبية من الناحية الدلالية. أي بكلام آخر يُسند معنى او اكثر الى البنى التي يُولِّدها المكوَّن التركيبي. لذلك نعتبر هذا المكوَّن مكوَّناً تفسيرياً اذ يقوم بالربط بين معنى الكلمات وبين التمثيل الدلالي العائد الى البنى العمقية بصورة خاصة. اي يُفسِّر هذه البنى.

يلتزم المكوَّن الدلالي بتحليل دلالة الجملة الاصولية وبتبيان سبب غير اصولية الجملة او انحرافها كما يلتزم بلحظ انحرافها وباظهار العلاقات القائمة بين الجمل.

يتم تحديد معنى الكلمات في المعجم اللغوي. ونُسمِّي القواعد التي تربط بين الكلمات وبين البنى التركيبية بقواعد الاسقاط. وتناسب هذه التسمية واقع التفسير الدلالي. وذلك لان قواعد الدلالة تُسقط المعنى على بنية معيَّنة.

يحتوي المكوَّن الدلالي اذاً على المعجم أو اللائحة بمفردات اللغة وعلى القواعد الاسقاطية التي تُشكل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات.

أـ المعجم اللغوي من الناحية الدلالية.

ان كل اشارة لغوية كما هو معلوم تحتوي على دال وعلى مدلول (2). ولا يكون

(2) انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 179

للدال أو لأية لفظة مكوَّنة من مقاطع صوتية وجود في اللغة ما لم تتضمَّن اللفظة معنى لها.

يسند المعجم معنى أولياً الى المفردات اللغوية ويخصها بسمات صوتية وتركيبية ودلالية ويتحدد معنى المفردات بما نُسميه بالمدخل المعجمي.

يُعينً المدخل المعجمي دلالة الكلمة. والجدير بالذكر ان دلالة الكلمة مبهمة الى حد كبير اذ تحتوي الكلمة احياناً على معانٍ متعددة. وسنستخدم كلمة «معنى» لنشير الى دلالة معيَّنة من ضمن الدلالات التي تقترن بالكلمة ونعتمد كلمة دلالة لنشير بها الى مجموع المعاني التي تتضمّنها الكلمة. فتكون المفردة الكلامية مكوَّنة من مجموعة المعاني التي تقترن بها في المعجم.

تحتوي كل عبارة على مجموعة المعاني التي تتخذها نسبة الى دلالة اجزائها وطريقة تركيبها الدلالي. يستتبع ذلك انّ مدخل المفردة المعجمي يحتوي على تمثيل دلالي عائد الى كل معنى من معاني المفردة. والتمثيل الدلالي العائد الى دلالة المفردة يُؤخذ من حيث هو مجموعة التمثيل الدلالي العائد الى معانيها.

انّ تمثيل المفردة الدلالي يعكس تركيب المفردة الدلالي ويقوم هذا التمثيل على مصطلحين محدَّدين.

1ـ القراءة الدلالية وهي تمثيل المؤلفات الدلالي (الكلمة، العبارة، الركن، الجملة)

2ـ المشير الدلالي وهو الذي يُشير الى المصطلحات التي تُكوِّن اجزاء المعاني. ويُماثل مفهوم المشير الدلالي مفهوم المشير الركني الذي يختص بوصف بنية الجملة التركيبية.

تستقيم القراءة الدلالية من مجموعة المشيرات الدلالية. فالمشير الدلالي هو عنصر «مبني» (3) نظري يختص بتمثيل مفهومٍ (أو سمة) هو جزء من معنى المفردة. فالقراءة الدلالية تقوم بتفكيك المعنى الذي تمثله من خلال تجزيئه الى المفاهيم أو السمات التي تكونه. لنأخذ على سبيل المثال كلمة «طاولة». بالامكان تجزئة دلالة هذه الكلمة الى مجموعة مفاهيم او سمات كما يتبينً لنا في المشير الدلالي التالي: (4)

(6) كرسي: (شيء) (فيزيائي) (جامد)

(3)انظر ميشال زكريا (1980) صفحة 165

(4)لمزيد من الايضاح انظر كاتز (1972) صفحة 55 .

(مصنوع) (متاع) (محمول)
(شيء له ارجل) (شيء له مقعد)
(مقعد لشخص واحد)...

من البديهي القول انَّ المشـير الدلالي في (6) لا يفي لتحديد معاني كلمة كرسي تحديداً تاماً. وبالامكان تفتيت كل مفهوم من المفاهيم المكوِّنة هذا المشير الى مكوِّنات متعددة عائدة الى كل مفهوم.

يتكوَّن المعجم من لائحة كاملة من المداخل المعجمية كل منها يختص بمفردة ومن لائحة ايضاً من القواعد نسميها قواعد التكرار الدلالية. وهذه القواعد تُبسِّط المعجم اذ انها تختزل عدداً كبيراً من المشيرات الدلالية في القراءات الدلاليـة وذلك لأن بالامكان تكهنها من خلال مشيرات دلالية أخرى وفقاً لما تُشير اليه قواعد التكرار المختصَّة.

لنعتمد على سبيل المثال والايضاح القاعدة الدلالية التالية:

(7) (متاع) ⟵ (مصنوع)
(مصنوع) ⟵ (شيء)
(فيزيائي)
(جامد)

فبامكان قاعدة التكرار في (7) أن تُبسِّط المشير الدلالي في (6) من خلال اختزال المفاهيم (شيء) و (فيزيائي) و (جامد) و (مصنوع). فيصبح المشير الدلالي في (6) حين نعتمد قاعدة التكرار في (7)، على الشكل التالي:

(8) كرسي: (متاع) (محمول) (شيء له أرجل)
(شيء له ظهر) (شيء لـه مقعد) (مقعـد لشخص واحد).

هكذا بمقدور القراءات الدلالية من خلال المشيرات الدلالية التي تتكوَّن من مجموعة سمات، ان تحُلل العلاقات القائمة بين الكلمات. وفي هذا المجال تحُدَّد الكلمات المترادفة والكلمات المتزايلة والكلمات المتضمنة الواحـدة الاخرى عـلى النحو التالي:

(9) انَّ مدخلين معجمين هما مترادفان اذا كان معناهما ممثلاً بواسطة مجموعة السمات الدلالية نفسها. (اسد/ سبع)

(10) انّ مدخلين معجمَّين هما متزايلان اذا كان معناهما ممثَّلاً بواسطة مجموعة السمات الدلالية نفسها ويضاف الى هذه السمات سمة «س$^{(1)}$» عائدة للمفردة الاولى وسمة «س$^{(-1)}$» عائدة للمفردة الثانية علماً بأن السمتين «س^{1}» و «س$^{(-1)}$» لا يتلازمان بتاتاً في مدخل معجمي واحد. (رجل/ امرأة)

(11) ان مدخلاً معجمياً «أ» يتضمَّن مدخلاً معجمياً «ب» اذا كانت السمات التي يتكوَّن منها «ب» هي جزءاً من السمات التي يتكوَّن منها «أ» فيكون «ب» جزءاً من الكل «أ». (حيوان/ جمل)

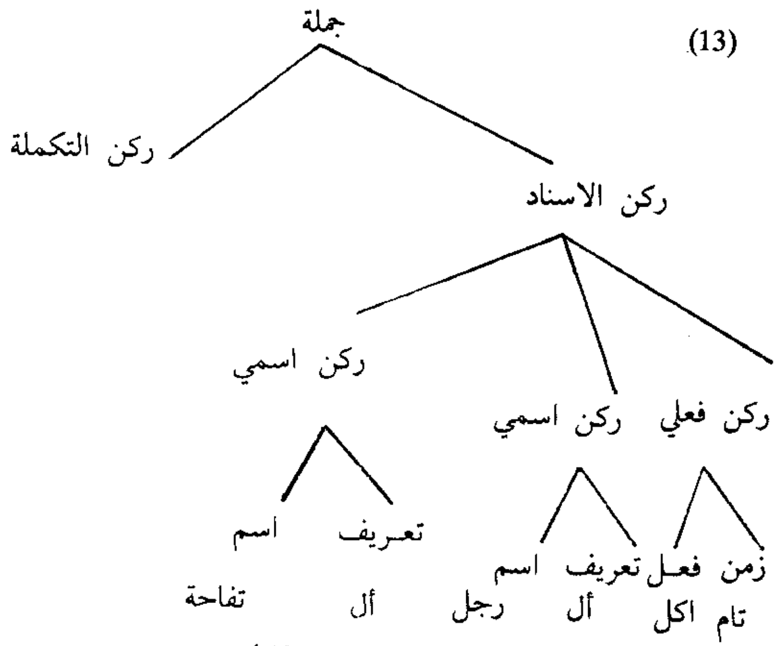
ب ـ قواعد الاسقاط

تقوم قواعد الاسقاط بتعداد القراءات التي تُسند الى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها وذلك على ضوء البنية العمقية التركيبية والمشيرات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية. فهذه القواعد تقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية. لنأخذ على سبيل المثال الجملة التالية:

(12) أكل الرجل التفاحة.

ان جملة اكل الرجل التفاحة تمَّثَّل من حيث تركيبها بالمشجَّر التالي:

(13)



يمثّل كل عنصر من عناصر الجملة (13) بمشير دلالي على النحو التالي:

(14)أكل: (+ فعل) (- ركن اسمي متحرك) (نشاط) (غذاء)....

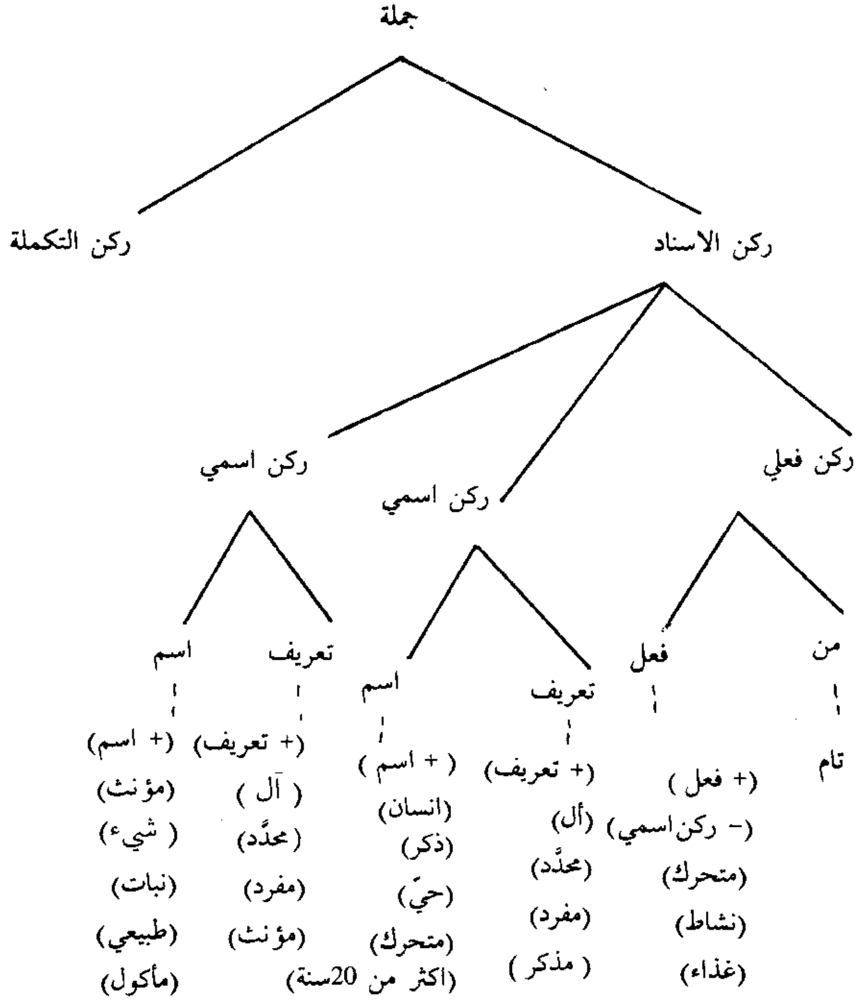
(15) أل: (+ تعريف) (محدّد) (مفرد أو جمع) (مذكر أو مؤنث)

(16) رجل: (+ اسم) (انسان) (ذكر) (متحرِّك) (حي) (أكثر من عشرين سنة)

(17) تفاحة: (+ اسم) (مؤنث) (شيء) (نبات) (مأكول) (طبيعي)

تمزج قواعد الاسقاط بين المشيرات الدلالية لاعطاء تمثيل الجملة الدلالي. فنحصل على المشجَّر التالي الذي يمثل الجملة (12).

(18)



تُعينُ قواعد الاسقاط، بصورة عامة، توافق المفردات المحتمل في بنى تركيبية معيَّنة وتُفسِّر المعاني التي نحصل عليها من جرَّاء توافقها. فمعنى المؤلَّف المركَّب لا يرتبط فقط بدلالة المكوِّنات التي تؤلفه بل يرتبط ايضاً بالبنية التركيبية التي تجمع بين هذه المكوِّنات اي بالطريقة التي تأتلف بها العناصر من الناحية التركيبية.

انَّ الانموذج التوليدي والتحويلي يستند على فرضية تنص على انَّ المتكلم يُفسِّر الجملة على نحو تركيبي بحيث يرتبط معنى المؤلَّف المركَّب بمعاني عناصره. فمعنى الجملة يتم عبر معاني المؤلفات النهائية في المشير الركني وذلك من خلال الجمع بين هذه المعاني بواسطة قواعد الاسقاط ووفقاً للعلاقات القائمة في المشير الركني.

انَّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو التالي: كيف يعمل المكوَّن الدلالي؟

تكون الخطوة الاولى في عملية تفسير الجملة من الناحية الدلالية، في اعطاء مؤلفات الجملة النهائية في البنية العمقية، القراءات المعجمية المأخوذة عن المعجم. بعد ذلك تعمل قواعد التكرار الدلالية على اكمال قراءات المفردات المبسَّطة من خلال تقديم المشيرات الدلالية التي لم تُذكر في هذه القراءات والتي تنص عليها هذه القواعد، وذلك لاسباب عائدة الى مبدأ الاقتصاد والتبسيط في لحظ القراءات المعجمية في المعجم كما قد اشرنا اليه سابقاً. فمثلاً عندما نضفي قراءة (متاع) على كلمة «كرسي» نطبّق قاعدة التكرار في (7) فتُزاد على القراءات العائدة الى كلمة كرسي القراءات التالية:

(19) كرسي: . . . . (مصنوع) (شيء) (فيزيائي) (جامد). . . .

وفي النهاية تقوم قواعد الاسقاط بتحويل المشيرات الركنية الى مشيرات دلالية.

3ـ المكوَّن التركيبي.

هذا المكوَّن هو المكوَّن التوليدي في القواعد التوليدية والتحويلية ويتألَّف من المكوّن الأساسي ومن المكوَّن التحويلي.

1ـ المكوّن الاساسي.

يحتوي المكوَّن الاساسي على مجموعة قواعد بناء أو قواعد تكوين، وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية.

أ ـ قواعد التكوين .

تُوفِّر قواعد التكوين المعلومات اللازمة لتوليد الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة في اللغة. وتتّخذ قاعدة التكوين شكل قاعدة اعادة كتابة اي هي تعيد كتابة رمز يُشير الى عنصر معينً من عناصر الكلام برمز آخر أو بعدَّة رموز. فجواز اشتمال الجملة على ركن اسنادي وعلى ركن تكملة يتمثل بقاعدة التكوين التالية:

(20) جملة ←—— ركن الاسناد+ ركن التكملة

نقرأ السهم بوصفه تعليمة تقضي باعادة كتابة الرمز الواقع على اليمين «جملة» بواسطة الرمزين المتتابعين «ركن الاسناد» و «ركن التكملة». على النسق ذاته، بالامكان استبدال ركن الاسناد بتتابع رموز كما في القاعدة التالية:

(21) ركن الاسناد ←—— ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن اسمي
\+ ركن حرفي

ويُمكن اعادة كتابة ركن التكملة على النحو الآتي:

(22) ركن تكملة ←—— { ركن حرفي / ركن اسمي }

كما بالامكان اعادة كتابة كل من الرموز التي ترد على يسار السهم في (21) بواسطة القواعد التالية.

(23) ركن فعلي ←—— زمن+ فعل

(24) ركن اسمي ←—— تعريف + اسم

(25) ركن حرفي ←—— حرف جر+ ركن اسمي

ويُمكن استبدال الفئات الكلامية على النحو التالي:

(26) فعل ←—— (Δ)

(27) اسم ←—— (Δ)

(28) تعريف ←—— (Δ)

(29) حرف جر ←—— (Δ)

حيث (Δ) عنصر مستعار يُمكن اعادة كتابته على النحو التالي:

(30) (Δ) ⟵ س ع

و «س ع» هي السمات المتنوعة التي بامكان (Δ) ان تُستبدل بها.

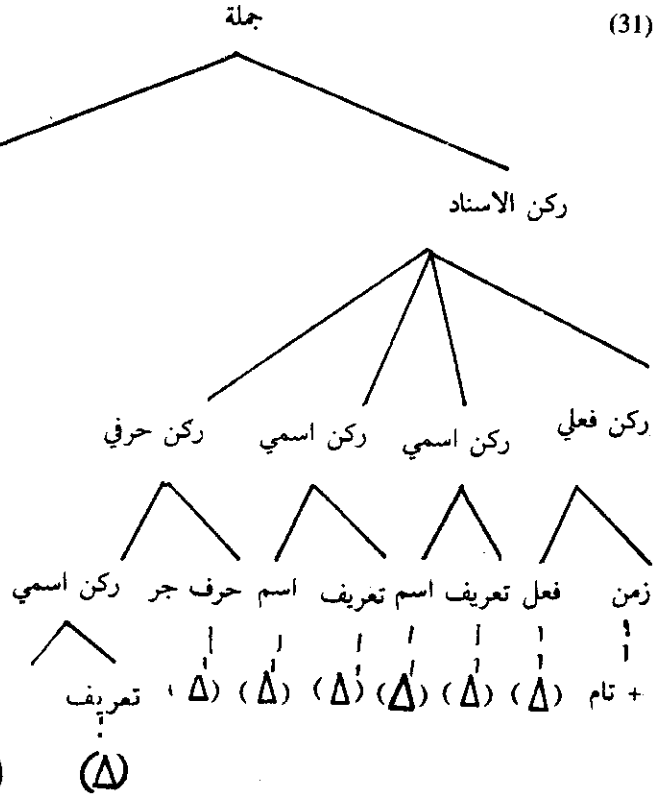
ولا تتعدَّى وظيفة العنصر المستعار القيام بتعيين الموقع الكلامي الذي يتم ادخال المفردة المعجمية فيه.

لا تولِّد، في الواقع، قواعد اعادة الكتابة التتابع النهائي بل تولِّد التتابع ما قبل النهائي الذي يتضمَّن المورفامات النحوية (مثل زمن ⟵ ± تام) والعناصر المستعارة (Δ). ويتم توليد التتابع النهائي، من خلال ادراج الوحدة المعجمية الملائمة والتي تحتوي على نفس السمات «س ع»، في الموقع الذي يحتله العنصر المستعار (Δ). لنأخذ مجدَّداً الجملة في (12). نوردها هنا مجدَّداً لمتطلبات الوضوح في البحث:

(12) أكل الرجل التفاحة.

تولِّد قواعد التكوين التي اشرنا اليها في (20)- (30) المشير الركني الممثَّل بواسطة المشجَّر التالي:

(31)



يمثّل المشجر الجملة بالعودة الى مؤلفاتها المباشرة بشكل مجرَّد يُبينّ، بوضوح، مختلف الصلات القائمة بين عناصر التركيب ويُظهر انتماءها الى فئات معيّنة. فكل عقدة من المشجر تشير الى مؤلّف من مؤلفات الجملة المباشرة. وتُشير العقد الاخيرة الى المورفامات.

تجدر بنا الاشارة، هنا، الى انَّ قواعد البناء تحتوي على قواعد عائدة. récursif اي على قواعد تحتوي على عنصر عائد. نُسمِّي عنصراً عائداً العنصر الذي يظهر على يمين السهم وعلى يساره في الوقت نفسه. ويلعب مفهوم العائد دوراً اساسياً في تحليل اللغات الطبيعية اذ يمكننا من خلال جملة اصولية توليد جملة ثانية تكون اطول من الجملة الاولى وذلك بادراج جملة اضافية في مواقع مناسبة من الجملة الاولى. نشير الى القاعدة العائدة على النحو التالي:

(32) ج ←— . . . . . ج . . . .

انَّ مفهوم العائد يوصلنا الى تناقض ظاهر. ذلك اننا نصبح ملزمين بقبول مجموعة فرعية من الجمل غير المتناهية والاصولية والتي هي، بالمقابل وفي الوقت نفسه، مقبولة بنسبة متفاوتة ضمن ظروف الاداء الكلامي. يُعيد هذا الواقع الى الاذهان التمييز الذي سبق وتكلمنا عنه بين الكفاية اللغوية وبين الاداء الكلامي اي التمييز بين ما يستطيع جهاز كالدماغ البشري ان يقوم به وبين ما يقوم به فعلياً. وذلك لانَّ قواعد التكوين تُولِّد عدداً غير متناه من الجمل اي باستطاعتها القيام بعمليات لا متناهية. على اننا نميِّز بين القدرة اللامحدودة (الكفاية اللغوية) وبين القدرة الفاعلة الميكانيكية (الاداء الكلامي).

2ـ المعجم في المجال التركيبي.

يتكون المعجم من مجموعة غير مرتَّبة من المداخل المعجمية. ويتألَّف كل مدخل معجمي من سمات تركيبية وفونولوجية ودلالية. تولِّد قواعد التكوين، كما قلنا، مشيراً ركنياً يرتد الى الجملة. ويتم استبدال العنصر المستعار (Δ) اينما ظهر بالمداخل المعجمية الملائمة. يخضع هذا الاستبدال الى ضوابط تحدّدها سمات المداخل المعجمية. ونحصل بعد القيام بعملية الاستبدال هذه على مشير الجملة الركني في البنية العمقية. لنعتمد الجملة التالية:

(33) أكل الولد التفاحة.

ان هذه الجملة جيدة التركيب واصولية في حين انَّ الجملة التالية:

(34)* أكلت التفاحة الولد .

هي جيدة التركيب اذ نلاحظ ان تركيبها مماثل للجملة (33):

(35) فعل + ركن اسمي + ركن اسمي

إلا انها غير مقبولة بالرغم من انها جيدة التركيب ويعود سبب انحرافها عن الاصولية الى انَّ فعل «أكل» لا يتّخذ عادة اسمًا غير متحرك في موقع فاعله. وغني عن الذكر ان السمات الذاتية التي تتكوّن منها المفردات تلعب هنا دوراً اساسياً في تحديد اصولية التراكيب. اذ تقوم هذه السمات مقام قواعد تفريع. فسمة [+ متحرك]، على سبيل المثال، تُعين ضمن فئة الاسم فئتين متفرعتين عنه: فئة الاسماء المتحركة وفئة الاسماء غير المتحركة.

في الواقع، لا مانع من اللجوء الى قواعد اعادة كتابة لتحليل تفريع الفئات. فعلى سبيل المثال، بالامكان اعتماد قاعدة التفريع التالية:

(36) اسم ← { اسم متحرك / اسم غير متحرك }

إلا ان متطلبات الوضوح والاقتصاد، في عرض القواعد، تدفعنا، في اطار القواعد التوليدية والتحويلية، الى اقامة قواعد التفريع عن طريق اللجوء الى السمات المعجمية. فتحتوي قواعد التكوين على قواعد اعادة كتابة تُعيد كتابة الرمز برموز اخرى. فتنص الرموز النهائية على الفئات الكلامية كما في (23)ـ (25) وتحتوي ايضاً قواعد التكوين على قواعد تفريع الفئات التي تحوّل الرمز (الفئة) الى تتابع سمات كما في (30).

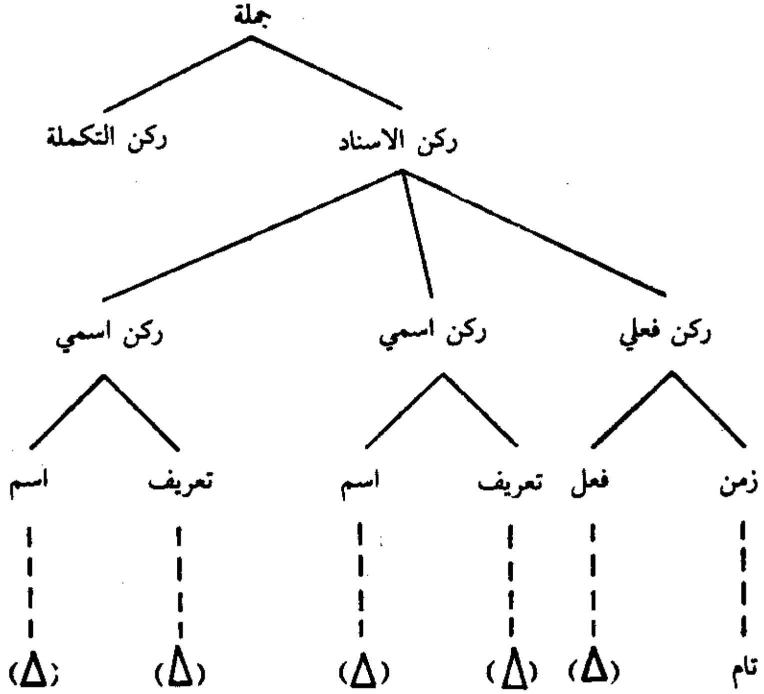
يتم استبدال السمات «س ع» العائدة الى العنصر المستعار (Δ) في قواعد التفريع، بالمفردة المعجمية التي تحتوي على نفس السمات المعجمية. ويتم ادخال المفردات في المشير الركني، من خلال عملية الاستبدال هذه.

لنعتمد مجدّداً الجملة (12):

(12) أكل الرجل التفاحة.

بالامكان تمثيل هذه الجملة بواسطة المشجر التالي:

(37)



يحتوي المعجم في اللغة العربية، فيما يحتوي عليه، السمات التركيبية التالية العائدة الى المفردات التالية:

(38) أكل: [+ فعل]، [+ متعدٍّي]، [+ مستمر]، [+ نشاط] [- عمل]. . . . . . .

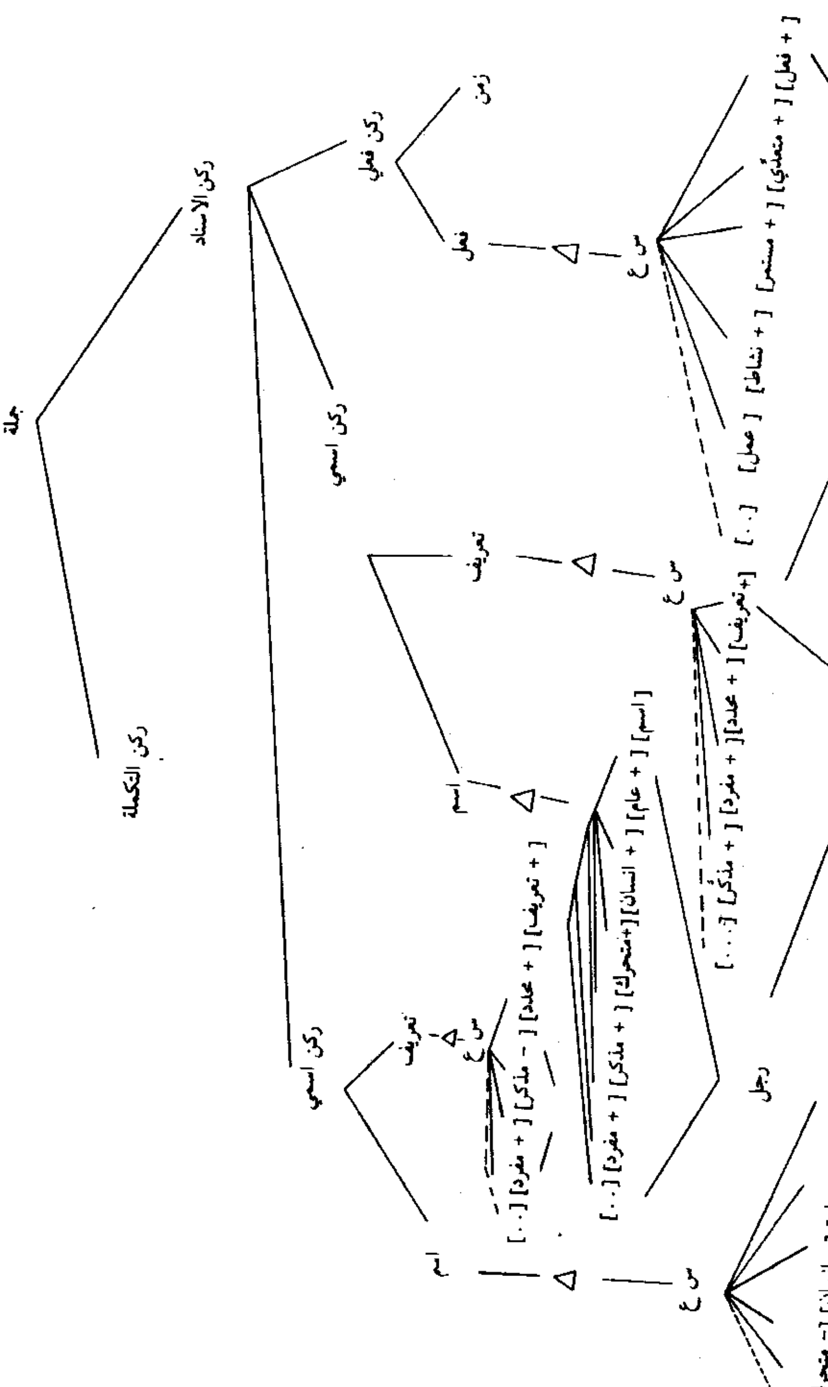
(39) الرجل: [+ اسم]، [+ عام]، [+ انسان]، [+ متحرِّك]، [+ مذكر] [+ مفرد]. . . . . .

(40) التفاحة: [+اسم]، [+ عام]، [- انسان]، [- متحرك]، [- مذكر] [+ مفرد]. . .

(41) أل: [+ تعريف]، [+ محدَّد] [+ مفرد] [+ مذكر]. . .

ذكرنا هنا بعض السمات الذاتية العائدة لهذه المفردات ولم نتوسَّع بها نظراً لضيق المكان. ولمزيد من التوسيع يمُكن العودة الى الجزء الثاني من كتابنا هذا: فصل الاسم وفصل الفعل.

بالاستناد الى المداخل المعجمية التي أوردناها بصورة مجزّأة جدًّا في (39)ـ (41) بامكاننا تمثيل الجملة (12) مشيرين الى عملية ادراج المفردات بواسطة المشجَّر التالي:



جملة
ركن الاسناد
ركن التكملة
ركن فعلي
ركن اسمي
ركن اسمي
زمن
فعل
اسم
تعريف
اسم
تعريف
س ع
[+ فعل] [+ متعدّي] [+ مستمر] [+ نشاط] [عمل] [. .]
[+ تعريف] [+ عدد] [+ مفرد] [+ مذكر] [. . .]
[اسم] [+ عام] [+ انسان] [+متحرك] [+ مذكر] [+ مفرد] [. .]
[+ تعريف] [+ عدد] [- مذكر] [+ مفرد] [. .]
[+ اسم] [+ عام] [- انسان] [- متحرك] [- مذكر]
أكل
أل
رجل
تفاحة

خلاصة القول يتضمن المكوَّن الاساسي

أـ مكوَّناً فرعياً خاصاً بالفئات يحتوي على قواعد اعادة الكتابة التي تتعامل مع الفئات الكلامية (الجملة، الركن الفعلي، الاسم. . .)

بـ مكوَّنا فرعياً خاصاً بالمفردات المعجمية يحتوي على المعجم الذي تندرج ضمنه السمات الفونولوجية والتركيبية والدلالية والذي يلحظ تفريع الفئات وادراج المفردات.

2ـ المكوَّن التحويلي.

يتضمَّن هذا المكوَّن التحويلات التي هي عبارة عن قوانين متشعبة يُبدِّل كل منها مشيراً ركنيًّاً بمشير ركني آخر وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل.

تجْرى التحويلات على تتابع الكلمات الحاصل من خلال قواعد التكـوين والممكن تحليلها الى مشيرات ركنية، فتحوّلها الى مشيرات ركنية جديدة نُسمِّيها بالمشيرات الركنية المشتقَّة. ونحصل على عدد من المشيرات الركنية المشتقَّة يُساوي عدد التحويلات التي يتم اجراؤها. ونحصل في النهاية عـلى مشير ركني مشتق نهائي، عندما لا تعود المشيرات الركنية تخضع الى تحويل جديد. واجراء التحويلات المتلاحقة تُدخل تغييرات في بنية الجملة.

وقد تُدخل التحويلات بنى مجرَّدة لا تتحقَّق كما هي في الكلام وانما تكوّن نقطة انطلاق لعملية التحويل مما يستتبع التمييز بين التحويلات الالزاميـة وبين التحويلات الاختيارية. فالتحويل الالزامي يتنـاول بنيةً هي، من حيث تعـريفها بالذات، لا يُمكن ان تتحقق بصورة مباشرة من دون تدخُّل التحويل. بعبارة أُخرى انَّ التحويل الالزامي لا يجد تبريره، ضمن النظرية الألسنية، إلا من خلال مفهوم تعمل وفقه العمليات التحويلية على بنى مجرَّدة (5).

---

(5) لنأخذ على سبيل المثال الجملة التالية:

(1) الرجل كريم ابوه.

انَّ القواعد التوليدية والتحويلية التي حاولنا وضع بعض خطوطها في اللغة العربية تعتمد، في دراسة النعت، البنية العمقية التالية:

(2) نعت ركن اسمي ركن اسمي

هذه البنية هي غير اصولية لاسباب لن ندخل في تفاصيلها وقد توسَّعنا بها مطوَّلاً في الجزء الثاني من كتابنا هذا.

وهذه البنية مجرَّدة ويقوم تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء باشتقاق الجملة(1) ويتم اجراء هذا التحويل بصورة الزامية.

التحويل نفسه يتم اجراؤه بصورة اختيارية على المشير الركني الذي يحتوي على الفعل. في الواقع لنتأمل الجملة التالية.

تعالج التحويلات الصلة القائمة بين الجمل. وتستند هذه المعالجة على ايجاد سلسلة من الحجج قد يختلف كل منها عن الآخر، من دون اي تحديد اوَّلي لعدد الحجج. كما انها تستند، ايضاً، على اعتماد اكبر عدد ممكن من الميزات المختلفة، بهدف برهنة هذه الصلة. وقد تكون عملية اثبات الصلة بين جملتين، عملية طويلة وقد تأخذ طرقاً متشعبة. ويقتضي البحث تعداد سلسلة ميزات م 1 وم 2 وم 3.... وم ن تختص ببنيتين ج 1 وج 2 فنبرهن انَّ هذه الميزات مشتركة بالنسبة ل ج 1 و ل ج 2 ونخلص الى القول بأنَّ هناك علاقة تحويلية بين هاتين الجملتين ج 1 و ج 2. وهذه الطريقة لها مبرَّراتها العلمية.

لا يوجد، في الواقع، نهج محدد ضمن النظرية الألسنية لالـصاق ميزة معيَّنة ببنية معيَّنة. انها فقط قضية ملاحظة تجريبيَّة لا ترتبط بمبدأ معينّ. ومن ناحية أخرى، فإن مفهوم الميزة غير محدَّد ايضاً. فبالامكان اعتبار كل ملاحظة تجريبية تنطبق على البنية، بمثابة ميزة تُتيح لنا تقسيم مجموعة بنى اللغة الى :

أ- البنى التي تنطبق عليها هذه الملاحظة التجريبية.

ب- البنى التي لا تنطبق عليها هذه الملاحظة التجريبية.

انَّ هذه الميزات تكون متنوعة تنويعات شتىً ونستطيع ان نردها الى عدة اصناف:

1- القيود الانتقائية: ان انتقاء الوحدة المعجمية ليس انتقاءاً حرّاً بل هو يخضع لبعض الشروط التي بالامكان اعتبارها انها ميزة خاصة عائدة للبنية. وكون القيود الانتقائية متنوِّعة تمام التنوع، فنحن امام مصدر غني لاستنباط الحجج التي تنص على علاقة الجمل بعضها ببعض (6).

2- الدلالة: انَّ الدلالة التي تُضفيها البنية على المفردات المعجمية التي تندرج في هذه البنية هي خاصة بالبنية. فعندما نلاحظ وجود بنيتين تُضفيان الدلالة ذاتها

=

(3) الرجل أكل التفاحة

فهذه الجملة: نحصل عليها من خلال اجراء تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء. إلا انه، في هذه الحالة، يتم اجراؤه بصورة اختيارية ذلك ان البنية العمقية في حال الفعل هي بنية ظاهرة كما في الجملة التالية.

(4) أكل الرجل التفاحة.

(6) تقع القيود الانتقائية على الحدود التي تفصل بين المكوِّن الدلالي والمكوِّن التركيبي.

بالنسبة للمفردات المعجمية ذاتها ، نخلص الى الاقرار بوجود ترابط بين هاتين البنيتين.[7]

3ـ القيود التي تحدّ من اجراء القاعدة: من الواضح انّه يحق لنا، في حال التزام بنتين بالقيود نفسها، أن نربط بينهما[8].

يكون الاكثار من اصناف هذه الميزات المستخدمة كحجج لاعتماد التحويلات، احد مظاهر تطور النظرية التوليدية والتحويلية. ولا تكون الحجج، في الواقع، مقنعة وكافية إلا بمقدار ما تكون متوافقة ومتماسكة في ما بينها. ويُعلّق تشومسكي اهمية قصوى على تبيان العمليات التحويلية المسموح بها ضمن القواعد وتحديد عددها وترتيبها وتعداد القيود المتعلقة باجرائها.[9]

ان تحديد التحويل يتم من خلال ملاحظة القضايا التالية:

أـ المشير الركني الذي يُشير الى تتابع نهائي والذي يتم اجراء التحويل في اطاره اي مجال التحويل.

بـ مجموعة العمليات التي تقوم بها التحويلات في ما يتعلّق بالتتابع الذي يخضع لأجرائها اي التغيرُّ البنياني.

جـ البنية المتحوِّلة من جرَّاء تطبيق التحويل اي المشير الركني المشتق.

انَّ التحويلات تتنوَّع من حيث التغيُّرات التي تقوم بها على المشير الركني الذي يدخل في مجال اجرائها. ونذكر منها هنا:

أـ الابدال: يقوم التحويل بابدال موقع ركن كلامي على النحو التالي:

(43) أ+ ب ⟵ ب + أ.

لنتناول الجملتين التاليتين:

---

(7) لنأخذ الجملتين التاليتين:

(1) اكل الرجل التفاحة

(2) الرجل اكل التفاحة

ان الدلالة نفسها نتبيَّنها من خلال الجملتين (1) و (2) مما يُظهر بوضوح العلاقة التحويلية التي تجمع بينهما

(8) اذا كانت نفس القيود تحد من اجراء نفس القاعدة على جملتين في مجال تطبيق القاعدة هذه نفسه ، بالامكان اعتبار أن الجملتين تجمع بينهما علاقة تحويلية .

(9) ان اهتمام تشومسكي بهذه القضايا يظهر في مؤلفاته الاخيرة منذ تشومسكي (1973 ـ أ) .

(44) سافر يوسف الى بيروت في السنة الماضية.

(45) في السنة الماضية سافر يوسف الى بيروت.

ان جملة (45) متحوِّلة من جملة (44) بواسطة اجراء تحويل نقل ركن التكملة «في السنة الماضية». وهذا التحويل يقوم بنقل ركن التكملة بصورة اختيارية الى موقع آخر في الجملة.

بـ التوسيع: يقوم التحويل بتوسيع ركنٍ من مؤلفات الجملة.

(46) أ+ ب $_1$ ⟵ أ+ ب $_2$

حيث ب $_2$ هي توسيع ب $_1$

لنتناول الجملتين التاليتين.

(47) علمتُ شيئاً.

(48) علمت انَّ زيداً سافر.

فجملة «أنّ زيداً سافر» هي توسيع لكلمة «شيئاً». ويتم التوسيع، الى حدٍّ كبير في الجمل المندرجة في جمل أخرى.

جـ الحاق السمة: يقوم التحويل بالحاق سمة من سمات مؤلَّف معين بمؤلِّف آخر. وهذه العملية نلاحظها، بصورة عامة في تحويل الاتباع. لنعتمد الجملة التالية:

(49) الرجلان كريمان.

انَّ هذه الجملة متحوِّلة من بنية عمقية غير اصولية هي التالية:

(50)* الرجلان كريم.

بواسطة اجراء تحويل اتباع النعت الاسم بصورة الزامية. وهذا التحويل يُلحق سمة [+ مثنى] بالنعت « كريم » فنحصل على الجملة(49).

بالامكان الاشارة الى عمل التحويل هذا على النحو التالي:

(51) [+ سمة س] أ + ب ⟵ [+ سمة س] أ + ب [+ سمة س]

د- الجمع: يقوم التحويل بزيادة عنصر الى المشير الركني الذي يدخل في مجال اجرائه:

(52) أ ← أ+ ب.

لنعتمد الجملتين التاليتين

(53) أكل الرجل التفاحة

(54) التفاحة اكلها الرجل

ان جملة (54) متحولة من جملة (53) بواسطة اجراء تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء. يقوم هذا التحويل بنقل الركن الاسمي ويترك ضميراً في الموقع الذي كان يحتله الاسم. فالضمير يُزاد في المشير الركني المشتق.

هـ الحذف: يقوم التحويل بحذف عنصر من عناصر للمشير الركني الذي يدخل ضمن مجال اجرائه.

(55) أ+ ب ← ب (أ ← ∅)

لنتأمل الجملة التالية

(56) قُتل الرجل.

انّ الجملة (56) متحوِّلة من بنيِة عمقية هي التالية:

(57) قتل (Δ) الرجل.

(انسان)

بواسطة تحويل حذف العنصر (Δ).

الفصل الثامن

شكل القواعد التوليدية والتحويلية

تتألف القواعد التوليدّية والتحويلية من ثلاثة مكوّنات مترابطة كما ذكرنا في الفصل السابق. يشتمل كل منها على تنظيم قواعد. وهذه المكوّنات الثلاثة هي المكوّن الفونولوجي والمكوّن التركيبي والمكـوّن الدلالي. وتـربط هذه المكـونات، مجتمعةً في اطار اللغة، بين الاصوات والمعاني.

يُعتبر المكوّن التركيبي المكوّن التوليدي الوحيد أي المكوّن الذي يصف بنية الجمل العمقية ويُعدِّد عناصرها المؤلفة؛ في حين أنّ المكونين الفونولوجي والدلالي تفسيريان. فبعد ان يلحظ المكوّن التركيبي بنى الجمل يُفسر المكوّن الدلالي معاني هذه البنى ويخصص المكوّن الفونولوجي كل تركيب لغوي بنطق خاص.

تنتظم القواعد التوليدية والتحويلية كأوالية تعمل، من خلال هذه المكونات، على نحو محدَّد يُتيح وصف الكفاية اللغوية التي يمتكلها متكلم اللغة ويحُلّل مقدرته على اضفاء الدلالة على مجموعة الاصوات التي يتلفّظ بها. والسؤال الذي لا بد من طرحه هنا هو التالي: كيف تعمل القواعد التوليدية والتحويلية؟ أو بكلام آخر ما هو الشكل الذي تتخذه هذه القواعد؟

تعمل القواعد التوليدية من خلال عمل كل مكوّن من المكوّنات الثلاثة.

1ـ عمل المكوّن التركيبي.

انّ المكوّن التركيبي هو المكوّن الاساسي في القواعد التوليدية والتحويلية. يُولِّد هذا المكوّن مجموعة بنى تركيبيَّة غير متناهية. يتم هذا التوليد على النحو التالي:

أـ تقوم قواعد التكوين بتوليد المشيرات الركنيّة على مرحلتين. في المرحلة الاولى تولِّد قواعد اعادة الكتابة تتابع فئات كلامية يمكن تمثيلها بواسطة مشير ركني.

في المرحلة الثانية تقوم قواعد التفريع باعادة كتابة كل فئة من الفئات التي ولّدتها قواعد اعادة الكتابة، بواسطة سمات ذاتية وسياقية (1).

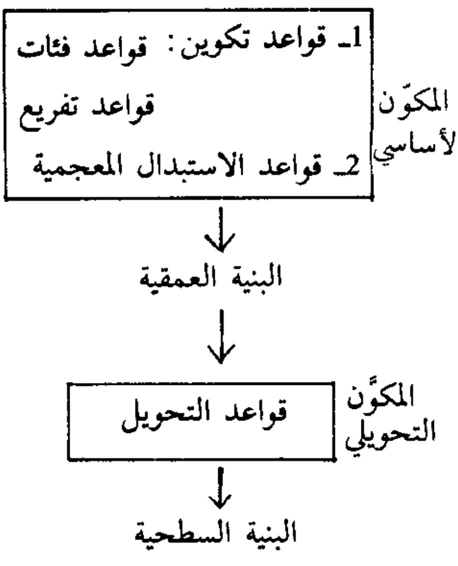
ب- تقوم قواعد استبدال المفردات المعجمية بادراج مفردات مكوّنة من مركّب سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية في موقع الرموز المركّبة التي ولّدتها قواعد اعادة الكتابة وقواعد التفريع في حال تعادلت سمات المفردة مع الرمز. وتُسمّى البنية التي نحصل عليها بعد اجراء قواعد ادراج المفردات، بالبنية العمقية. وبالامكان تفسير هذه البنية من حيث الدلالات وذلك لانها تحتوي على كل العناصر اللازمة لاقرار معنى الجملة.

ج- تحوِّل التحويلات التي يتضمنها المكوّن التحويلي، البنية العمقية الى بنية سطحية بالامكان تفسيرها من الناحية الفونولوجية.

انّ المكوّن التركيبي هو اذاً المصدر التوليدي في القواعد التوليدية والتحويلية. والمخرجات التي تصدر عنه تكوّن المدخلات التي يتعامل معها المكوّن الفونولوجي والمكوّن الدلالي في نفس الوقت (2).

تكوّن المخرجات هذه مجموعة لا متناهية من الوصف البنياني الذي يتعلّق بكل جملة من جمل اللغة. يتكوّن الوصف البنياني من مجموعة مشيرات ركنية عمقية ومن مشير ركني سطحي واحد. فتعمل قواعد المكوّن الدلالي على المشيرات الركنية العمقية لتحليلها من حيث الدلالة التي تتّخذها. في حين تعمل قواعد المكوّن الفونولوجي على المشير السطحي لاضفاء التمثيل الدلالي على البنية اللغوية.
يُظهر المخطط التالي عمل المكوّن التركيبي:

(1) عمل المكوّن التركيبي



---

(1) نعتمد هنا النظرية الالسنية النموذجية كما فصّلها تشومسكي (1965) ولا نتطرق بالتالي الى التعديلات التي اجريت على النظرية. وذلك لمتطلبات الوضوح.
(2) لهذا السبب حصرنا دراساتنا التي تتناول اللغة العربية بدراسة المكوّن التركيبي ونأمل ان نُجرى دراسات لاحقة تتناول المكونين الفونولوجي والدلالي.

2ـ عمل المكوَّن الدلالي .

انَّ المدخلات التـي يتناولها المكوَّن الدلالي هي المشيرات الركنية التي **تولِّدها** قواعد التكوين العائدة الى المكوَّن التركيبي، في البنية العمقية (3).

يعمل المكوَّن الدلالي على النحو التالي:

أـ تُقرن المدخلات المعجمية كلَّ مورفام في البنية اللغوية، بدلالته وذلك على شكل مركّب سمات

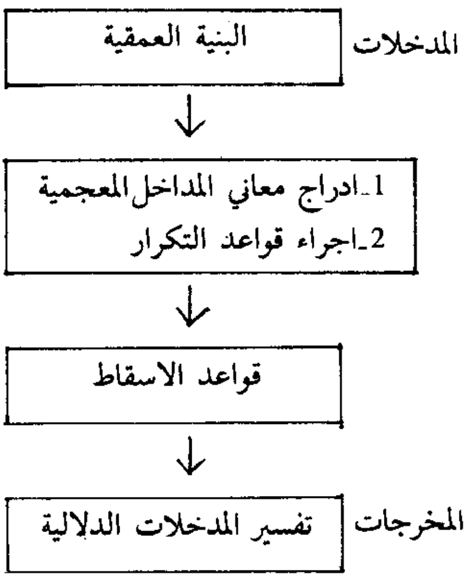
ب ـ تقوم قواعد التكرار الدلالية بتوسيع السمات هذه .

ج ـ تُفسر قواعد الاسقاط الـدلالية التـي تتنـاول البنية العمقية ومعانـي المدخــلات المعجمية العائدة الى مورفامات هذه البنية . فتجمـع بـين دلالــة المورفامــات وتفسـير القراءات التي تقترن بالمورفامات هذه عندما تتآلف في بنى تركيبية محدَّدة .

إذاً يقوم المكوَّن الدلالي بتخصيص معنى شامل ، لكل تركيب لغـوي ، انطلاقـاً من المعاني الفردية العائدة الى المورفامـات التـي تؤلفه ، وتبعاً للطريقة التـي تأتلف بهـا هذه المورفامات .

يُظهـر المخطـط التــالي عمــل المكوَّن الدلالي :

(2) عمل المكوَّن الدلالي



3ـ عمل المكوَّن الفونولوجي .

انّ المدخلات التي يتناولها المكوَّن الصوتي هي المشيرات الركنية السطحية. ويتكوّن المشير الركني السطحي من مؤلفات محدَّدة من حيث انتاؤهـا الى فئات كلامية ومن حيث خصائصها الدلالية.يعمل المكون الفونولوجي على النحو التالي:

---

(3)لا بد من التذكير هنا بما اوردناه في الفصل الأوَّل عن وجود بعض القضايا اللغوية المحدودة التي يقتضي تفسيرها العودة الى عناصر يجُري ادخالها في المكوَّن التحويلي. لمزيد من الايضاح انظر تشومسكي (1972)

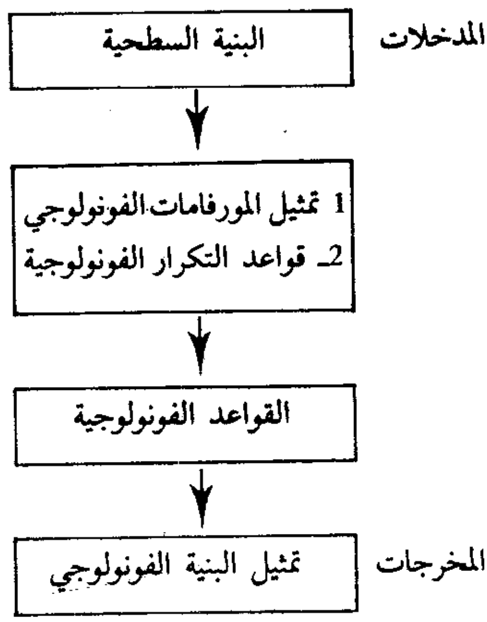
أـ يُقدم المعجم السمات الفونولوجية الخاصة التي تُضفي على المؤلفات تمثيلاً فونولوجياً مناسباً

بـ تقوم قواعد التكرار بضبط التمثيل الفونولوجي العائد الى هذه المؤلفات في البنية السطحية.

جـ تقوم القواعد الفونولوجية بتحليل التغييرات الصوتية الحاصلة من خلال تتابع السمات الفونولوجية الخاصة بكل مؤلف.

يقوم المكوِّن الفونولوجي اذاً بتخصيص كل تركيب لغوي بتمثيل فونولوجي خاص انطلاقاً من لفظ كل مورفام على حدة ومن خلال تألف هذه المورفامات. يُظهر المخطط التالي عمل المكوِّن الفونولوجي:

(3)عمل المكوِّن الفونولوجي



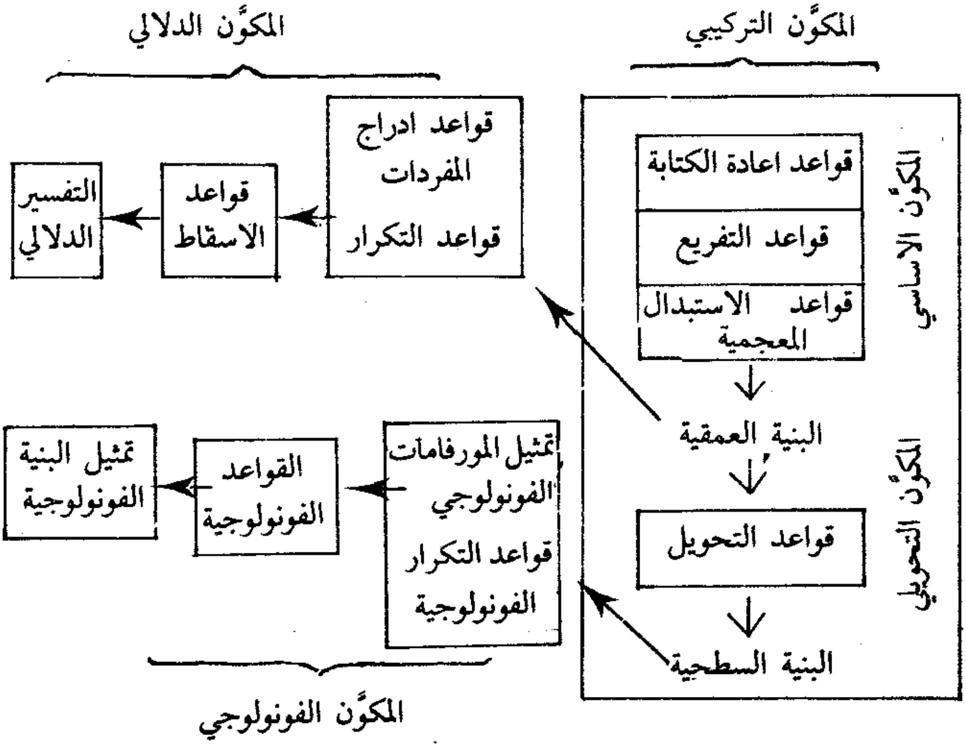
4ـ شكل القواعد التوليدية والتحويلية.

يتبينّ لنا مما سبق انّ المكوِّن التركيبي يُولِّد مجموعة غير متناهية من البنى التركيبية التي تحتوي على تمثيل دلالي يُستمد من المكوِّن الدلالي وعلى تمثيل صوتي يُستمد من المكوِّن الفونولوجي. فيكون المكوِّن التركيبي بمثابة جسر يربط بين المعنى والصوت:

«تحتوي القواعد على مكوَّن تركيبي وعلى مكوَّن دلالي وعلى مكوَّن فونولوجي. المكونان الاخيران هما محض تفسيريان ولا يلعبان اي دور في توليد بنى الجمل الذي يتم على نمط «العائد» recursive. يتكوَّن المكون التركيبي من المكوَّن الاساسي ومن المكوَّن التحويلي. والمكوَّن الاساسي يتكوَّن بدوره من قواعد الفئات الفرعية ومن المعجم. يولِّد المكوَّن الاساسي البنى العمقية. وتدخل البنية العمقية المكوَّن الدلالي وتتلقَّى التفسير الدلالي. وتتحوَّل الى بنية سطحية بواسطة القواعد التحويلية ومن ثم تتلقَّى التفسير الفونولوجي بواسطة قواعد المكوَّن الفونولوجي. وهكذا تقرن القواعد الاصوات بالتفسيرات الدلالية. وهذا الاقتران يتم بوساطة القواعد (ذات الطبيعة العائدة والتابعة للمكوَّن التركيبي [4]»

يُظهر المخطط التالي الشكل الذي تتخذه القواعد التوليدية والتحويلية وتداخل المستويات فيها:

(4) شكل القواعد التوليدية والتحويلية



(4) تشومسكي (1965) صفحة 141

بقي ان نأخذ مثلاً موجزاً يُظهر عمل هذه القواعد. لنعتمد الجملة التالية:

(5) الرسالة كتبها الرجل الى الاستاذ بالأمس.

ولنحاول ان نعرض المراحل التي تمر بها هذه الجملة الى ان تتخذ شكلها الحالي.

ننطلق من البنية العمقية حيث بالامكان ملاحظة قواعد التكوين التالية:

(6) قاعدة (1) جملة ← ركن الاسناد+ ركن التكملة

(7)قاعدة (2)ركن الاسناد ← ركن فعلي+ ركن اسمي+ (ركن اسمي) + (ركن حرفي)

(8) قاعدة (3) ركن التكملة ← ركن حرفي

(9) قاعدة (4) ركن فعلي ← زمن+ فعل

(10) قاعدة (5) ركن اسمي ← تعريف + اسم

(11 قاعدة (6) ركن حرفي ← حرف جر+ ركن اسمي

(12) قاعدة (7) فعل ← س ع

(13) قاعدة (8) اسم ← س ع

(14) قاعدة (9) حرف جرّ ← س ع

(15) قاعدة (10) تعريف ← س ع

انَّ القواعد في (6)ـ (11) هي قواعد اعادة كتابة في حين انَّ القواعد في (12)ـ (15) هي قواعد تفريع. وتقوم قواعد الاستبدال المعجمية بادخال المفردات الملائمة في القواعد (12)ـ (15) فنحصل على البنية العمقية التالية:

(16) كتب الرجل الرسالة الى الاستاذ بالامس.

تخضع هذه البنية الى تحويل نقل الركن الاسمي الى موقع الابتداء. يقوم هذا التحويل بنقل الركن الاسمي «الرسالة» الى يمين الفعل ويترك ضميراً في الموقع الذي كان يحتله. ويقوم تحويل آخر بالحاق الضمير بالفعل. نحصل على البنية السطحية التالية:

(17) الرسالة كتبها الرجل الى الاستاذ بالأمس.

تكوِّن البنية العمقية في (16) المدخلات بالنسبة للمكوِّن الدلالي حيث تتلقَّى

التفسير الدلالي من خلال اجراء قواعد ادراج المفردات وقواعد التكرار ومن ثم قواعد الاسقاط. وتكوِّن البنية السطحية في (17) المدخلات بالنسبة للمكوِّن الفونولوجي حيث تتلقّى التمثيل الفونولوجي من خلال قواعد تمثيل المورفامات وقواعد التكرار الفونولوجية ومن ثم القواعد الفونولوجية.

5ـ البنية العمقية والبنية السطحية.

يُركِّز تشومسكي على اعتماد مستويين في دراسة اللغة. فيميِّز بين البنية السطحية اي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم وبين البنية العمقية اي القواعد التي اوجدت هذا التتابع او البنى الاساسية التي يمكن تحويلها لتكوّن جمل اللغة:

«نميِّز بين بنية الجملة العمقية وبين بنية الجملة السطحية: الاولى هي البنية المجرَّدة والضمنية والتي تُعينّ التفسير الدلالي والثانية هي ترتيب الوحدات السطحي الذي يحُدد التفسير الفونتيكي والذي يُردّ الى شكل الكلام الفعلي الفيزيائي والى شكله المقصود والمُدرك [5] ».

«انّ البنية العمقية ترتبط بالبنية السطحية من خلال بعض العمليات العقلية وبحسب المصطلح الحديث من خلال تحويلات القواعد.

يجب أن نعتبر قواعد اللغة كتنظيم قواعد يصف البنية العمقية والبنية السطحية وعلاقاتها التحويلية. فقواعد المتكلم يجب ان تتضمَّن تنظيم قواعد متناهياً يُولِّد عدداً غير متناهٍ من البنى العمقية والسطحية المترابطة بصورة ملائمة. [6] ».

يُؤكد تشومسكي انَّ البنية السطحية والبنية العمقية مختلفتين:

«نميِّز بين بنية الجملة السطحية اي ترتيب (الجملة) في فئات وفي اركان والذي يقترن مباشرة بالاشارة الفيزيائية وبين البنية العمقية الضمنية اي ترتيب (الجملة) ايضاً في فئات واركان إلا ان طابع البنية العمقية اكثر تجريدا[7] »

ولتوضيح رأيه يعتمد تشومسكي المثل المعروف في قواعد «بور روِيَّال»:

(18) خلق الله غير المنظور العالم المنظور.

---

(5) تشومسكي (1966ـ أ) صفحة 62

(6) تشومسكي (1968ـ ب) صفحة 33

(7) تشومسكي (1966ـ أ) صفحة 63

فيشير الى انَّ قواعد «بور رويَّال» تلفت انتباهنا الى وجود ثلاث متبينات ضمن هذه الجملة وهي:

(19) خلق الله العالم.

(20) الله غير منظور.

(21) العالم منظور.

ويعتبر انَّ الجملة (18) تنتمي الى البنية السطحية وتتكوَّن من الجمل الثلاث (19)- (21) التي ترتد الى البنية العمقية. بمعنى آخر انَّ جملة (18) متحوَّلة من الجمل (19)- (21) بواسطة اجراء اكثر من تحويل واحد.

إنَّ البنية العمقية وإن لمْ تكن ظاهرة في الكلام، هي، الى حدًّ كبير، اساسية لتفهمه ولاعطائه التفسير الدلالي. ومما لا شك فيه انّ هذه البنية ضمنية وتتمثّل في ذهن المتكلم- المستمع. فهي حقيقة عقلية قائمة، يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يُكوِّن البنية السطحية. من هنا ترتبط البنية العمقية بالدلالات اللغوية اي انها تُحدِّد تفسير الجمل الدلالي، في حين ترتبط البنية السطحية بالاصوات اللغوية المتتابعة وتحدد تفسير الجمل من الناحية الصوتية.

يتّخذ التمييز بين البنية العمقية وبين البنية السطحية اهمية قصوى في التحليل الألسني. فالبنية العمقية تقوم بالاعمال التالية:

أ ـ تكوِّن المدخلات بالنسبة للمكوَّن الدلالي ويتم التفسير الدلالي من خلالها كما سبق أن ذكرنا.

ب ـ تُبرِّر اعتماد مفهوم التحويل. وذلك لأن التحويل عملية ذهنية تقرن بين بنى الجمل العمقية وبين الجمل السطحية.

ج ـ تُعين الكلِّيات اللغوية الصورية كما انَّ الكلّيات اللغوية تنتمي بصفة أساسية الى البنية العمقية(8).

د ـ تُحَدِّد الوظائف النحوية وترتيب عناصر الجملة.

6 ـ العلاقات بين المكوَّنات

مع بروز النظرية وتطورها في مجال الألسنية، نلاحظ أنَّ المفاهيم العادية والمستعملة

---

(8) انّ الاعتقاد السائد في مجال الكلّيات اللغوية انّ هذه الكلّيات تعود بصفة اساسية الى البنية العمقية.

سابقاً في وصف اللغة ، قد حلّت مكانها مفاهيم مبنيّة مختصّة ، تُساعد على القيام بالتحليل الدقيق والتفسير الواضح في المجال الألسني .

قلنا انّ القواعد تتشابك في مستويات ثلاثة ، كل منها يستقيم في بنية خاصة به . وفي هذا الاطار لا تصلح المفاهيم السابقة النظرية التحويلية لأنها تحتوي على قضايا متنوّعة وغير متماسكة . فمن الضروري،والحالة هذه،اللجوء الى المفاهيم التقنية التي يتناول كل منها قضايا عائدة الى كل مكوّن على حدة بحيث ترتدّ المفاهيم الواحدة الى المكوّن الواحد . وذلك لمنع تداخل المكوّنات والخلط بين عناصرها.

اذاً، تعتمد الالسنية التوليدية والتحويلية مفاهيم بحث واساليب دراسة خاصة بها كما انها تحُدد، بدقّة، أكثر ، المفاهيم السابقة التي تُبقي على اعتمادها. فتضفي عليها تحديداً جديداً يوافق المعطيات الألسنية المعقّدة القائمة في المكوّنات اللغوية. فتحليل اللغة من خلال اقامة المستويات الثلاثة يستلزم الاقرار بمتطلبات شاقة ومرهقة بهدف التوصل الى اظهار بنية المكوّن الذاتية والعلاقات القائمة بين المكوّنات فالحاجة الى التمييز بين العناصر الفونولوجية والدلالية والتركيبية والتي تظهر مختلطة في المفاهيم النحوية اصبحت الآن ملحّة.

لنأخذ على سبيل المثال مصطلح الاسم كما يحُدّد في القواعد التقليدية. في الواقع، يحُدِّد الشيخ مصطفى الغلاييني(9) الاسم على النحو التالي :

«الاسم على ضربين: موصوف وصفة.

فالاسم الموصوف: ما دلّ على ذات الشيء وحقيقته. وهو موضوع لتُحمل عليه الصفة: كرجل وبحر وعلم وجهل ومنه المصدر واسما الزمان والمكان واسم الآلة

«وهو قسمان: اسم عين، واسم معنىً.

فاسم العين: ما دلّ على معنى يقوم بذاته: كفرس وحجر

واسم المعنى: ما دلّ على معنى لا يقوم بذاته. بل يقوم بغيره.

ومعناه امّا وجودي: كالعلم والشجاعة والجود وامّا عدمي كالجهل والجبن والبخل.

---

(9)الشيخ مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية المكتبة العصرية بيروت 1912 صفحة 97 الطبعة التاسعة 1962.

والاسم الصفة: ما دلّ على صفة شيء من الاعيان أو المعاني وهو موضوع ليُحمل على ما يوصف به

وهو سبعة انواع: اسم الفاعل..............

نلاحظ هنا انّ الشيخ الغلاييني يُحدِّد الاسم من حيث انّه يدل على «ذات الشيء أو حقيقته» وعلى «معنى» أو يدل على انسان أو شيء او مكان. والمسألة الممكن طرحها هنا هي ما هو الشيء أو ما هي حقيقة الشيء؟ فالتحديد هذا يرتكز على هذه الكلمات غير المحدَّدة بصورة وافية والتي تتطلب بدورها تحديداً واضحاً. فالاسم الذي هو فئة نحوية عائدة الى المكوِّن التركيبي يُحدَّد، ضمن القواعد التقليدية وبصفة اساسية، من حيث المعنى. وغني عن الذكر انّ مفهوم المعنى عائد بطبيعة الحال الى المكوِّن الدلالي والتحديد هنا يقتضي تحديد عناصره ايضاً. اذ يلزم، في الواقع، ان يُحدَّد مفهوم الشيء، بالذات.

لا توجد، في الواقع، ميِّزات دلالية تميِّز بين الاسم وبين ما هو غير اسم. فالاسم ليس فئة دلالية. ولتحديد الاسم لا بد من ان نلجأ الى مفهوم التوزيع وهذا المفهوم عائد الى المكوِّن التركيبي. فتوزيع العنصر اللغوي هو مجموعة المواقع التي بامكانه أن يرد فيها في الجمل الصحيحة التركيب أي هو مجموعة العناصر التي تحيط بكل مؤلَّف يُريد الباحث تحليله.

يقوم مفهوم التوزيع على تمييز **المؤلَّفات اللغوية**، من خلال لحظ العناصر المحيطة بكل منها، في السياق الكلامي. للايضاح نتمثل الجمل التالية:

(22) استيقظ الرجل.

(23) شاهد الرجل المسرحية.

(24) انتحر الرجل.

(25) سافر الرجل الى بيروت.

(26) كتب الرجل الرسالة الى الولد.

(27) مرّ الولد بالرجل.

سنحاول ان نحدِّد توزيع كلمة «رجل» في الجمل السابقة. نلاحظ انّ كلمة رجل تظهر بعد اداة التعريف أل وتقع في هذه الجمل:

(22- 1) بعد استيقظ.

(1 -23) بعد شاهد وقبل المسرحية.

(1 -24) بعد انتحر.

(1 -25) بعد سافر وقبل الى.

(1 -26) بعد كتب وقبل الرسالة.

(1 -27) بعد حرف الجر ب.

في الواقع، لا يمكننا تبيان موقع كلمة رجل، بصورة دقيقة، استناداً الى ما نلاحظه في (1 -22)ـ (1 -27) لا بد اذاً من أن نعتمد، في هذا المضمار، سلسلة من المجموعات أو الفئات وسلسلة من العلاقات الترابطية الممكنة بين عناصر هذه المجموعات. وتنتمي كلمة رجل الى فئة الاسم التي بامكاننا تحديدها من حيث انها مجموعة الكلمات التي تُظهر التوزيع نفسه الذي تُظهره كلمة رجل. فنكون قد حدَّدنا الفئة من خلال دراسة توزيع العناصر. ونحصل ايضاً على فئة فعل وهي مجموعة الكلمات التي تُظهر التوزيع نفسه الذي تُظهره كلمة استيقظ مثلاً، وعلى فئة حرف جر وهي مجموعة الكلمات التي تُظهر التوزيع نفسه التي تُظهره كلمة الى.

واضح مما سبق انّ باستطاعتنا وصف الجمل بواسطة الفئات التي ذكرناها والتي تنتمي اليها عناصر هذه الجمل. فيتم تحليل الاسم وفق مفهوم التوزيع، في الجمل (22) ـ(27) على النحو التالي:

(2 -22) فعل+ تعريف+ ــــ

(2 -23) فعل + تعريف +ــ+ تعريف+ اسم

(2 -24) فعل+ تعريف+ ــــ

(2 -25) فعل+ تعريف+ ــ+ حرف جر+ تعريف + اسم

(2 -26) فعل+ تعريف+ ــ+ تعريف+ اسم+ حرف جر+ تعريف+ اسم

(2 -27) فعل+ تعريف+ اسم+ حرف جر+ تعريفــــ

نلاحظ هنا انّ المقاطع الكلامية في بعض الجمل تتكرَّر على النسق ذاته ووفق الترتيب نفسه. كما في(2 -22) وفي(2 -24). فاذا حذفنا البنى التي تتشابه نحصل على التوزيع الذي يندرج ضمنه الاسم «الرجل»:

(28) فعل+ تعريف+ ــــ

(29) فعل+ تعريف+ ـــ+ تعريف+ اسم

(30) فعل+ تعريف+ ـــ+ حرف جر+ تعريف+ اسم

(31) فعل+ تعريف+ ـــ+ تعريف+ اسم+ حرف جر+ تعريف+ اسم

(32) فعل + تعريف+ اسم+ حرف جر+ تعريف+ـــ

ففي ظل هذه المنهجية يتّخذ وضع الفئات النحوية (الاسم والفعل والتعريف و. . .) مبرراته من حيث انّه يُتيح صياغة التعميمات في مجال عرض توزيع العناصر. فبدل ان نضع لائحة تحتوي على كل الكلمات التي بامكانها أن ترد مثلا بعد الفعل نضع تركيباً كلامياً يحتوي على تعريف يتبعه اسم فتطلق تسمية اسم على مجموعة كلمات تتشابه من حيث ميزاتها التوزيعية. فتحديد الفئات الكلامية من حيث توزيعها يعني اننا لا نستطيع تحديدها بصورة مستقلة عن سلوكها النحوي. ففئة الاسم هي الفئة التي تتوافق مع تعريف يسبقها لتكوّن الركن الاسمي.

تقتضي اعادة تحديد المصطلحات اللغوية على هذا النحو، اظهار سمات العناصر اللغوية المتنوعة والمميِّزة أي يجب ان تعكس المصطلحات التركيبية المختصة والملائمة تمايز القضايا التركيبية عن القضايا الدلالية من جهة وعن القضايا الصوتية من جهة أخرى. ويصح نفس الشيء في ما يختص بالمصطلحات الدلالية والصوتية اذ يجب أن تعكس تمايز القضايا الدلالية عن القضايا التركيبية والصوتية وتمايز القضايا الصوتية عن القضايا الدلالية والتركيبية. ومتطلبات التمايز هذا هي نتيجة التمييز الحاصل بين المستويات الثلاثة في التحليل الألسني. فالقضايا التركيبية تتعامل مع توافق العناصر الصوتية في تتابع خطّي يُكوِّن الجمل الصحيحة التركيب ومع العلاقات القائمة ضمنها. والقضايا الدلالية تتعامل مع مفاهيم المعنى العائد الى هذه الجمل ومؤلفاتها. والقضايا الصوتية تتعامل مع لفظ هذه الجمل.

ولمزيد من الايضاح نأخذ الجمل التالية:

(33) أـ كتب الولدُ الرسالة.

بـ* كتبت الرسالةُ الولدَ.

(34) أـ اكل الرجلُ التفاحة.

بـ* اكلت التفاحةُ الرجل.

انَّ الجملتين (33ـ ب) و (34ـ ب) غير مقبولتين علمًا انَّ بالامكان القول،

في مجال تحليلهما، انهما اصوليتان من الناحية التركيبية. فالجملة (33ـ ب) هي جيِّدة التركيب مثلها مثل الجملة (33ـ أ) والجملة (34ـ ب) ايضاً جيِّدة التركيب مثلها مثل الجملة (34ـ أ)· إلا ان في مجال التفسير الدلالي تُعتبر الجملتان (33ـ ب) و (34ـ ب) منحرفتين وغير مقبولتين. وانحرافهما عائد الى السمات الانتقائية التي يجب ان تتوافر بين الفعل وفاعله. ففعلِ كتب كما هو معلوم يتَّخذ فاعلاً اسماً يحتوي على سمة [+ انسان] وفعل أكل يتخذ فاعلاً اسمًا يحتوي على سمة [+ متحرك]. فالجملتان (33ـ ب) و (34ـ ب) لا تراعيان سمات الفعل الانتقائية وذلك لانَّ الاسم « الرسالة » (فاعل كتب) يحتوي في ما يحتوي عليه من السمات على السمة [ـ انسان] والاسم «التفاحة» (فاعل أكل) يحتوي على سمة [ـ متحرِّك] . والجدير بالذكر ان السمات الانتقائية هي سمات واقعة على الحدود الممكن اقامتها بين المستوى التركيبي وبين المستوى الدلالي. ففي مجال تحليل الجمل في (33) (34) يُمكننا بصورة اختيارية اللجوء الى حلَّين مختلفين:

أـ اما ان نعتبر أن الجملتين اصوليتان من الناحية التركيبية وفي هذه الحالة يعود الى المكوِّن الدلالي دور التمييز بين الاسماء التي تحتوي على سمة [+ متحرك] وعلى سمة [+ انسان] وبين الاسماء التي لا تحتوي على احدى هاتين السمتين. كما يعود الى المكوِّن الدلالي ايضاً وضع قواعد الانتقاء التي تنص على الشروط التي تُقبل من ضمنها الجمل.

بـ اما ان نُدخل السمات الانتقائية (كسمة [+ انسان] التي تُميِّز بين الاسم «الولد» والاسم «الرسالة».) ضمن المكوِّن التركيبي ونعتبر، بالتالي الجملتين (33ـ ب) و (34ـ ب) غير اصوليتين. وذلك لعدم مراعاة الجملتين السمات الانتقائية القائمة بين الفعل والاسم (فاعله). وفي هذه الحالة يكون عمل المكوِّن الدلالي تقديم المحتوى الدلالي العائد الى هذه السمات واقران الجمل هذه بتفسير دلالي أو (إذا أمكن) بتفسير إستعاري في ما يتعلَّق بالجملتين (33ـ ب) و (34ـ ب).

مما لا شك فيه انّ الاختيار بين هذين الحلَّين يتم وفق متطلبات التبسيط والاقتصاد في بناء القواعد. أي نختار الحل الذي يتيح، الى حدٍّ كبير، صياغة القواعد بصورة اقتصادية وتبسيطية. وتميل النظرية التوليدية والتحويلية الى اعتماد الحل «ب» اي الحل الذي يُرجع السمات الانتقائية الى مجال التراكيب. وذلك لأنَّ هذه السمات الانتقائية تدخل في قواعد تركيبية عديدة حيث تُؤدِّي مخالفتها الى انتاج جمل غير اصولية.

انّ العدد يتمثّل عادة بسمات تركيبية [مفردَ] و [مثنىً] و [جمع]. لنتّخذ على سبيل المثال الجمل التالية:

(35) الرجل جاء.

(36) الرجلان جاءا.

(37) الرجال جاؤوا.

ففي الجملة (35) كلمة «الرجل» تحتوي على سمة [+ مفرد] في حين ان كلمة «الرجلين» في الجملة (36) تحتوي على سمة [- مفرد: + مثنىً] وكلمة «الرجال» في الجملة (37) تحتوي على سمة [- مفرد: + جمع] والضمير العائد الى «الرجلين» في الجملة (36) يحتوي على السمة نفسها التي تحتوي عليها كلمة «الرجلين». كما انّ الضمير العائد الى «الرجال» في الجملة (37) يحتوي على السمة نفسها التي تحتوي عليها كلمة الرجال.

لنتأمل الآن الجمل التالية:

(38) القوم ارادوا الحياة.

(39) الاهل ارادوا الذهاب.

(40) الشعب اراد الحياة.

نلاحظ هنا انّ المورفامات «القوم» و «الاهل» و «الشعب» مورفامات متشابهة من حيث انها تحتوي في ذاتها سمة [- مفرد] بمعنى انّ هذه المورفامات تُشير الى اكثر من شخص أو فرد واحد. لذلك نتوقع ان تسلك هذه الاسماء سلوك المثنىً أو الجمع إلا أنّ توقعنا هذا يصح فقط في الجملة(38) اذ يتصرَّف المورفام « القوم » تصرُّف الاسم في حالة الجمع . فالضمير العائد الى هذا المورفام يحتوي على سمة [-مفرد : + جمع] . ويصح توقعنا ولكن بصورة جزئية في الجملة(39) اذ يتصرَّف المورفام « الأهل » تصرف الإسم في حالة الجمع . فالضمير العائد الى هذا المورفام يحتوي على سمة [- مفرد + جمع] في حين أن المورفام الأهل يحتوي في ذاته سمة [- مفرد : + مثنّى] . إلا أن توقُّعنا لا يصح في الجملة(40) اذ يتصرف المورفام « الشعب » تصرُّف الإسم في حالة المفرد . فالضمير العائد الى هذا المورفام يحتوي على سمة [+ مفرد] .

والجدير بالذكر هنا انّ المورفامات «القوم» و «الاهل» و «الشعب» تظهر في صيغة الجمع كما يتّضح في الجمل التالية:

(41) الاقوام ارادوا الحياة.

(42) الاهالي ارادوا السفر.

(43) الشعوب ارادوا الحياة.

لنستعرض الآن الجمل التالية:

(44) انتم يا فخامة الرئيس امل هذا الشعب.

(45) نتقدّم من فخامتكم بالشكر.

(46) نحن رئيس الجمهورية نأمر السلطات المدنية والعسكرية.

ان التعابير «فخامة الرئيس» و «فخامتكم» و «رئيس الجمهورية» تُشير، في الحقيقة الى فرد واحد لذلك نتوقّع ان يكون سلوكها في الجملة سلوك المورفام المفرد. إلا ان توقعنا هذا لا يصح في الجمل (44)- (46) اذ نلاحظ انّ هذه التعابير تتصرّف على اساس انها تحتوي على سمة [+ جمع] كما يتبينّ من الضمائر المرتبطة بها والتي تحتوي على سمة [− مفرد: + جمع].

فمن البديهي والحالة هذه ان نضع سمات تركيبية تُشير الى سلوك المورفامات النحوي. فالمورفام «الشعب» في الجملة (40) يتصرّف تصرّف المورفام المفرد وذلك بالرغم من انّه يحتوي في ذاته وبصورة ضمنية معنى الجمع فسلوكه في الجملة لا ينص عليه معناه في المكوّن الدلالي. والمورفام الرئيس (رئيس الجمهورية) في الجمل (44)- (46) يتصرّف تصرّف المورفام الجمع وذلك بالرغم من انّه يحتوي في ذاته معنى المفرد. ونلاحظ هنا ايضاً انّ سلوك احد المورفامات لا ينص عليه معناه في المكوّن الدلالي.

نستدل من الامثلة السابقة في (38)- (46) اننا بحاجة الى سمات تركيبية بامكانها وصف تصرُّف المورفامات التي اشرنا اليها وتحليلها. نعتمد هنا، في هذا المجال، سمتين متمايزتين:

أ- سمة [+ مفرد] وهي السمة التي تتناول مفهوم العدد (المفرد والمثنى والجمع)، كما نجده في القواعد التقليدية.

ب- سمة [+ مفرد ذاتي] وهي سمة تنص على العدد (المفرد والمثنىً والجمع)، القائم بصورة ضمنية في كل من المفردات بغض النظر عن السلوك النحوي. فهذه السمة هي سمة دلالية قائمة ضمن المفردة

يهمنا عند هذه النقطة ان نعرض سمات المورفامات التي ذكرناها من خلال التمييز بين المفرد النحوي وبين المفرد الذاتي. فالمورفامات التالية تحتوي فيما تحتوي عليه من السمات على السمات التالية:

(47) القوم: [+ اسم]، [- مفرد: + جمع]، [- مفرد ذاتي: + جمع]

(48) الاهل: [+ اسم]، [- مفرد: + جمع]، [- مفرد ذاتي: + مثنًّى]

(49) الشعب: [+ اسم]، [+ مفرد]، [- مفرد ذاتي: + جمع]

(50) الرئيس: [+ اسم]، [- مفرد: + جمع]، [+ مفرد ذاتي]

وهذه السمات كما قلنا تُساعد على وصف الجمل وتحليل العلاقات القائمة بين عناصرها. لمزيد من الايضاح نأخذ الجمل التالية:

(51) أـ * تفرّق الولد

بـ * تفرّق رئيس الجمهورية.

(52) أـ تفرّق القوم.

بـ تفرّق الاهل.

جـ تفرّق الشعب.

(53) أـ تفرّق الاولاد.

بـ تفرّق الرجال.

نلاحظ، في الامثلة السابقة، ان الفعل تفرّق يأخذ فاعِلاً اسمًا يحتوي على سمة [- مفرد ذاتي] في الجمل (52) واسمًا [- مفرد] في الجملتين (53). إلا انّ الفعل في الجملة (51ـ ب) لا يتّخذ اسمًا فاعلاً يحتوي على سمة [- مفرد] (رئيس الجمهورية). نستدل من ذلك ان سمة [- مفرد ذاتي] هي السمة التي يجب ان يحتوي عليها الاسم، لكي يرد في موقع فاعل الفعل «فرّق». والجدير بالذكر انّ صيغة الجمع تحتوي على سمة [- مفرد ذاتي] بالاضافة الى سمة [- مفرد]. فالمورفام «الاولاد» يُشير، من الناحية الدلالية، الى أكثر من شخص واحد أو فرد واحد. فسمة [- مفرد ذاتي] هي السمة الانتقائية الاساسية بالنسبة الى فعل فرّق وذلك لأن الجملة (51ـ ب) هي جملة غير اصولية. وهذه السمة تدخل ضمن قوانين تركيب الجمل اذ انّ الفعل فرّق يأخذ فاعلاً فقط الاسم الذي يحتوي على

هذه السمة. فهذه السمة نستند عليها من خلال دراسة توزيع المورفامات وتندرج ضمن السمات الانتقائية العائدة الى المكوّن التركيبي.

بقي القول انَّ اللجوء الى السمات الانتقائية يمسّ استقلالية المكوّن التركيبي بالنسبة الى المكوِّنين الآخرين. وإن اقامة المستويات اللغوية تتطلب وضع المصطلحات المبنية العائدة الى كل مستوى وتحديدها التحديد الدقيق والمختصّ[10].

(10) ان استقلالية المكوّن التركيبي مفهوم مهم جداً في اطار النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية فتشومسكي يُركز على هذا الامر بمعنى ان تحديد مصطلحات المكوّن التركيبي يتم دون العودة الى المكونات الاخرى. وهذا لا يعني بالتالي التقليل من اهمية الدراسات التي تتناول المكوّنات الاخرى.

المراجع

ميشال زكريا(1979) : « نمو الطفل اللغوى » فى المجلّة التربوية العدد الأوّل1979 •
المركز التربوى للبحوث والانماء بيروت

ميشال زكريا(1980) : الألسنية (علم اللغة الحديث) : مبادؤها واعلامها : المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر . بيروت

* **Noam Chomsky (1956)** «Three models for the description of language 'I.R.E. **Transactions on Information Theory** Vol I T-2 p. 113-24. trad. fr. dans **Languages 9** Mars 1968.

* **Noam Chomsky (1957) Syntactic Structures**. The Hague Mouton. trad. fr Ed. Seuil 1969.

Noam Chomsky (1959) Review of B.F. Skinner Verbal Behavior in **Languages 35** p. 26- 58

* **Noam Chomsky (1962)**«Explanatory models in linguistics in E. Nagel, P Suppes et A Tarski (eds) **Logic, Methodology and Philosophy of Science** Stanford University. trad. fr dans J. Miller et G Noizet «textes pour une psycholinguistique la Haye: Mouton 1974».

Noam Chomsky (1964) : Current Issues in Linguistic Theory The Hague, Mouton.

Noam Chomsky (1965): Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge Mass The M.I.T. Press trad fr. Ed. Seuil Paris (1970).

* **Noam Chomsky (1966. a) : Cartesian Linguistics** New York and London: Harper and Row. trad. fr. Ed. Seuil 1969.

Noam Chomsky (1966. b): Topics in the Theory of Generative Grammar The Hague: Mouton.

* **Noam Chomsky (1967. a)** «The Formal Nature of Language» Appendix to E.H Lenneberg **Biological Fondations of Language** trad fr. dans Chomsky: **La linguistique Cartésienne** Ed. Seuil 1969

Noam Chomsky (1967. b) «Recent contribution of the theory of Innate Ideas dans **Synthèse 17.**

* **Noam Chomsky (1968. a): The Sound Pattern of English** (with M. Malle) New York and London: Harper and Row trad. fr. Ed. Seuil Paris 1973.

* **Noam Chomsky (1968. b): Language and Mind** New York and London: Harcourt Brace trad fr. Ed Payot (1970).

Noam Chomsky (1971): Problems of Knowledge and Freedom New York: Basic Books London Barrie and Jenkins (paperback Fontana).

Noam Chomsky (1972): Studies on Semantics in Generative Grammar The Hague: Monton trad. fr. Ed. Seuil Paris 1975.

Noam Chomsky (1973. a) «Conditions on Transformations» In S.R Anderson and P. Kiparsky (Eds), **Festschrift for Morris Halle** New York: Holt, Rinchart and Winston.

Noam Chomsky (1973. b): For Reasons of State New York, Pantheon

Noam Chomsky (1974): The Amherst Lectures Documents Linguistiques, Université de Paris VII.

Noam Chomsky (1975. a) «On Innateness: A reply to Cooper» **Philosophical Review , 84.**

Noam Chomsky (1975. b): Reflexions on Language New York: Pantheon trad. fr. Ed. Maspero 1977.

Noam Chomsky (1975. c) : The Logical Structure of Linguistic Theory New York and London: Plenum.

Noam Chomsky (1975. d) Conditions on rules of grammar in Linguistics Analysis 2-4.

Noam Chomsky (1977. a) «Filters and Control (with Lasnik) **Linguistic Inquiry VIII-3**

Noam Chomsky (1977. b): Essays on Form and Interpretation Elsevier North Holland Inc. trad. fr. Ed. Seuil 1980.

Noam Chomsky (1977. c): Dialogues avec Mitson Ronat Paris: Flammarion.

Noam Chomsky (1979. a) dans **Theories du Language, Theories de l'apprentissage.** Le débat entre Jean Piaget et Noam Chomsky (ed) Piattelli--Palmarini Paris: Seuil.

Noam Chomsky (1979. b) : Rules and Representations New York Colombia University Press.

Noam Chomsky (1979. c) Conférences de Pise Miméographié.

Noam Chomsky (1980) «On Binding» **Linguistic Inquiry 11, 1.**

Jerrold J. Katz and P Postal (1964): An Integrated Theory of Linguistic Descriptions Cambridge Mass M.I.T. Press.

Jerrold J. Katz and Fodor (eds) (1964) : The Structure of Language: Reading in the Philosophy of Language. Englewood Cliffs N J: Prentice Mall.

Jerrold J. Katz (1972): Semantic Theory New York: Harper and Row.

Richard S Kayne (1977): Syntaxe du français: Le cycle transformationnel Paris Seuil.

Alain Rouveret (1980): «Sur la notion de proposition finie. Gouvernement et inversion dans **Languages 60**».

Nicolas Ruwet (1967): Introduction à la grammaire générative Paris: Plon.

Nicolas Ruwet (1972): Theorie Syntaxique et Syntaxe du Français Paris: Seuil.

B.F. Skinner (1957): Verbal Behavior New York; Appleton-Century Grofts.

ملاحظة : إن المراجع التى وضعنا عليها العلامة (*) قد اعتمدنا ترجمتها الفرنسية في كتابنا هذا

المحتويات

1982 / 10 / 108

هذا الكتاب

بعد ان حوال الدكتور ميشال زكريا أن يُقرّب الألسنية من القارىء العربي في كتابه السابق « الألسنية (علم اللغة الحديث) : مبادئها واعلامها » ، يحاول ، في هذا الكتاب ، ان يُساهم في تعميق دراسة قواعد اللغة العربية على ضوء احدث النظريات الألسنية وأكثرها انتشاراً ـ النظرية التوليدية والتحويلية لمؤسسها نوام تشومسكي . وطموح هذا الكتاب يتخطّى مجال عرض هذه النظرية وتطبيقها على اللغة العربية باتجاه السعي الى أن يعم هذا العلم الألسني المدارس والجامعات العربية لكي تصبح لنا ألسنيتنا العربية الذاتية والقادرة على معالجة قضايا اللغة العربية بكل ما تطرحه من ابعاد نفسية ومجتمعية .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع